

الفصل الخامس

العرب والصراع للسيطرة على البحر المتوسط

امتلك الوطن العربي شواطئ طويلة جدا على سواحل البحر المتوسط ، وأبحر العرب منذ أقدم العصور في داخل هذا البحر ، ووصلوا بين أطرافه ، فقد أبحر الفينيقيون بين سواحل الشام وسواحل المغرب وأسسوا المدن والمراسي والمحطات التجارية ومسألة تأسيس قرطاج معروفة وكذلك حروب قرطاج مع روما ، وقامت هذه الحروب من أجل السيطرة على البحر المتوسط ، وانطلقت شراراتها الأولى من صقلية.

وكان عرب شبه الجزيرة قبل الاسلام يعرفون البحر المتوسط ويدركون مدى أهميته خاصة بالنسبة للتجارة ، فقد اعتاد أهل مكة على رحلتي الشتاء والصيف ، وأوصلتهم رحلاتهم التجارية أحيانا إلى سواحل الشام ، فهاشم جد النبي صلى الله عليه وسلم توفي في غزة.

واهتم النبي صلى الله عليه وسلم ببلاد الشام ومصر ، وفي أيامه راسل عليه الصلاة والسلام هرقل وملوك الغساسنة ومقوقس مصر ، ووجه أكثر من حملة عسكرية ضد بلاد الشام وكانت آخر حملة جندها بقيادة أسامة بن زيد صممت لترسل ضد بلاد الشام، وهذا ما كان بعد وفاته.

وفي أيام أبي بكر بعثت الجيوش لفتح بلاد الشام ، فور الفراغ من حروب الردة ، ورسمت خطة فتوح الشام على أساس اهتمام بشواطئ المتوسط أولا ثم بداخل البلاد ثانية ، فجيش يزيد بن أبي سفيان تكلف بالشواطئ الشمالية ، وجيش عمرو بن العاص تكلف

بالجنوب ثم بفتح مصر ، ومن ثم توبعت أعمال الفتوح حتى الاندلس فجنوب فرنسا وشواطئها المتوسطية.

وشرع العرب منذ العصر الراشدي بالاهتمام بركوب البحر المتوسط والمرايطة على شواطئه ، ومن مزايا البحر المتوسط كثرة الجزر فيه ، وللاسيطرة على هذه الجزر فوائد جمة ، تتخذ قواعد للملاحة ومحطات للتجارة وللتزود بالمؤن ولأعمال عسكرية وسواها . ففي ولاية معاوية على الشام لأمير المؤمنين عمر بن الخطاب جرت المحاولات الأولى لركوب البحر المتوسط ، أو ربما لتصنيع أسطول عربي يدافع عن شواطئ الشام ومصر ويحول دون أية عمليات إنزال بيزنطية ، وفي أيام عثمان بن عفان ، أذن هذا الخليفة الراشدي لمعاوية سنة ٢٨ هـ / ٦٤٩ م بركوب البحر لغزو جزيرة قبرص ، وبالفعل قاد معاوية أسطولاً تألف من عدة مئات من السفن بني بعضها في بلاد الشام وبعضها الآخر في مصر ، ووصل الأسطول قبرص ، وتمكن من فرض الصلح عليها دون قتال ، وتبعاً لشروط خاصة بأن يدفع القبارصة للمسلمين جزية سنوية قدرها سبعة آلاف دينار ، وأن يذروا المسلمين بمسير عدوهم من الروم إليهم ، وأن يقوم إمام المسلمين بتعيين البطريرك على قبرص ، وليس للمسلمين حق طلب النصر العسكرية من القبارصة ، وعليهم أن يسمحوا لهم بدفع مبلغ سبعة آلاف دينار سنوياً للامبراطورية البيزنطية ، وفي مرحلة تالية من حكم معاوية وضعت حامية عسكرية مسلمة في قبرص ظلت فيها حتى أيام يزيد بن معاوية (١) .

وفي أيام معاوية بعدما الت إليه الخلافة ، استؤنفت حركة الفتوح العربية في الشمال الأفريقي ، وأمتلك العرب استراتيجيات متوسطة ، استهدفت تحويل هذا البحر إلى بحيرة شامية ، وهكذا ربح العرب الحرب ضد الأساطيل البيزنطية في ذات الصواري ، ثم حاصروا القسطنطينية في محاولة لفتحها .

وفي أيام الوليد بن عبد الملك أكمل العرب فتح الشمال الأفريقي ثم فتحوا الأندلس فسيطروا على أحد مفازي البحر المتوسط ، وفي أيام

سليمان بن عبد الملك خليفة الوليد حوصرت القسطنطينية مجددا برا وبحرا لمدة سبع سنوات ، ولم يفلح العرب في الاستيلاء عليها.

وحكي الكثير عن نتائج هذا الاخفاق ، وأنه حمى أوربا النصرانية وحضارتها ، وتحدث أميل لودفيغ في كتابه البحر المتوسط عن هذه المسألة بقوله: « وإذا ما تركنا جانبا حروب الاسلام ضد فارس ومصر لعدم وجود علاقة مباشرة لهما بحياة البحر المتوسط ، وجدنا العرب يحاربون فريقين من الدول فيما بين القرنين السابع والتاسع ، يحاربون بيزنطة والجرمان ، وماتفق لسلطان ابناء الصحراء من سرعة نشوء في قوتهم البحرية يقضي بالعجب ، ومن قول محمد (صلى الله عليه وسلم) : « نصر فوق البحر يعدل عشرة انتصارات فوق البر » ومن الواقع أن العرب غلبوا اسطول بيزنطة عدة مرات ، فتقدموا حتى رودس وقبرص ، ووجدوا بيزنطة مفتوحة امامهم ، وهم لم يوقفوا إلا أمام هذه المدينة نتيجة لمقاومة أسوار ثيودور ، وبفعل النار اليونانية ، التي اخترعت حديثا ، وكان حصار العرب لبيزنطة الذي دام سبع سنين أطول حصار تم في تلك الزاوية من العالم منذ عسكر اشيك أمام طروادة ، أي أطول من حصار صور وكورنثة وقرطاجة وسرقوسة ، ومع ذلك فإن بيزنطة قاومت ، فانقذت أوربة كما يقال عادة ، ومن أي شيء أنقذت في العادة؟ لو صارت أوربة مسلمة منذ اثني عشر قرنا ما أصبحت أقل حضارة ولا أقل سعادة...وذلك إلى أن جميع البحر المتوسط كان يحيى بحركة ثقافية ، وما كانت منذئذ سنة تمران حتى كانت الأمم المسنة قد تلقت من العرب علم الجبر والحساب العشري والرقاص ، واستعمال الآلات الفلكية والأدوية المخدرة ، وكما تعلمت منهم الصباغة والدباغة والوشي وصنع الزجاج والخزف والبسط والورق ، كما تعلمت منهم البستنة والري وزراعة الأثمار الجديدة ، وفي فن البناء اقتبست أوربة من العرب الأقواس المصنوعة على شكل نعل الفرس ، والنقوش على هيئة النباتات والحيوانات وفن الترصيع ، ثم إن العرب فجروا الماء داخل البيوت وفي الساحات والحدائق وفي كل مكان » (٢) .

وكان العرب بعدما أسسوا مدينة القيروان في داخل إفريقية وتقدموا في فتوحاتهم عادوا نحو ساحل المتوسط حيث أعادوا تأسيس مدينة تونز في موقع قرطاج ، واتخذوا هناك دار صناعة ، وامتلكوا أساطيل خاصة بهم نشطت ضد الشواطئ الإيطالية وضد صقلية وغيرها من جزر المتوسط وكانت أهم النشاطات حسبما يلي:

– حملة سنة ٨٤ هـ / ٧٠٣ م بناء على أوامر عبد العزيز بن مروان والي مصر ، وقد قادها ابن رافع الهذلي ، وقدمت الحملة من مصر الى سوسة ، وكان والي إفريقية موسى بن نصير ، ومن سوسة توجهت ضد سردينية ، على الرغم من تحذيرات موسى بن نصير ، فقد كان الموسم خريفا ، ولهذا تدمرت السفن أثناء العودة نتيجة لتعرضها للعواصف ، وحاول موسى استرداد بعض السفن المدمرة.

– حملة سنة ٨٥ هـ / ٧٠٤ م ، أرسلها موسى بن نصير وقادها ابنه عبد الله ، وسميت غزوة الأشراف ، لكثرة الشخصيات العربية التي شاركت فيها ، وقد تكلفت هذه الحملة بنجاح كبير.

– حملة سنة ٨٦ هـ / ٧٠٥ م ، أرسلها موسى بن نصير وقادها عياش بن أخيل ، وسارت ضد سرقوسة.

– حملة سنة ٨٩ هـ / ٧٠٧ م ، بعث بها موسى بن نصير ضد سردينية ، وقادها عبد الله بن مرة ، وقد عانت بأعداد كبيرة من الأسرى وكميات من الغنائم.

– حملة سنة ٩٢ هـ / ٧١٠ م بناء على أوامر موسى بن نصير توجهت أيضا ضد سردينية ، وقد غرقت في طريق العودة.

وتوقفت الحملات اعتبارا من هذا التاريخ ضد صقلية وسردينية ، لانشغال الأساطيل في عمليات فتح الأندلس.

– حملة سنة ١٠٢ هـ / ٧٢٠ م قادها محمد بن أوس الأنصاري ضد صقلية ، وعاد محملا بالغنائم الى إفريقية فوجد والي البلاد يزيد بن

أبي مسلم الأنصاري قد قتله حرسه ، فعرضت عليه أعمال الولاية
ريثما يعين الخليفة واليا جديدا .

— حملة سنة ١٠٩ هـ / ٧٢٧ م قادها والي إفريقية بشر بن صفوان
نفسه .

— حملة سنة ١١٠ هـ / ٧٢٨ م وجهها والي إفريقية الجديد عبدة
ابن عبد الرحمن الأسلمي ضد صقلية فاصطدمت بالقوات البيزنطية
وهزمتها .

— حملة سنة ١١١ هـ / ٧٢٩ م وجهها الوالي نفسه ، شاركت بها
مائة وثمانون سفينة ضد صقلية ، لكنها تعرضت لكارثة بسبب
العواصف وقلة احتياط قائدها .

— حملة سنة ١١٢ هـ / ٧٣٠ م وجهها الوالي نفسه ضد
صقلية ، وعانت مظفرة .

— حملة سنة ١١٤ هـ / ٧٣٢ م وجهها أيضا الوالي نفسه ضد
سردينية وكانت أيضا مظفرة .

— حملة سنة ١١٥ هـ / ٧٣٣ م وجهها مجددا الوالي نفسه
واصطدمت مع القوات البيزنطية ففقدت عددا من السفن .

— حملة سنة ١١٦ هـ / ٧٣٤ م وجهها والي إفريقية الجديد عبيد الله
ابن الحبحاب ضد صقلية فاصطدمت بالأسطول البيزنطي ونشبت
معركة غير حاسمة .

— حملة سنة ١١٧ هـ / ٧٣٥ م وجهها عبيد الله بن الحبحاب ضد
سردينية

— حملة سنة ١١٩ هـ / ٧٣٧ م وجهها الوالي نفسه واستهدفت
سردينية

— حملة سنة ١٢٢ هـ / ٧٣٩ م وجهها الوالي نفسه واستهدفت
فتح صقلية ، وبعدها حققت بعض النجاحات استدعيت للعودة بسبب
ثورات الخوارج التي تفجرت

— حملة سنة ١٣٠ هـ / ٧٤٧ م أمر بها عبد الرحمن بن حبيب
الفهري المتغلب على المغرب ، فتوجهت ضد صقلية ،

— حملتان سنة ١٣٥ هـ / ٧٥٢ م بعث بهما عبد الرحمن بن حبيب ضد كل من سردينية وصقلية ، وفي هذه الآونة سقطت دولة بني أمية (٣) ، وشهدت بلدان المغرب مرحلة تاريخية جديدة ، ولم تعرف البلاد الاستقرار حتى تأسيس دولة الأغالبة ، وفي عصر الأغالبة في القيروان ورقاد تمت عملية فتح صقلية ولم يقد جيوش الفتح الى صقلية قائد عسكري بل قادها قاضي المسلمين أسد بن الفرات ، وهاكم الحكاية :

نقرا في كتب الأخبار التي أتت على ذكر الامام أسد بن الفرات وفتح صقلية أنه في أحد أيام سنة ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م تجمهر أهالي مدينة سوسة في تودس يتقدمهم أمير البلاد زيادة الله بن الأغلب ومعه أركان دولته ، تجمهروا قرب مرسى المدينة لوداع الامام أسد بن الفرات ، الذي كان متوجها على رأس اسطول كبير لفتح جزيرة صقلية .

وخاطب أسد المتجمهرين قائلا : « والله يامعشر المسلمين ماولي لي أب ولاجد ولاية قط ، ولا رأى أحد من سلفي مثل هذا قط ، وما رأيت ماترون الا بالأقلام ، فأجهدوا أنفسكم ، واتعبوا أبدانكم في طلب العلم وتبوينه ، وكاثروا عليه واصبروا على شدته ، فانكم تنالون به الدنيا والآخرة » . ودلالات هذه العبارات وان قيلت بمناسبة عسكرية ، هي غير عسكرية ، ومرد هذا الى طبيعة اختصاص قائلها ، فأسد بن الفرات كان قبل ان يكلف بقيادة حملة صقلية يشغل وظيفة قاضي المسلمين في افريقية ، وعد أول علماء الغرب الاسلامي وأكثرهم فقها ، والبحث في سيرة أسد بن الفرات وأعماله يقتضي لأهميته اثاره عدد من القضايا البالغة الخطورة ، ذلك انه على كثرة عدد العلماء والفتاحين في التاريخ الاسلامي ، يكاد أسد بن الفرات ان يكون وحيدا ، في تفرده بالجمع بين الفقه والاجتهاد والقضاء ، والامارة ، وحياته على هذا مرتبطة وثيق الارتباط بتاريخ دولة الأغالبة في تودس ، وبمسألة انتشار فقه المالكية في الغرب الاسلامي ، وبالصراع للسيطرة على البحر المتوسط وفتح جزيرة صقلية .

وعلى الرغم من جلاله هذه الأمور ، وأهميتها القصوى ، فإن المصادر العربية شحيحة المعلومات حولها ، ومن المثير للدهشة ان مصنفات التاريخ الاسلامي العامة لم تتعرض بشكل يشفي الغليل لهذه الأحداث الجسام ، فقد اهتمت بشكل مكثف بأحداث الأقاليم المركزية لدير الخلافة ، ولم تحفل كثيرا بسرد تفاصيل أخبار ما جرى في الأقاليم النائية عن بغداد ، كإفريقية مثلا ، حتى وان وقعت هنالك أحداث على درجة عالية من الخطورة وعميق الأثر مثل فتح صقلية !

وهنا نفزع الى كتب التاريخ المحلية مع مصنفات التراجم - ان وجدت - لنحصل منها على مانحن بحاجة اليه من معلومات ، ومعلوم ان الغرب الاسلامي عرف منبركات تساريخ نشطة ، وتدوينا غنيا نسبيا للأخبار ، ولكن المشكلة هنا ان هذه الحركة ولدت متأخرة عن وقت الحوادث المبكرة ، ثم ان عددا من المدونات المبكرة مازالت محجوبة عنا ، لم تصلنا كاملة او لم تصلنا بالكلية .

ولحسن الحظ ان كتاب البيان المغرب لابن عذارى المراكشي قد وصلنا كاملا ، ومع ان صاحبه صنفه في مطلع القرن الثامن للهجرة (٧١٢ هـ) فإنه اعتمد بتفاصيله الهامة على كتابات المؤرخين الذين سبقوه مثل ابراهيم الرقيق القيرواني وغيره ، ومعلومات ابن عذارى عن دولة الأغالبة في القيروان وفتح صقلية على درجة عالية من الأهمية والفائدة ، ومثل ابن عذارى يأتي بعده ابن خلدون ، فالذي أودعه في مقدمته ومتن كتابه العبر عن الغرب الاسلامي عظيم الفائدة ، بسبب اطلاعه الواسع على مؤلفات مؤرخي المغرب والأندلس الذين تقدموا على عصره ، ثم بسبب اشتغاله بالسياسة وتقلبه في عدد من الوظائف ونظرا لرحلاته الواسعة .

وقد قام في القرن الماضي العالم الايطالي ميكائيل عماري بنشر (سنة ١٨٥٨) كتابه الحافل «المكتبة العربية الصقلية» وفيه جمع أغلب ما تناثر في كتب العرب من أخبار عن صقلية والصقليين أيام دولة المسلمين ، والف كتابا آخر بالاطالاية بعنوان «تاريخ العرب

بصقلية» جاء في خمسة أجزاء ضخمة ، ومن بين العرب يأتي المؤرخ الجزائري الاستاذ أحمد توفيق المدني على رأس الذين كتبوا عن صقلية وخاصة كتابه «المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب إيطاليا» ثم الدكتور احسان عباس الذي كتب أطروحة عن صقلية اهتم بها بالجوانب الأدبية والحياة الثقافية للعرب فيها ، وجاء بعدهما عزيز أحمد فكتب تاريخ صقلية الاسلامية « هذا وأولت بعض الدراسات حول الدولة الأغلبية مثل كتاب محمد الطالبي موضوع صقلية اهدية خاصة .

ولدت الخلافة العباسية ولادة خراسانية مشرقية ، وقد ظلت هذه الخلافة طيلة حياتها غارقة في بؤرة مشاكل المشرق ، ولذلك يلاحظ ان اهتمام هذه الخلافة بالفتح الغربى من ديار الخلافة كان من الدرجة الثانية ، كما انها عجزت منذ أيام ولادتها عن مد سيطرتها عليه جميعا ، يضاف الى هذا كانت الدولة العباسية دولة قارية نادرا ما اهتمت بالبحر المتوسط أو فكرت ببناء أساطيل للنشاط فيه .

وفي العصر العباسي المبكر أرسلت بغداد عدة حملات نحو الشمال الأفريقي ، وقامت بمحاولات متعددة للحيلولة دون استقلال جميع بلدانه ، ولكنها أخفقت ونجح الأمير الأموي عبد الرحمن بن معاوية في تأسيس حكمه في الأندلس ، كما نجح عبد الرحمن بن رستم في إقامة إمارة تيهرت الاباضية (في عمالة وهران جزائر اليوم) ونجح بنو مدرار الصفرية في تأسيس امارتهم في سجلماسة على طرف الصحراء ، ونال آل سليمان بن عبد الله بن الحسن بن علي بن ابي طالب التوفيق في تأسيس دويلة لهم في منطقة تلمسان ، وتمكن ادريس أخو سليمان من تأسيس دولته في المغرب الأقصى ، وكانت هناك من قبل دولة برغواطة على الساحل المغربي في بلاد تامسنا

وادرأكا من بغداد لهذا كله وخشية أن تمتد الحركات الاستقلالية الى بلدان المغرب الأدنى ومصر ساعدت على قيام دولة الأغالبة وذلك في أواخر القرن الثاني للهجرة ، ولقد حازت دولة الأغالبة على

استقلالها ، لكنها لم تقطع قط وشأنها بالولاء للخلافة العباسية.

ولم تنعم دولة الأغالبة بصداقة أي من دول الشمال الأفريقي ، وكان نفوذها الفعلي على القبائل البربرية في الداخل غير قائم عمليا ، ثم انها لم تنعم بالاستقرار الداخلي الا بشكل نسبي، فقد عانت دوما من الاضطرابات الداخلية والاضغوط الخارجية، وحفل تاريخها بفتن الجند ، وهكذا عندما وجدت نفسها محاصرة من الداخل اندشت نحو سواحل البحر المتوسط ، وتورعت في صراعاته السياسية والتجارية .

وكما سلفت الإشارة شغل البحر المتوسط منذ فجر التاريخ دور القلب النابض بالنسبة للحضارات ، فعلى شواطئه قامت ثم تطورت الديانات السماوية والفلسفات ، ومن بلدانه انتشرت الى بقية اجزاء العالم، وكان هناك صراع دائم بين القوى المختلفة حوله للتحكم بشؤون الملاحة فيه والسيطرة عليه وتحصيل الثروة .

ورايها انه بعد قيام الاسلام ، ومع انتشاره في المشرق والمغرب باتت اوربا محاصرة من قبل العرب ، وخاصة أوروبا الغربية، ونطاق الحصار الذي فرضه العرب كان جديدا كليا : لغويا وقانونيا وحضاريا ودينيا ، مما ادى الى تغيير جذري للنظم الاقتصادية والقانونية والحضارية العامة والدينية في اراضي روما الغربية ، ذلك ان جميع الطرق لم تعد تقود الى روما بل الى حواضر الاسلام ، وتعطلت سياسة استيراد القمح وسواه الى أوروبا. فوجدت أوروبا الغربية نفسها مضطرة الى الاعتماد على الذات بالانتاج المحلي ، ومن ثم اكتشاف الاجزاء الشمالية منها ، وإزالة الغابات لزراعة الحبوب مكان الأشجار ، وهكذا قيل انتهت فعليا العصور الكلاسيكية القديمة وبدأت العصور الوسطى ، فحلت اللهجات ذات الجذور الجرمانية محل اللغة اللاتينية ، وأخذت النظم الاقطاعية بالظهور ، وهذا موضوع سنعود اليه في الجزء الثالث المقبل من كتاب المدخل .

ولم يقتصر عمل العرب في سبيل السيطرة على المتوسط بالاعتماد

على الأساطيل بل اهتموا بتحصين شواطئ بلادهم ، فأقاموا المواقع الدفاعية ، ومنائر الانذار ، وبعد سقوط الخلافة الأموية وحلول الخلافة العباسية محلها ، ولعدم اهتمام هذه الدولة القارية بالبحر والسفن ضعفت السيطرة العربية على شواطئ المتوسط ، وزاد الاعتماد على أنظمة الدفاع ، مما أدى الى تطور كبير في قواعد هذا النظام ، واخذت أعداد كبيرة من العلماء والزهاد بالالتجاء الى مواقع الدفاع والمراقبة فيها ، وهكذا بدأت مواقع الدفاع هذه تعرف باسم الرباطات - جمع رباط - ومع الأيام اخذت الرباطات تؤدي وظائف دينية ثقافية ، وذلك بالإضافة الى مقاصدها الحربية ، وصارت الرباطات مراكز للعلم اقبل عليها الطلاب ، وحوت المكتبات ، وشغل رجالاتها أنفسهم بالتعليم والتدقيق والنسخ وغير ذلك ، ونجم عن هذا تأثير مزيج داخلي وخارجي ، بحيث صار بإمكان أصحاب الرباطات التأثير بالرأي العام ، وفي رسم السياسة العامة واتخاذ القرارات الهامة (٤) .

ولقد كان لنظام الرباطات دوره الأهم على شواطئ الشمال الأفريقي ، خاصة في أرجاء سواحل دولة الأغالبة ، ولقد ازدهر هذا النظام بشكل رائع ومعطاء خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة ، ومازالت شواطئ تونس تحوي آثار عدد من الرباطات مثل رباط المنستير وسواه .

واهتمت دولة الأغالبة بتأمين موارد اقتصادية كافية ، وملك جيشها الخاص ، ورعت الحركات الثقافية في القيروان ، واعتنت بالعلم والعلماء ، وقلدت السياسة الدينية للخلافة العباسية في المركز ، وكانت حركة المواصلات بين بلدان المغرب والمشرق نشطة جدا ، حيث تدفق التجار والحجاج وطلاب العلم من الشمال الأفريقي على بلدان المشرق ، وكان لهذا أعظم الآثار على مستقبل الغرب الاسلامي وأفريقيا وحتى على أوروبا .

وحينما يعرض المرء تاريخ قيام الاسلام يلاحظ ان موقع مكة على طرق قوافل التجارة العالمية قبل الاسلام مع وجود الكعبة فيها

دفعها نحو تزعم عالم شبه جزيرة العرب ، ثم هياها لتكون مركز قيام الاسلام ، ومرة ثانية بعد قيام الاسلام وانتشاره في الشمال الافريقي والاندلس ، وجد المسافرون من الغرب نحو الشرق أن المدينة المنورة هي محطتهم الأولى والعظمى قبل التوجه نحو العراق

وهكذا نال القادمون للتعليم والتفقه دروسهم الاسلامية الأولى في المدينة ، ثم ذهبوا نحو استكمال التعليم في العراق ، وكثير منهم لم يذهب ، بل اكتفى بما نهله من دار هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومعروف أن المدينة كانت عاصمة الاسلام الأولى ، فيها عاش كبار الصحابة ، وفيها تأصلت معارف الشريعة الاسلامية ، وفي المدينة نشطت الأعمال الفكرية في القرن الأول للهجرة ، وأثمرت في القرن الثاني بقيام مدرسة أهل المدينة في الفقه على يد الامام مالك بن أنس ، وحين جاءت هذه المدرسة الى الوجود ، كانت مدرسة أخرى كبيرة قد قامت بالكوفة في العراق على يد الامام أبي حنيفة النعمان بن ثابت .

ومن الملاحظ أن الخلافة العباسية كان لها سياسة دينية خاصة ، فأبو جعفر المنصور ، وهو المؤسس الفعلي للخلافة العباسية ، أدرك بفكره المخطط مكانة الأداة الدينية في خدمة المقاصد السياسية والمصالح الاستراتيجية للدولة ، لذلك اهتم بالدين وبرجاله ، يضاف الى هذا أن عالم القرنين الثاني والثالث للهجرة (الثامن والتاسع للميلاد) قد عرف تيارات فكرية سياسية نادت بوحدة المذهب العقائدي للدولة ، وهذا ما نراه في الامبراطورية البيزنطية في حركة عبادة الصور ، وفي حياة شارلمان وتأسيسه للامبراطورية الكارلونية في الغرب الأوروبي وعلاقته بالبابوية.

وطبيعي أن نجد لدى العباسيين الاهتمام بالدين ، فهم قد وصلوا الى السلطة بوساطة ثورة انطلقت من مفاهيم الاسلام القائمة على المزج بين العمل الديني والديني ، واختلف حالهم عن بني أمية ،

فمعاوية نال الخلافة اغتصاباً بقوة السلاح ، بينما نالوها عن طريق شرعية الثورة وحق الوراثة .

وبعد شيء من التردد اعتمد العباسيون على مدرسة العراق الفقهية التي أسسها أبو حنيفة ، وفي الغرب الاسلامي ، خاصة في الأندلس والدول المستقلة ، وجد الأمراء والحكام أنفسهم بحاجة إلى تقليد طرائق العباسيين ، أو لنقل إن الحكم الذي تم نيله - هنا وهناك - بالاعتماد على الصراع بين العصبيات القبلية وسواها وجد نفسه بحاجة إلى دعائم لسلطته غير عمليات التوازن بين القوى القبلية ، فكان أن لجأ إلى اعتماد سياسة دينية خاصة ، وطبعاً إن هذا العمل أمر لا بد منه في أية دولة اسلامية وخاصة لدى دول المواجهة مع أعداء الاسلام ، ولابد من القول هنا إن الدين بكل تأكيد لم يكن قط أفيون الشعوب ، فالأفيون يخطر ، بل كان محركاً للشعوب ، وكان بلا شك أخطر الأدوات الاستراتيجية في التاريخ وما زال كذلك

وفرضت ظروف المواجهة في الغرب الاسلامي التشدد والتعصب والتظاهر بالمثالية ، ومثالية الاسلام كانت تؤخذ من مدينة النبي صلى الله عليه وسلم لامن كوفة أبي حنيفة ، وتلميذ المدينة ظهيره أعلى وأمتن من ظهير تلميذ الكوفة ، يضاف إلى هذا إن تبني الخلفاء العباسيين لفقه أهل العراق قد جعل القائمين على مدرسة المدينة يفتشون على مناطق نفوذ لهم ، ويمكن أن نجد شواهد على هذا في حياة الامام مالك بن أنس ، فهو قد أظهر أكثر من مرة المعارضة للسلطة العباسية والتحريض لأمراء من الغرب الاسلامي . من هذا كله نخلص إلى القول بأن العالم الاسلامي عاش بعد قيام الثورة العباسية مباشرة وطوال سنين عديدة في القرن الثاني للهجرة في ظل مدرستين للفقه والتشريع ، وهما مدرسة المدينة ، ومدرسة الكوفة (أو العراق) ومن الملاحظ أنه بعد وقت ليس بالطويل بذلت محاولات لدمج المدرستين في مدرسة جديدة واحدة .

واستهدفت عملية المزج الوصول إلى حل وسط بين الطرفين بشكل

منطقي مؤصل ، وهذا ما نشهده في سيرة كل من الامامين الشافعي واسد بن الفرات ، وكما هو مشهور نجح الامام الشافعي في عمله ، واخفق — كما سنرى — اسد بن الفرات ، لأن الشافعي نجا من ظلمة الوظيفة ، ولم يعيش في دياجير الولاية إلا لوقت قصير ، وهكذا أوقف حياته على العلم ، وأما ابن الفرات فإنه في الوقت الذي كان عليه فيه العطاء تولى وظيفة القضاء أولا ، ثم جمع إلى القضاء إمارة الجيش الذي توجه إلى صقلية لفتحها ، وقد توفي أثناء تأدية هذه المهمة ، فهل ياترى جاء تعيينه في وظائفه بناء على خطة مسبقة ، أم أن ذلك جاء بالصدفة ؟

وفي سبيل الحصول على الاجابة لنبدأ أولا بالتعرف إلى سيرة حياة الامام اسد بن الفرات : ولد الامام اسد في مدينة حران الشامية ، التي كان مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمية قد اتخذها مقرا له ، وحدث ولادته كما هو مرجح سنة اثنتين وأربعين ومائة للهجرة (٧٥٩ م) وكان والده جذيا من جنود العباسيين أصله من خراسان ، وقد ترك هذا الجندي مدينة حران إلى إفريقية في حملة عسكرية وجهتها بغداد ضد خوارج المغرب من الاباضية الذين كانوا مسيطرين آنذ على أجزاء كبيرة من المغربين الأدنى والأوسط ، وبخل اسد بن الفرات مدينة القيروان وله من العمر عامين ، وقد أقام فيها مع أسرته خمس سنوات ، ثم تحولت أسرته إلى مدينة تونس ، فأقامت بها نحو تسع سنين ، وخلال هذه السنين تعلم القرآن ، وأخذ يختلف إلى حلقات مشاهير علماء تونس ، وفي مطلع سن الشباب يمم اسد وجهه نحو المشرق ، فحل بالمدينة المنورة ، والتحق بحلقة الامام مالك بن أنس ، فأخذ عنه علوم أهل الحجاز ، وروى عنه كتاب الموطأ ، وكان ابن الفرات كثير السؤال ، شديد الالتحاح يلتمس العلم التهاما ، ويود لو أن الامام مالكا أوقف وقته كله عليه ، ولما تعذر هذا نصحه الامام مالك بالذهاب إلى العراق للالتحاق بالامام محمد بن الحسن الشيباني ، صاحب الامام أبي حنيفة وخليفته .

وبالفعل توجه ابن الفرات نحو العراق ، والتحق بالامام محمد بن

الحسن ، وأكمل على يديه تحصيله لعلوم الامام مالك بحكم أنه كان من تلاميذه السالفين ، كما أخذ عنه علوم مدرسة اهل العراق ، ومكث ابن الفرات في العراق مدة لأبأس بها ، ولقد أولى الامام الشيباني ابن الفرات عظيم عنايته ، فقد عرف فقره ، لذلك أسكنه معه في دار واحدة ، وقام بتأمين نفقته ، وخصه بمجالس للتدريس خاصة ، وتحدث ابن الفرات عن علاقته بالامام الشيباني ووصف حاله معه بأنه قال له : «إنني غريب ، قليل النفقة ، والسماع منك نزر ، والطلب عنك كثير ، فما حيلتي ؟ فقال لي : اسمع مع العراقيين بالنهار ، وقد جعلت لك الليل وحدك ، فتأتي فتبیت عندي وأسمعك ، قال ابن الفرات : فكنت أبیت عنده ، وكنت في بيت في سقيفة ، وكان يسكن العلو ، فكان ينزل إلي ويجعل بين يدي قدحا فيه ماء ، ثم يأخذ في القراءة ، فإذا طال الليل ورأني نعست ، ملا بيده منه ونفخ به في وجهي فأنتبه ، وكان ذلك دأبي ودأبه حتى أتيت على ما أريد من السماع عليه .

لقد زق الامام الشيباني ابن الفرات بالعلم زقا ، ورعاه طوال إقامته في العراق ، وعندما أكمل ابن الفرات تحصيله ، وكان الامام مالك ابن أنس قد توفي ، أخذ ابن الفرات الطريق نحو المغرب ، فحط رحاله في مصر ، والتحق بالامام عبد الرحمن بن القاسم ، أحد كبار تلاميذ الامام مالك ورواة علمه القديما ، ولازمه ابن الفرات « فكان يغدو إليه كل يوم ويسأله ويجيبه ابن القاسم ، حتى دون ستين كتابا وسماهما الأسدية » وقد حوت هذه المدونة الأسدية رأي مدرسة اهل المدينة حول جميع المسائل التي تعلمها ابن الفرات في العراق .

وعاد ابن الفرات إلى القيروان يحمل معه علوم مدارس الاسلام ، ويروى أنه « لما عزم على الرحيل من مصر وجه معه ابن القاسم بضاعة وقال له : إذا قدمت إفريقية فبيعها واشتر بثمنها رقوقا ، وانسخ الكتب » ، ولما حل أسد بن الفرات في القيروان ، أظهر ما كان لديه من أسديته وأسمعها الناس ، وانتشرت العلوم التي حملها أسد إلى القيروان ، وانتشر معها صيت أسد بن الفرات ، وزاعت

شهرته ، ولعل أهم الذين سمعوا الأسدية منه هو الامام سحنون ، فبعدما مضى أسد بن الفرات إلى صقلية قام الامام سحنون باستخراج مواد مدونته من أسدية ابن الفرات ، ومعروف أن مدونة الامام سحنون هي أعظم كتب المالكية في الغرب ، وأنه إلى الامام سحنون يعود الفضل في توطيد أقدام المالكية في الشمال الأفريقي ، فبعدما تغيب أسد بن الفرات غدا الامام سحنون أعظم علماء إفريقية مكانة ، واكثرهم نفوذا وشعبية وشهرة .

وأثناء عمل ابن الفرات في القيروان سعى نحو وضع قواعد مدرسة للفقه جديدة قوامها مبادئ مدرستي العراق والحجاز ، لكن النجاح لم يتحقق له لأسباب منها أنه لم يملك الوقت الكافي للتفرغ لمهمته ، فقد كلف سنة أربع ومائتين (٨١٩ م) بمهمة القضاء من قبل الأمير زيادة الله بن الأغلب ، ثم إنه في هذه الفترة وسنوات عدة مقبلة عانت امارة الأغالبة من اضطرابات للجند كادت أن تؤدي بالحكم الأغلبي ، ونجا ابن الفرات خلال سنوات الفتنة من التورط فيها ، وكان دائما مع ماتمليه عليه الشريعة لا أهواء القوى المتصارعة ، وعندما قضي على اضطرابات الجند رأت الإدارة الأغلبية أنه من الأسلم للمستقبل اشغال الجند بنشاط حربي خارجي ، وفي هذا نرى إحدى خلفيات الحملة ضد صقلية (٥).

شكلت جزيرة صقلية بموقعها الجغرافي مكانا استراتيجيا هاما ، وحصنا منيعا وسط البحر هيمن على حركة الملاحة بين شرقي البحر المتوسط وغربيه ، كما كانت بمثابة جسر انتقلت عبره الحضارات ، وعنت السيطرة على صقلية دائما القدرة على مراقبة كل السواحل الأفريقية والإيطالية ، كل هذا بالإضافة لما تنعم به صقلية ذاتها من ثروات ، وماتدره أراضيتها من خيرات ، وصقلية كانت دائما موضع صراع بين قوى إيطاليا وإفريقيا .

لقد رغب العرب دوما في فتح صقلية وانتزاعها من الامبراطورية البيزنطية ، وتحين الأغالبة فرصهم لفتحها عام ٢١٢ هـ / ٨٢٧ م ، وساعدهم على الشروع في قهر أراضيتها ما وصلت اليه أحوالها

انذاك من اضطراب وتدهور وفساد ، ذلك أن الولاة البيزنطيين كانوا قد أسرفوا في استغلال مواردها دون عناية بأحوال السكان ، لذلك أجذبت الأراضي الزراعية وهجرها الفلاحون ، واشتغلوا بالرعي ، كما كسدت التجارة والصناعة بسبب الضرائب الباهظة ، لذلك انهارت الأحوال عامة ، واضطربت أمور المجتمع بسبب ما اعتادت بيزنطة عليه من نفي المجرمين والخارجين على القانون إليها من جموع المنبوزين وأعداد كبيرة من العبيد ، وكانت أحوال الكنيسة سيئة ، ومكانتها متداعية لتخليها عن مهامها الأساسية وانصراف رجالها والقائمين عليها إلى مباهاجهم الدنيوية .

ولاشك أن هذه الأحوال قد شجعت الأغلبية على التخطيط لفتح صقلية ، حيث يتحدث المؤرخون عن انفجار العديد من الاضطرابات في الجزيرة في مطلع القرن الثالث للهجرة ، وكان أهمها حركة أوفيماس (فيمي في المصادر العربية) فقد ذكر ابن الأثير في تاريخه الكامل « أن ملك الروم بالقسطنطينية استعمل على جزيرة صقلية بطريقا اسمه قسطنطين سنة إحدى عشرة ومائتين ، فلما وصل إليها استعمل على جيش الاسطول انسانا روميا اسمه فيمي ، كان حازما شجاعا ، فغزا افريقية ، وأخذ من سواحلها تجارا ونهب ، وبقي هناك مديدة ، ثم إن ملك الروم كتب إلى قسطنطين يأمره بالقبض على فيمي مقدم الاسطول وتعذيبه ، فبلغ الخبر إلى فيمي ، فأعلم أصحابه فغضبوا له ، وأعانوه على المخالفة ، فسار في مراكبه إلى صقلية واستولى على مدينة سرقوسة ، فسار إليه قسطنطين ، فالتقوا واقتتلوا فانهزم قسطنطين إلى مدينة قطنانية ، فسير إليه فيمي جيشا فهرب منهم فأخذ وقتل ، وخطب فيمي بالملك واستعمل على ناحية من الجزيرة رجلا اسمه بلاطة ، فخالف على فيمي وعصى ، واتفق هو وابن عم له اسمه ميخائيل - وهو والي مدينة بلرم - وجمعا عسكريا كثيرا فقاتلا فيمي وانهزم فاستولى بلاطة على مدينة سرقوسة ، وركب فيمي ومن معه في مراكبهم إلى افريقية ، وأرسل إلى الأمير زيادة الله يستنجده ويعدده بملك جزيرة صقلية ، فسير معه جيشا في ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ومائتين » (٦)

في الحقيقة كان بلاطة قد راسل الأمير زيادة الله ، بعد التجاء فيمي اليه ، وعرض عليه طلبا فيه عدم مساعدة فيمي والوقوف على الحياد ، ولم يعلن زيادة الله عن قراره في الوقوف الى جانب واحد من الطرفين ، فهو بالأصل كان يريد الاستيلاء على الجزيرة ، والأن تهيأت الفرصة ، لكن الحملة تحتاج الى نفقات كبيرة ، واعداد للرأي العام في دولته ، ولم يكن يطمع بالحصول على مساعدات من الخلافة العباسية ، مع أن هذه الخلافة كانت الآن في ظل حكم المأمون نشطة عسكريا في منطقة الثغور مع بيزنطة ، ولذلك التفت الأمير زيادة الله نحو الفقهاء ، وعلماء الدين ، فعن طريقهم كان من الممكن اعلان الجهاد ، وتجنيد العساكر ، وجمع الأموال اللازمة ، لهذا عقد مجلسا لبحث مسألة صقلية والصراع فيها ، وحضر المجلس الى جانب رجال الدولة عدد من الفقهاء مع القاضي الامام أسد بن الفرات ، وقام المجتمعون بفتح ملف العلاقات الاسلامية الصقلية ، فذكر بعض الفقهاء بأنه توجد معاهدة للهدنة بين المسلمين والبيزنطيين قديمة ، ينبغي التمسك بها ، وقام الامام أسد بن الفرات برفض هذا الموقف وافتى بأن المعاهدة هي بحكم الملغاة ، لأن الجانب البيزنطي خرقتها أكثر من مرة ، ولم يتمسك بشروطها ، وأنه من واجبات الأمير اعلان الجهاد ، ونفذ الأمير الأغلبى قرار قاضي المسلمين ، فأعد اسطولا كبيرا من سبعين سفينة ، شحناها بعشرة آلاف مقاتل من الرجال ، وسبعمائة من الفرسان ، وببراعة متناهية وفهم سياسي عميق أسندت قيادة هذه الحملة الى القاضي أسد بن الفرات ، فاجتمعت له بذلك الامارة والادارة والقضاء في آن واحد .

وفي ربيع شهر ربيع الأول من عام ٢١٢ هـ / حزيران ٨٢٧ م أقلت الحملة العربية من ميناء سوسة تريد جزيرة صقلية ، وتوقفت أولا أمام مدينة مازر ، وهناك التقت بالاسطول البيزنطي للجزيرة فسحقته ، ودخل المسلمون الجزيرة ، واخذوا يحتلون مواقعها الواحد تلو الآخر ، وشرع ابن الفرات بحصار مدينة سرقوسة برا وبحرا ، بعدما ما أتاه المدد من القيروان ، ومن المفيد هنا ملاحظته أن

قاضي افريقية رفض حين توجه لغزو صقلية أن يصطحب فيمي وأعوانه

وأثناء حصار سرقوسة وصل اسطول بيزنطي كبير لفك الحصار عنها ، وأمدّه اسطول من البندقية ، وبسبب ذلك ولتأخر النجدة من القيروان ، أصيب جيش الأغالبة بانتكاسة ، لكن على الرغم من ذلك لم يتوقف عن متابعة الجهاد ، ثم أصيب بانتكاسة ثانية ، حيث انتشر الطاعون بين صفوفه ، وأثناء هذا مات أسد بن الفرات قائد الحملة ، وكان ذلك سنة ٢١٣ هـ / ٨٢٩ م (٧)

لقد استغرقت أعمال فتح صقلية أكثر من سبعين سنة خاض العرب خلالها ملاحم رائعة حتى خلصت الجزيرة لهم ، واخفقت جميع جهود الامبراطورية البيزنطية في الحفاظ عليها ، وقبل الحديث عن مراحل الفتح ثم تاريخ الجزيرة ومحاولات التوسع من هناك في ايطاليا مفيد أن نقدم وصفا موجزا لجغرافية هذه الجزيرة.

قام عماري في كتابة « المكتبة الصقلية » بجمع ما جاء في المكتبة العربية عن جغرافية صقلية في قرابة ١٦٠ صفحة ، ومن هذه المواد :

قول ابن حوقل : « وأما صقلية فجزيرة طولها سبعة أيام في أربعة أيام ، والغالب عليها الجبال والقلع والحصون ، وليس لها مدينة مسكنة ، معروفة غير المدينة المعروفة ببلرم ، وهي قصبة صقلية على نحر البحر من الشمال ، ... عليها سور من حجارة مانع شامخ ، يسكنها التجار ، وفيها المسجد الجامع »

وتحدث الشريف الإدريسي عن صقلية بأسهاب ، ومن ذلك قوله : « جزيرة صقلية فريدة الزمان فضلا ومحاسن ، وحيدة البلدان طيبا ومسكن ، وقديما دخلها المتجولون من سائر الأقطار ، والمترددون بين المدن والأمصار ، وكلهم أجمعوا على تفضيلها وشرف مقدارها ، وأعجبوا بزاهر حسننها ، ونطقوا بفضائل ما بها ، وما جمعته من متفرق المحاسن ، وضمته من خيرات سائر المواطن ... »

فأما صقلية المقدم ذكرها ، فأقذارها خطيرة ، وأعمالها كبيرة ،
وبلاؤها كثيرة ، ومحاسنها جملة ، ومناقبها ضخمة ، فإن نحن
حاولنا احصاء فضائلها عددا وذكرنا أحوالها بلدا بلدا ، عز في ذلك
المطلب ، وضاق فيه المسلك ، لكننا نورد منها جملا يستدل بها ،
ويحصل على الغرض في المقصود فيها إن شاء الله تعالى . فنقول :
إن هذه الجزيرة .. مائة بلد وثلاثون بلدا بين مدينة وقلعة ، غير ما بها
من الضياع والمنازل والبقاع» (٨)

ووصف أبو حامد الغرناطي جزيرة صقلية وقد لفت انتباهه
بركانها المشهور فقال : « وفي بحر الروم جزيرة يقال لها صقلية فيها
جبل قريب من البحر تخرج منه نار تضيء بالليل الى عشرة فراسخ
... لا يحتاج معها احد في تلك المواضع الى ضوء ولا الى سراج في
طريق ، ولا في قرية لكثرة ذلك الضوء ، ويخرج من تلك النار جمر
كبار كأعدال القطن يتقطع ، فيقع بعضها في البر فيصير حجرا أبيض
خفيفا يطفو على الماء لخفته ، والذي يقع في البحر يصير حجرا أسود
مثقبا تحك به الأرجل في الحمام ، يطفو على الماء أيضا ، وإن وقع
جمر من تلك النار على حجر أو رمل احترق الحجر ، واشتعل كما
يشتعل القطن حتى يقع ذلك الحجر ويصير غبارا كالكل» (٩).

ومن أشهر مدن صقلية :

بلرم : هي من أهم مدن الجزيرة قديما وحديثا ، جميلة الموقع والمنظر
معتدلة المناخ ، مياهها متدفقة ، وهي فينيقية التأسيس ، اتخذها
العرب حاضرة لحكمهم في صقلية ، وغدت مركزا حضاريا هاما
خاصة في ظل الكلبين في العصر الفاطمي ، وماتزال بعض مواقعها
تحمّل الطابع العربي الاسلامي من ذلك :

قصر الفواره - ويقع فوق جزيرة تحيط به بركة صناعية من جهاته
الثلاث ، وقد بني أيام حكم الأسرة الكلبية ، واتخذها فيما بعد الملوك
النورمانديين مكانا للهوهم وخلاعاتهم ، وماتزال خرابته ماثلة حتى
الآن ، ونضيف الى هذا القصر قصر العزيز ثم قصر القبة والقصر
الملكي ، وهو آية من آيات الفن والجمال ، كان مقر الدولة والأمراء

العرب ، وفي ضواحي بلرم العديد من الأبنية العربية والآثار الهامة .
مسينا: وهي أيضا مدينة جميلة الموقع ، وذات أهمية عالية ، لها
ميناء واسع النشاط ، أتى زلزال في مطلع هذا القرن على مبانيها
وسكانها.

ترميني: هي مدينة تكاد أن تكون اسلامية خالصة بحاراتها وأزقتها
ودورها ، وطرائق العيش فيها ، وهي نشطة الحياة فيها الكثير من
الحمامات الحارة.

مازره: وكانت مدينة اسلامية حافلة الشهرة والنشاط ، ماتزال
تحتوي على بعض المؤثرات الاسلامية .

مرسى علي: وكانت هذه المدينة من أكثر الموانئ نشاطا وحركة ،
لأنها ربطت صقلية بافريقية.

اطرابنش: من مشاهير المدن أيام المسلمين بها مرسى على شكل
هلال كان نشطا وله علاقات مع افريقية .

طبرمين: وكانت أهم المعاقل البيزنطية ، قاومت العرب طويلا ،
وبعدما افتتحوها دكوها دكا ، وعلى مقربة منها قرية القنطرة
العربية ثم قرية الزعفرانة ، وماتزا لأن تحتفظان بهذين الاسمين .

سرقوسة: وكانت قبل الفتح العربي أشهر مدن صقلية ، تعرضت
دوما لغاراتهم ، وهي مدينة ذات جمال رائع وبهاء وجلال .

نوطس: كانت أيام المسلمين مركز ولاية ، وذات أهمية عالية وظلت
هكذا حتى القرن السابع عشر (١)

وسارت عمليات فتح صقلية في البداية بنجاح كبير ، فبعد ثلاثة
أيام من الاقلاع من سوسة وصلت القوات العربية الى مرسى مازره ،
وبذلك قطعت في كل يوم مسافة مائة كليومتر ، ونزل العرب في مازره
وفتحوها ، ذلك أنهم لم يجدوا من يدافع عنها ، وهكذا أتيج لهم
انزال معداتهم ومأحملوه معهم .

في هذا الوقت بلغت الاخبار بلاطة فخف نحوهم على رأس قوات
علاقة ، قيل بلغت عشرة أضعاف القوات العربية ، وأعلن بلاطة أنه
سيقذف بالعرب الى البحر ، وتصدى له العرب واعترضوا سبيله

خارج مازرة ، وتقدم أسد بن الفرات على رأس القوات العربية ويبيده اللواء ، وهو يتلو آيات من القرآن الكريم ، وشجع جنده ورفع من معنوياتهم ، وحمل المسلمون معه بصدق وعزيمة ، فهزموا عدوهم هزيمة ساحقة .

وفرت فلول قوات بلاطة نحو سرقوسة ، ولاحقها المسلمون بدون تمهل وبذلك استولوا على جنوب صقلية ، ووقفوا أمام أسوار هذه المدينة ، وأخفق المسلمون في اقتحام هذه المدينة الحصينة ، وطال الحصار وقلت المؤن لدى المسلمين ، وطالب بعض الجند أسد بن الفرات بالعودة الى تونس ، فأدبهم ، وتابع الحصار ، وأخذت المؤن والمساعدات تصل الى داخل سرقوسة وكذلك وصلت بعض المساعدات الى العرب ، واستمر أسد بن الفرات يناضل حتى أجده القتل فتوفي شهيدا ، ودفن تحت أسوار سرقوسة .

واختار المسلمون أميرا جديدا اسمه محمد بن أبي الجواري ، وكانت معنوياتهم قد تدنت فاتخذ الأمير الجديد قرارا بالانسحاب وإخلاء الجزيرة والموءدة الى افريقية ، وفيماهم منسحبين واجههم اسطول كبير قدم من القسطنطينية نجدة لسرقوسة ، وسد الاسطول البيزنطي الطريق أمام المسلمين ، فعادوا مضطرين الى الجزيرة ، وعزموا على الجهاد والصبر حتى الشهادة ، ووصلت في ساعات الشدة هذه بعض الامدادات من افريقية ، والأهم انه وصل الى الجزيرة اسطول أندلسي قوي بقيادة أصبغ بن وكيل الذي اشتهر باسم « ابن فرغلوش » .

واتفق المسلمون معا على متابعة الجهاد في الجزيرة وصد الروم عنها ، على أن تكون الامارة عند تحقيق النصر لابن فرغلوش ، وحقق العرب عدة انتصارات وتوجهوا الآن لفتح مدينة قصر يانة ، فحاصروها ، وفي سنة ٢١٦ هـ / ٨٣١ م حل الوباء بين صفوف المسلمين فمات بسببه ابن فرغلوش ، ثم مات محمد بن أبي الجواري ، فولى المسلمون امورهم أميرا جديدا اسمه عثمان بن قهراب .

في هذه الأثناء انسحب الأندلسيون الى بلادهم فبادر زيادة الله ابن الأغلب بارسال جيش جديد الى صقلية قوامه ثلاثين ألفا بقيادة أمير عرف باسم زهير بن عوف ، فاشتد ساعد المسلمين واستؤنفت حركة الفتوح ، وسار العرب من نصر الى نصر .

وتوجه العرب الآن ضد مدينة بلرم ، وقاومهم الروم من داخلها مقاومة شديدة ، وحدث أثناء الحصار أن تمكنت قوة عربية سنة ٢١٩ هـ / ٨٣٤ م من فتح مدينة مسينا ، مما كان له أكبر الآثار على الوضع في بلرم ، وهكذا في سنة ٢٢٠ هـ / ٨٣٥ م تفاوض الروم مع العرب على أن يسلموهم بلرم شريطة السماح لهم بالانسحاب بحرا الى القسطنطينية ، وهذا ماكان واتخذ العرب بلرم عاصمة لهم في الجزيرة ومنها أخذوا يتابعون أعمال الفتح .

وبات الروم الآن والقوات المسيحية محصورين في مثلث من صقلية يمتد من الشرق نحو الجنوب الغربي من مسينا الى قصر يانة ثم يرجع من قصر يانة نحو الجنوب الشرقي الى مدينة نوتو ، وحاول المسلمون خرق هذا المثلث أولا باحتلال قصر يانة فأخفقوا ، ثم باحتلال سرقوسة فأخفقوا أيضا ، وفي سنة ٢٢١ هـ / ٨٣٦ م توفي الأمير زهير بن عوف ، فولى أمر الجزيرة أغلبي هو أبو الأغلب ابراهيم بن عبد الله بن الأغلب .

رأى الأمير الجديد أن وضع المسلمين وقواهم في نمو مضطرد ، لكن المساعدات البيزنطية لم تنقطع عن الجزيرة فقرر عزلها بحريا ، وحقق الاسطول العربي نجاحات واسعة حيث دمر السفائن البيزنطية واستولى على بعض منها ونشر الرعب في قلوب جميع الأعداء .

وتمكن المسلمون سنة ٢٢٣ هـ / ٨٣٨ م من احتلال جزء من قصر يانة ثم انسحبوا منها ، وفي هذه الآونة وزع العرب نشاطاتهم بين اكمال فتح صقلية وفتح الجنوب الايطالي ، وبالفعل تدخل العرب في ايطاليا أولا لصالح مملكة نابولي واستطاعوا احتلال أجزاء واسعة من ايطاليا واستولوا على مدينة باري الساحلية ، ووصلت

قواتهم الى ارباض روما لاحتلالها ، لكن نشوب بعض الخلافات الداخلية بين صفوفهم ردتهم .

ومنذ سنة ٢٣٨ هـ / ٨٥٣ م غدت مدينة باري مقرا لامارة عربية مستقلة تحكم الجنوب الايطالي ، واليه نقلت المعارف العربية والفنون على اختلاف ألوانها ، وهكذا عبرت الحضارة العربية عبر صقلية والجنوب الايطالي الى داخل أوروبا مما سيكون له فيما بعد ابعاد الآثار وأهمها .

وفي سنة ٢٣٩ هـ / ٨٥٤ م حاول العرب مجددا فتح روما والاستيلاء ايضا على جميع سواحل ايطاليا ، وفتح جزيرة كريت - وهذا موضوع سنعود له بعد قليل - وحقق العرب نجاحات كبيرة في البحر ضد الاساطيل الأوروبية ، ومجددا بدا البحر المتوسط يتحول الى بحيرة عربية ، وتوالى النجاحات داخل صقلية ، وتمكن العرب ايضا من فتح جزيرة مالطة ، لكن المؤسف أن امكانات دولة الأغالبة كانت لاتسمح بمتابعة الانفاق على مشاريع الجهاد البحرية والبرية ، ولنتذكر أن فتح صقلية احتاج سبعين سنة ، وقد نجم عن الذفقات الكبيرة وسواها أزمات خانقة داخل أوساط الأغالبة وفي افريقية عامة ، وفيما جهود الأغالبة منصرفه الى ايجاد الحلول للمشاكل الداخلية ولتتابعة الجهاد في صقلية وفي الجنوب الايطالي (١١) ، استغل دعاة الدعوة الاسماعيلية هذا الوضع ، فذشطوا في بيار كتامة وسواها ، وأخيرا تمكن أبو عبد الله من الاطاحة بالحكم الأغلبي واقامة الخلافة الفاطمية في المغرب.

إنه قدر لايعرف الرحمة ، كيف أطيح هكذا بدولة الأغالبة العربية وجبهات الجهاد بالمتوسط بأمر الحاجة اليها والى قواها ، والشيء نفسه تكرر فيما بعد على أرض المغرب العربي ، فعندما تفرغت دولة المرابطين لاسترداد الأراضى العربية ، تعرضت هي الأخرى لما نجم عن دعوة المهدي بن تومرت ، وسقطت ذولة المرابطين للموحدين ، وذهبت بعض الآراء حديثا الى ابن تومرت كان باطنيا؟ (١٢).

لقد بحثت في تاريخ قيام الدولة الفاطمية في أكثر من كتاب ، وليس بودي البحث في هذا الموضوع مجددا الآن ، بل الذي أبتغي تبليانه أن عبد الله المهدي ، أول خلفاء الدولة الفاطمية لم يستقر طويلا في مدينة القيروان ، ولم يتخذ مدينة تونس عاصمة له ، بل أنشأ مدينة المهديّة على ساحل المتوسط ، ولقد كان للفاطميّين سياسة بحرية خاصة بهم وأمتلكوا أساطيلهم ، لكنهم لم ينشطوا مثل الأغالبة ، ذلك أن أعينهم كانت ترنو نحو المشرق للانتقال إليه ، ومع ذلك لم يقصروا في الحفاظ على هيبة ملكهم ، وقد انعكس هذا كله على أوضاع صقلية .

بعيد دخول أبي عبد الله الداعي الى رقاد ، وأزالته الملك بني الأغلب ، راسله بعض المتنفذين في صقلية بالاعتراف بالسلطة الجديدة ، وكانت الأوضاع في الجزيرة آنذاك على درجة عالية من الاضطراب ، واستمرت كذلك وزاد الفاطميون بسياساتهم الاستبدادية الخرقاء في اضطراب الأحوال فيها واضعافها ، ففي سنة ٢٩٧ هـ / ٩١٠ م بعث المهدي الفاطمي الحسن بن أحمد بن أبي خنزير واليا من قبله على صقلية ، وكان ابن أبي خنزير هذا من زعماء كتامة ، فيه جفاء وجهل وعصبية ، أراد تغليب العنصر البربري على الجزيرة ، فقاومه أهلها وطردوه ، وعين المهدي واليا جديدا على الجزيرة ، لكن الأمور لم تعرف الاستقرار ، وأعلنت صقلية استقلالها وسلمت الحكم لأحمد بن زيادة الله بن قره ب ، وكان من أقرباء الأغالبة ، وانتمى ابن قره ب بالولاء الى الخلافة العباسية مما أثار خوف المهدي الفاطمي ، وفي سنة ٣٠١ هـ / ٩١٣ م بعث المهدي بأسطوله وجيشه ضد صقلية ، فردّه أهل صقلية بعدما مروا ببعض سفنه وفي سنة ٣٠٣ هـ / ٩١٥ م أرسل المهدي حملة ثانية ضد صقلية ، واستخدم وسائل الأرشاب وجيش دعائه ، فكان لذلك أثره ، حيث دانت الجزيرة مجددا للفاطميّين واعتقل ابن قره ب وحمل إلى إفريقية حيث أعدم ، ومع هذا ما لبثت الأمور أن عادت إلى الاضطراب في الجزيرة ، وكان لهذا تأثيرات مدمرة ، وقد تزامن مع ذلك مع بدايات نشاطات شعوب النورمان ، فأخذ هؤلاء ينشطون قرب صقلية ويسعون للتعاون مع

مسيحييها لكسب قاعدة في اطراف الجزيرة ، وكان المسلمون قد شغلتهم شؤونهم الداخلية وصراعاتهم عما سوى ذلك .

استمرت الأحوال المتردية في صقلية حتى سنة ٩٤٦ / ٣٣٥ م ، ففي هذه السنة عين الخليفة الفاطمي الثالث - المنصور اسماعيل الحسن بن علي بن أبي الحسين الكلبي الكتامي اميرا على صقلية ، فأسس فيها حكم أسرة وراثية استمرت تحكم الجزيرة حتى تساريخ سقوطها للنورمان ، وعرفت هذه الأسرة بالأسرة الكلبية ، وقد استمر حكم هذه الأسرة أكثر من قرن ، وخلال ذلك عاشت الجزيرة خيرة أيامها ، فقد تعربت ، وازدهرت فيها الثقافة العربية ، واستطاع أمراء الكلبيين الدفاع عن صقلية ضد محاولات القوى البيزنطية والأوربية وهزموها في عدة معارك مشرفة وهكذا ظل الجنوب الايطالي بأيدي المسلمين ، لا بل حاولوا فتح روما .

لقد ارسل الحسن بن علي عدة حملات ضد الجنوب الايطالي ، وفي سنة ٣٥٤ هـ / ٩٦٥ م خاض ضد الجيوش البيزنطية معركة المجاز التي عدت من اعظم معارك التاريخ الاسلامي ، فيها دمر القوات البيزنطية ، فقد التقت هذه القوات بشرزمة قليلة من المسلمين ، صمدت امام تفوق العدو العددي فانتهصرت ، وقتل المسلمون من البيزنطيين «خلقا عظيما حزت منهم رؤوس عشرة الاف » والطريف في خبر هذه المعركة أن الحسن بن علي «اعتل لفرط الفرح بما انعم الله به عليه ، فكانت وفاته من حمى حادة لسبعة أيام (١٣) ، وهكذا اعيقت اعمال استثمار نتائجها الكبيرة ، ولبت الأمر اقتصر على هذا !

حدثت هذه المعركة أيام المعز لدين الله الفاطمي ، وكانت الخلافة الفاطمية مشغولة بمد سلطانها على جميع بلدان المغرب ، استعدادا لتوجيه جيوشها ضد مصر ، لذلك عندما وصل الى المهدي وفد بيزنطي للتفاوض على الصلح استقبل بالترحاب ، وتعاهد البيزنطيون مع المعز لدين الله على عدم معاودة الهجوم على صقلية ، وذلك مقابل أن يخلي المسلمون لهم طبرمين ورمطة التي كان سكانها

من المسيحيين ، اي أن ما أخفقت بيزنطة في الحصول عليه في معركة المجاز بقوة السلاح نالته بالمفاوضات ، وهكذا نال العدو قاعدة على ارض صقلية ، كانت نقطة الانطلاق لاسقاط هذه الجزيرة .

فبعد معركة المجاز بأمد قصير تمكنت جيوش الفاطميين من الاستيلاء على مصر ، والى مصر ارتحل المعز لدين الله الفاطمي ، وهناك تورطت الخلافة بالصراع ضد القرامطة ومن أجل السيطرة على بلاد الشام ، وتركت صقلية بامكاناتها لوحدها لتواجه قوى اوربا المتنامية خاصة في المجال البحري لدى النورمان ولدى جمهوريات ايطاليا الناشئة .

وتأثرت صقلية بتردي احوال الخلافة الفاطمية ، وبتمزق الأندلس وبقيام حكم دول الطوائف ، ثم بما شهدته ساحات المغرب من رفض للولاء الفاطمي ، وهجرة قبائل هلال وسليم وقيام دعوة الرباط ، ورسم صورة ملخصة للأحوال في صقلية لسان الدين بن الخطيب بقوله : «ثم تداول ولاية صقلية أمراء من هذا البيت إلى أن انقطع عنهم امداد المسلمين ، لاشتغال كل جهة بما يخصها من الفتن ، فكان استخلاص العدو لها في سنة خمس وثمانين وأربعمائة (١٠٩٢ م) .

وكان عدو الله الذي تغلب عليها الملك رجار ، وهو الداهية ، العديم النظير في أبناء جنسه : حزما ودهاء وسياسة » (١٤)

وتحدث الشريف الإدريسي عن سقوط صقلية في كتابه نزهة المشتاق الذي قدمه لروجر الثاني بن قاهر صقلية فقال : «ولما كان في سنة أربعمائة وثلاث وخمسين سنة من سني الهجرة ، افتتح غرر بلادها وقهر بمن معه طغاة ولاتها واجنادها الملك الأجل والهمام الأفضل المعظم القدر ، السامي الفخر رجار بن تنقريد ، خيرة ملوك الأفرنجيين ، ولم يزل يفرق جموع ولاتها ، ويقهر طغاة حماتها ، ويشن عليهم الغارات في الليل والنهار ، ويرميهم بصنوف من الحتوف والبوار ، ويعمل فيهم ماضي الشفار ، وعوامل القنا الخطار

إلى أن استولى على جميعها غلبة وقهرا وفتحها قطرا فقطرا ، ،
وملكها ثغرا فثغرا ، وذلك في مدة ثلاثين عاما .

واقهرهم على أديانهم وشرائعهم ، وأمنهم في أنفسهم وأموالهم
وأهلبيهم وذرائعهم ، ثم أقام على ذلك مدة حياته إلى أن وافاه الأجل
المحتوم « (١٥)

لقد قاومت صقلية مدة ثلاثين سنة لوحدها ، وحين سقطت ،
سقطت عسكريا ، ولم تسقط من جوانب الحضارة والنظم ، ولم تقم
محاولات جادة لاستردادها ، وقد ورث النورمان أملاكها في إيطاليا ،
ولم يكتفوا بهذا بل احتلوا مالطة وهاجموا سواحل الشمال الأفريقي
فاحتلوا المهديّة وغيرها ، ولا شك أن هذا التراجع العربي كان له
أبعد الآثار في أحداث الحروب الصليبية ، ولقد أعطى الحكام
النورمان لجمهوريات ايطالية البحرية امتيازات تجارية واسعة في
جزيرة صقلية ، وسمحوا لهم باستثمار مؤسسات التجارة والصناعة
التي كان العرب قد شيّدوا صروحها بكل عناية وبراعة ، وفي المحصلة
«إن اعتداءات النورمان على ايطاليا وصقلية وشواطئ
الأدرياتيكى ، وهجمات جنوى وبيزا في المياه الغربية للبحر المتوسط
وهجمات الاقطاعيين الفرنسيين في الأندلس ، وحركات البنادقة في
المياه البيزنطية ، بالاضافة إلى التشجيع القوي الذي بذلته البسابوية
واتباع الإصلاح الكلوني للقيام بهجوم عام على المسلمين من أجل
دوافع دينية ، ثم العاطفة الدينية التي دفعت بالآلاف من مسيحي
غرب أوربا لزيارة الأماكن المقدسة ، هذه الاتجاهات كلها تفاعلت
فيما بينها لانتاج ما نسميه بالحرب الصليبية الأولى ، ويمكن القول
بعبارة أخرى : إن الحرب الصليبية الأولى تمثل خليطا مركبا من
عدة عناصر كانت تعمل منذ أمد في أحداث غرب البحر المتوسط ،
وتتلخص في العاطفة الدينية ، وجشع البحارة الايطاليين والمغامرين
الاقطاعيين للحصول على السلب والنهب ، والرغبة في كسب
الامتيازات في ميداني النقل والتجارة» (١٦)

★ ★ ★

ولم ينتزع العرب من الامبراطورية البيزنطية جزيرة صقلية فقط بل فتحوا أيضا جزيرة كريت (أقريطش) وحولوها إلى قاعدة بحرية عربية متقدمة وظلوا محتفظين بها لفترة طويلة ، وبالإضافة إلى كريت امتلكوا جزر الأندلس الشرقية - البليار - ومن المفيد أن نختم هذا الفصل بالحديث عن كريت ، ذلك أن الحديث عن جزر البليار هو مرتبط بتاريخ الأندلس والمغرب ، ولا يعزينا بهذا المدخل مباشرة (١٧)

وتعد جزيرة كريت بين أهم جزر المتوسط عرفت الحضارة قبل أن تعرفها بلاد الأغرريق ، وكانت لها عبر التاريخ علاقات مع مصر والشام وسواها ، وبعد قيام الاسلام ونجاح حركة الفتوحات حاول العرب أكثر من مرة فتح هذه الجزيرة ، لكن بيزنطة دافعت عنها وحالت بينهم وبين ذلك حتى مطلع القرن الثالث للهجرة .

واختلفت حكاية هذا الفتح عن غيرها من الفتوحات البحرية ، فقد كان فتحا «شعبيا» - إذا جاز التعبير - ولم يكن فتحا رسميا ، وراءه دولة أو نظام حاكم ، ونحن نذكر أن فتح الأندلس كان بحريا من بعض الجوانب ، وقد امتلك أهل الأندلس أساطيلهم منذ فترة مبكرة ، ولا صحة لما ذهب إليه بعض الآراء من أن الأندلس صار لديها أساطيلها بعدما تعرضت لمخاطر الفيكونكغ ، وجابت السفن والأساطيل الأندلسية جميع بقاع المتوسط للتجارة والنقل والأغراض الأخرى ، وجرت العادة في الأندلس أن «كل بلد يتخذ فيه السفن أسطول ، يرجع نظره إلى قائد من النواتية يدبر أمر حربه وسلاحه ومقاتلته ، ورئيس يدبر أمر جريه بالريح أو بالمجاذيف ، وأمر أرسائه في مرفئه » (١٨)

وبما أن الأساطيل العربية قد ملكت السيطرة على البحر المتوسط وامتداد الشواطئ العربية شرقا وغربا ، فقد اعتادت السفن الأندلسية على الرسو في أي بلد إسلامي . أرادت ، يقول ابن خلدون : « والساكنون بسيف هذا البحر وسواحله من عدوتيه يعانون من أحواله ما لا تعانیه امه من أمم البحار ، فقد كان الروم والأفرنجة

والقوط بالعدوة الشمالية من هذا البحر الرومي ، وكانت أكثر حروبهم ومتاجرهم في السفن ، فكانوا مهرة في ركوبه والحرب في أساطيله

فلما استقر الملك للعرب وشمخ سلطانهم ، وصارت أمم العجم خولا لهم وتحت أيديهم ، وتقرب كل ذي صنعة إليهم بمبلغ صناعته ، واستخدموا من النواتية في حاجاتهم البحرية أمما وتكررت ممارستهم للبحر وثقافته ، استحدثوا بصراء بها ، فشرهوا الى الجهاد فيه ، وأنشأوا السفن فيه والشواني وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح ، وأطوها العساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر ، واختصوا بذلك من ممالكهم وثغورهم ما كان أقرب لهذا البحر ، وعلى حافته مثل الشام وإفريقية والمغرب والأندلس

وكان المسلمون لعهد الدولة الإسلامية قد غلبوا على هذا البحر من جميع جوانبه ، وعظمت صولتهم وسلطانهم فيه فلم يكن للأمم النصرانية قبل بأساطيلهم بشيء من جوانبه ، وامتطوا ظهره للفتح سائر أيامهم ، فكانت لهم المقامات المعلومه من الفتح والغنائم ، وملكوا سائر الجزائر المنقطعة عن السواحل فيه « (١٩)

وكانت بعض الأساطيل الأندلسية قد اعتادت على الرسو أمام ميناء الاسكندرية عند قفولها من الغزو « ليبتاعوا ما يصلحهم ، وكذلك كانوا على الزمان ، وكانت الأمراء لا تمكنهم من دخول الاسكندرية ، انما كان الناس يخرجون اليهم فيبأيعونهم» (٢٠) لقد روى هذا الكندي في كتابه ولاية مصر ، وعرض ذلك لدى الحديث عن وقائع سنة ١٩٩ هـ / ٨١٤ م ، وكانت أوضاع مصر آنذاك مضطربة بدأت المشاكل فيها منذ أواخر أيام الرشيد واشتدت أثناء الصراع على الخلافة بين الأمين والمأمون ، واضطربت في الفترة التي مكث فيها المأمون في مدينة مرو ، واستولى أثناء بعضها إبراهيم بن المهدي على عرش الخلافة في بغداد.

وكان والي مصر المطلب بن عبد الله الخزاعي ، وعهد هذا والي

إلى محمد بن هبيرة بن هاشم بن حديج بولاية الاسكندرية ، واستخلف هذا الوالي عمر بن عبد الملك (ويقال له ايضاً عمر بن هلال) على ولاية الاسكندرية التي لم تنعم بالاستقرار ، ووجد فيها عدة قوى تصارعت من أجل السلطة في الاسكندرية .

وقام والي الفسطاط المطلب بن عبد الله ، بعزل عمر بن عبد الملك عن الاسكندرية وعين بدلاً عنه أخاه الفضل بن عبد الله ، وغضب عمر بن عبد الملك من عزله وتعيين المطلب لأخيه بدلاً عنه وأراد الاستيلاء على السلطة في الاسكندرية والخروج على والي مصر المقيم في الفسطاط . في هذه الأونة كان قد تغلب على بلدة تديس القريبة أحد قادة الجند واسمه عبد العزيز الجروي ، وطمع بالاستيلاء على مصر ، وعندما سير والي الفسطاط ضده حملة نهريّة هزمها عند شطونف على النيل وأسر أميرها السري بن الحكم ، ودعا الجروي عمر بن عبد الملك للتحالف ، فاستجاب وقرر الثورة بالفضل بن عبد الله وطرده من الاسكندرية ، ولكي يحقق هدفه رأى أن يستعين بالأندلسيين المرابطين أمام ميناء الاسكندرية . وكان عدد هؤلاء الأندلسيين يتراوح ما بين الأربعة آلاف إلى الخمسة وكان قوام أسطولهم أربعين سفينة ، ويرجع أنهم لجأوا إلى الاسكندرية في مطلع الخريف لذلك العام ، واستجاب هؤلاء لمطلب عمر بن عبد الملك فاستولوا معه على الاسكندرية ، ونادى عمر بن عبد الملك الآن بالجروي واليا على مصر ، لكن أهل الاسكندرية غضبوا من تدخل الأندلسيين في شؤونهم فثاروا بهم وأخرجوهم من المدينة بعدما قتلوا عدداً منهم ، وهكذا عاد الفضل بن عبد الله إلى عمله .

ولم يجلب هذا الأمن والاستقرار إلى الاسكندرية ، حيث قام المطلب بن عبد الله بعزل أخيه الفضل وعين بدلاً عنه اسحق بن أبرهة بن الصباح ، ثم مالّب أن عزله وعين بدلاً عنه أبا بكر بن جنادة بن عيسى المعافري ، الذي انتمى إلى عشيرة قوية ، ومع هذا لم يعد الاستقرار إلى الاسكندرية لأن الأوضاع اضطربت بشدة في الفسطاط حيث تحالف الجروي مع أسيره السري بن الحكم ضد المطلب واجتذب بعض جند الفسطاط إليهما مما اضطّر الفضل إلى

مغادرة مصر الى الحجاز بحرا ، وتسلم الولاية في الفسطاط السري
ابن الحكم بناء على اجماع الجند وكان ذلك في رمضان سنة
٢٠٠ هـ / ٨١٥ م .

وفي هذه الاثناء تمكن عمر بن عبد الملك من طرد المعافري من
الاسكندرية واستولى على مقاليد الامور فيها من جديد ، وبذلك اتاح
مجددا السبيل للاندلسيين للنزول في بر الاسكندرية ودخول المدينة ،
والتسلط على اهلها ، الذين كانوا قد اخرجوهم من قبل ونقموا
عليهم سلوكهم ونسبوا اليهم مفسد كثيرة .

وظلت خواطر اهل الاسكندرية غير مرتاحة لتسلط الاندلسيين ،
ولهذا قرر عمر بن عبد الملك اخراجهم الى سفنهم ، وهكذا فسدت
العلاقة بين الطرفين ، وتربص الاندلسيون شرا بعمر بن عبد الملك .

وساعدت اوضاع الاسكندرية الاندلسيين على احكام قبضتهم
عليها ففي ظل الاوضاع المضطربة والنزاعات على السلطة خرج من
بين صفوف اهل المدينة حركات شعبية كان ابرزها واحدة عرفت
بالصوفية ، تبني افرادها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ،
وصاروا يسيرون في المدينة وقد علقوا على اعناقهم المصاحف
« ويعارضون السلطان في امره ، فترأس عليهم رجل منهم يقال له
أبو عبد الرحمن الصوفي ، فصاروا مع الاندلسيين يدا واحدة ،
واعترضوا بلخم ، وكانت لخم اعز من في ناحية الاسكندرية ،
فخوصم أبو عبد الرحمن الصوفي الى عمر بن هلال في امرأة ، ففوض
على أبي عبد الرحمن ، فوجد في نفسه من ذلك ، وخرج الى
الاندلسيين ، والى بينهم وبين لخم ، ورجا اهل الاندلس أن يدركوا
من عمر بن هلال ، فساروا الى عمر وهم زهاء عشرة آلاف من لخم
ومن الاندلسيين ، ومن ضوى اليهم فحصره في قصره ، فعلم عمر
أن القصر لا يمنعه منهم ، وخاف أن يدخل عليه غنوة ، فيفضح في
حرمه ، فاغتسل وتحنط وتكفن ، وأمر أهله أن يدلوه اليهم فدلوا ،
فأخذته السيوف فقتل ، ثم دلي اليهم أخوه محمد بن عبد الله بن
محمد بن عبد الرحمن بن معاوية بن حديج فقتل ، ثم دلي اليهم ابن

عمه ابو هبيرة الحارث بن عبد الواحد فقتل ، ثم دلي إليهم حديج بن عبد الواحد فقتل وانصرف القوم
.

وكان مقتل عمر بن هلال واهله في ذي القعدة سنة مائتين ، ثم فسد أمر لخم والأندلسيين عند مقتل عمر بن هلال ، وقام بأمر لخم رباح بن قرة ، وسار الى الأندلسيين فحاربهم فانهمزمت لخم ، وظهر الأندلسيون بالاسكندرية عنوة في ذي الحجة سنة مائتين ، فولوها ابا عبد الرحمن الصوفي ، فبلغ من الفساد بالاسكندرية والقتل والنهب ما لم يسمع بمثله ، فعزله الأندلسيون عنها ، ولوا رجلا منهم يعرف بالكناني ، ثم حاربت بنو مدلج أهل الأندلس ، فظفر بهم الأندلسيون فنفوهم عن البلاد « (٢١)

وكانت انباء تغلب الأندلسيين على الاسكندرية قد وصلت الى عبد العزيز الجروي المتغلب على تديس ، ولم يرضه ما حدث لحليفه عمر ابن هلال ، وقرر استرجاع الاسكندرية من الأندلسيين ، وقام بعدة حملات ضد هذه المدينة وحاصرها أكثر من مرة فأخفق ، ثم إنه « سار الى الاسكندرية مسيره الرابع ، فأغلق الأندلسيون حصنها ، فحاصروهم الجروي أشد الحصار ، ونصب عليهم المنجنيقات ، وأقام على ذلك سبعة أشهر من مستهل شعبان سنة أربع ومائتين الى سلخ صفر سنة خمس ، فأصاب الجروي فلقة من حجر منجنيق ، فمات سلخ صفر سنة خمس ومائتين ، ومات السري بن الحكم بالفسطاط بعده بثلاثة أشهر « (٢٢)

لقد مكث الأندلسيون يتحكمون بالاسكندرية أكثر من عشر سنوات ، حيث ظلت الأمور مضطربة في مصر وفي المشرق ايضا ، ويبدو أن عدد الأندلسيين في الاسكندرية ازداد كثيرا بوصول أندلسيين جدد اليها لاسيما من سكان ربض قرطبة الذين ثاروا ضد الأمير الحكم بن هشام في سنة ٢٠٢ هـ / ٨١٧ م فبطش بهم ، وهدم الربض وأجلى أهله (٢٣) فجاء بعضهم الى المغرب الأقصى « فصعدوا الى مدينة فارس ، وكانوا ثمانية الاف بيت ، فنزلوا عدوة الأندلس وشرعوا بها في البناء يمينا وشمالا ... فسميت عدوة الأندلسيين « (٢٤)

وترجم ابن الأبار في الحلة السيراء للحكم بن هشام فتحدث عن
فدنة ربض قرطبة ووصف تدمير الربض وشتات سكانه حيث ساروا
« كل بحسب ما أمكنه ، واستمروا ظاعنين على الصعب والذلول ...
متفرقين في قصي الكور وأطراف الثغور ، ولحق جمهورهم بطليطلة
لمخالفة أهلها الحكم ، ولجأ آخرون الى سواحل بلاد البربر ،
وأصعدت منهم طائفة عظيمة - نحو الخمسة عشر ألفا - في البحر
نحو المشرق ، حتى انتهوا الى الاسكندرية » (٢٥)

وفي المشرق ترك المأمون مرو وجاء الى بغداد ، وأعاد هيبة الدولة
العباسية واستقرارها في المركز ، واهتم بشؤون مصر ، فوجه عبد
الله بن طاهر بن الحسين الى مصر ، فأقبل على رأس قوة برية
بحرية ، وتمكن من الاستيلاء على مدينة الفسطاط ودخل اليها « يوم
الثلاثاء لليلتين خلتا من ربيع الأول سنة احدى عشرة » ثم قرر
الزحف ضد الاسكندرية ، ونزل عليها « في ربيع الأول سنة اثنتي
عشرة ، وحصرها بضع عشرة ليلة ، فخرج اليه أهلها بأمان ،
وصالح الأندلسيين على أن يسيرهم من الاسكندرية حيث أحبوا ،
على أن لا يخرجوا في مراكبهم أحدا من مصر ، ولا عبدا ولا بقا ، فإن
فعلوا فقد حلت له دماؤهم ، ونكث عهدهم ، وتوجهوا ، فبعث ابن
طاهر من يفتش عليهم مراكبهم ، فوجد فيها جمعا من الذين اشترط
عليهم أن لا يخرجوهم ، فأمر ابن طاهر باحراق مراكبهم ، فسأله
أن يردهم الى شرطهم ففعل » (٢٦)

وسار الأندلسيون نحو جزيرة كريت حيث تمكنوا من فتحها ، لكن
لماذا نحو كريت ، ومن أين ولدت هذه الفكرة لديهم ؟ يبدو أن
الأندلسيين كانوا أثناء سيطرتهم على الاسكندرية قد تابعوا
نشاطاتهم داخل البحر المتوسط ، وقد اضطروا لذلك لتأمين المؤن
واسباب الاستمرار ، وهكذا أغاروا على كريت عدة مرات ، ولربما
أغاروا على صقلية ايضا ، وفي السنة التي نزل فيها عبد الله بن
طاهر الفسطاط بعثوا ضد كريت « عشر سفن أو عشرين ، عادت
بكثير من الأسرى والغنائم ، بعد أن عرفت المكان معرفة دقيقة » (٢٧)

ولعلمهم قصدوا كريت بعد مغادرتهم الاسكندرية لأنهم عرفوا اخبار مشروع الاغالبة لفتح صقلية الذي شرع في تنفيذه في العام نفسه ، وكان الأندلسيون حين قصدوا كريت تحت لواء قائد منهم اسمه أبو حفص عمر بن عيسى البلوطي ، ونزلوا على شاطئ كريت دون أن يلقوا مقاومة ، ولانعرف هل نزلوها للاغارة فقط أم للفتح ، وينقل فازلييف عن المصادر البيزنطية أنه « لم يكد جند العرب يبتعدون عن الشاطئ الى الداخل قليلا حتى أمر أبو حفص بحرق السفن ، فلما رجع العرب الى الشاطئ كادوا يثورون لما أحسوا من بأس خوفا على نساءهم واطفالهم ، فهداهم أبو حفص حينئذ وامتدح لهم غنى الجزيرة ، وجمال الكريتيات وصلاهن للزواج .

فلما استقر العرب في الجزيرة ابتدأوا حصنا حصينا أحاطوه بخندق عميق ، فسمي لهذا بالخندق ، ومن هنا جاء كما نعرف الاسم الحديث كاندى » (٢٨) وإذا صحت هذه الرواية لم تكن فكرة الاستقرار في كريت موجودة إلا في رأس البلوطي ، ومهما يك من أمر أكمل العرب فتح كريت ، ويقول فازلييف « وأخذ العرب تسعاً وعشرين مدينة لم تحفظ لنا أسماؤها ، واسترقوا سكانها ولم يسمحوا للمسيحيين بالاحتفاظ بدينهم إلا في مدينة واحدة » وانتمى الأندلسيون بعد استقرارهم في كريت الى الخلافة العباسية (٢٩)

كان على عرش القسطنطينية الامبراطور ميخائيل الثاني من الأسرة العمورية (٨٢٠ - ٨٢٩ م) وحاول هذا الامبراطور الحيلولة بين العرب وبين فتح صقلية ، كما جهد في سبيل استرداد كريت فأرسل لهذا الغرض ثلاث حملات بحرية باءت جميعا بالاففاق (٣٠) وكانت في هذه الأونة جبهة الثغور العربية البيزنطية مشتتة ، ففي منطقة الثغور اقام الخليفة المأمون وهناك قضى ، وبعد المأمون قام المعتصم بحملة عمورية الشهيرة ، ولاشك أن هذه الضغوط الشديدة على بيزنطة قد أرغمتها على توزيع امكاناتها العسكرية وهذا قد سهل بعض الشيء فتح كل من صقلية وكريت .

لقد احتفظ العرب بجزيرة كريت مدة تبلغ قرنا ونصف القرن

خاضوا خلالها معارك شديدة ضد الأساطيل البيزنطية ، واستطاع البيزنطيون استرداد كريت في الفترة التي تلاشت بها قوى الدولة العباسية ، وفي المقابل عاشت الامبراطورية البيزنطية في ظل حكم الأسرة المقدونية فترة ازدهار وقوة عسكرية ، وأنجبت هذه الأسرة واستخدمت عددا من كبار القادة العسكريين كان من أشهرهم نقفور فوقاس ، واستطاع نقفور أن يجتاح منطقة الثغور الشامية ، ولم تضر جهود سيف الدولة الحمداني في التصدي له حيث اقتحم على رأس قواته مدينة حلب وأحدث فيها مذبحة مهولة ودمارا مروعا وساق منها قطارا من الأسرى فيه أكثر من عشرين ألف فتى وفتاة ، ونقفور هذا نفسه استغل الضعف العربي فقام بحملة كبيرة ضد كريت في سنة ٣٥٠ هـ / ٩٦١ م واستطاع الاستيلاء عليها بعد ما واجه مقاومة هائلة ، وعندما وصل خبر سقوطها إلى القسطنطينية قبله شعبها بفرح عظيم ، وعلى العكس شعر المسلمون بحزن عميق وأسى كبير ، ومع أنهم في إفريقية وفي مصر ملكوا ما يكفي من الامكانيات لاسترداد الجزيرة تواكلوا وأهملوا الأمر ، واكتفى المعز بكتابة رسالة تهديد إلى بيزنطة وتقريع إلى كافور الاخشيدي ، لكن ذلك لم يجد ، والمشكلة هنا أن هموم المعز كانت منصرفة نحو احتلال مصر ، وهموم كافور كانت مستقطبة حول الدفاع عن ملكه ، (٣١) وكانت الأندلس منصرفة نحو همومها مع اعداء الشمال والصراع أيضا مع الفاطميين في بر المغرب الأقصى والبحر مع مشاكل أخرى .

لقد توالى الانتكاسات العربية في البحر المتوسط ، ومن الجانِب الآخر كانت قوى أوربا تتصاعد ، وقد أثر هذا تأثيرا كبيرا على مسار أحداث الحروب الصليبية ، وتعاضم التدهور في هذا المجال في المشرق أكثر منه في المغرب ، وقد أجمل ابن خلدون حكاية العرب والبحر المتوسط بقوله : « والمسلمون -٠٠- قد تغلبوا على كثير من لجة هذا البحر ، وسارت أساطيلهم فيهم جائية وزاهية ، والعساكر الاسلامية تجيز البحر في الأساطيل من صقلية الى البر الكبير المقابل لها من العدو الشمالية ، فتوقع بملوك الافرنج ، وتخذن في

ممالكهم... وانحازت أمم النصرانية بأساطيلهم الى الجانب الشمالي الشرقي منه ، من سواحل الأفرنجة والصقالبة وجزائر الرومانية لا يعدونها ، وأساطيل المسلمين قد ضربت عليهم ضراء الأسد على فريسته ، وقد ملأت الأكثر من بسيط. هذا البحر عدة وعددا ، واختلفت في طرقه سلما وحربا ، فلم تسبح للنصرانية فيه الواح .

حتى إذا أدرك الدولة العبيدية والأموية الفشل والوهن ، وطرقها الاعتلال مد النصراري أيديهم الى جزائر البحر الشرقية مثل صقلية واقريطش ومالطة ، فملكوها ، ثم الحوا على سواحل الشام في تلك الفترة ، وملكوا طرابلس وعسقلان وصور وعكا ، واستولوا على جميع الثغور بسواحل الشام ، وغلبوا على بيت المقدس ، وبنوا عليه كنيسة لظهار دينهم وعبادتهم ، وغلبوا بني خزرون على طرابلس ، ثم على قابس وصفاقس ، ووضعوا عليهم الجزية ، ثم ملكوا المهدية مقر ملوك العبيديين من يد أعقاب بلكين بن زيري ، وكانت لهم في المائة الخامسة الكرة بهذا البحر ، وضعف شأن الأساطيل في دولة مصر والشام إلى أن انقطع ، ولم يعتنوا بشيء من أمره لهذا العهد ، بعد أن كان لهم به في الدولة العبيدية عناية تجاوزت الحد كما هو معروف في أخبارهم ، فبطل رسم هذه الوظيفة هنالك ، وبقيت بإفريقية والمغرب فصارت مختصة بها

ثم تراجعت عن ذلك قوة المسلمين في الأساطيل لضعف الدولة ونسيان عوائد البحر . بكثرة العوائد السودية بالمغرب ، وانقطاع العوائد الأندلسية . ورجع النصراري فيه الى دينهم المعروف من الدرة فيه ، والمران عليه ، والبصر بأحواله ، وغلب الأمم في لحته وعلى أعواده . وصار المسلمون فيه كالأجانب إلا قليلا من أهل البلاد الساحلية لهم المران عليه لو وجدوا كثرة من الأمصار والأعوان ، أو قوة من الدولة تستجيش لهم أعوانا ، وتوضح لهم في هذا الغرض مسلكا « (٣٢)

ملاحق الكتاب

أسد بن الفرات

(من المقفى للمقرئزي - مجلة برتو باشا)

أسد بن الفرات بن سفيان ، أبو عبد الله ، مولى بني سليم ،
قاضي إفريقية •
أصله من أبناء جند خراسان •

ومولده في سنة أربع وأربعين ومائة ، وأقام بالكوفة • وكتب عن
أهلها وكتب بالري عن جرير بن عبد الحميد •

وأخذ الموطأ عن مالك بن أنس ، وروى عنه المسائل الأسدية ،
وهو معدود من كبار أصحاب مالك •
قدم مصر ، ومضى إلى إفريقية ، وولي القضاء بها من قبل زيادة الله
ابن إبراهيم بن الأغلب شركة مع أبي محرز محمد بن عبد الله بن
قيس في

ثم غزا جزيرة صقلية وذلك أن أهلها كانوا معاهدين • فنزع بعض
أهلها إلى زيادة الله يستدعيه إلى دخول الجزيرة ، وذلك أن ملك
الروم سخط عليه ، وكتب إلى صاحب صقلية أن يعاقبه ويمثل به •
فلما خافه استدعى أصحابه إلى الخلاف معه فأجابوه • فمضى في
مراكبه نحو سرقوسة إحدى مدائن جزيرة صقلية ، فنزل بمرساها
وقاتل البطريق الذي كان بها حتى قتله ، ثم لبس الديباجة التي
يلبسها الملوك والخف الأحمر ، وأخذ الأموال التي بسرقسوسة ،
واستولى عليها ، وأعطى أصحابه الأموال ، ثم رغب إلى زيادة الله
في أن يمدّه •

فجمع زيادة الله العلماء وشاورهم في غزو صقلية • وكان في

عهدهم أنهم إذا دخل عندهم رجل من المسلمين مرتداً أن يسلموه الى المسلمين فأحضر زيادة الله أسد بن الفرات وأبا محرز ، في آخرين وسألهم عن ذلك ، فقال أسد : نسأل رسلكم إن كانوا احتبسوا احداً من المسلمين ارتد عندهم •

فسألوهم فقالوا نعم ، فعلنا ذلك ، ولا يحل لنا في ديننا رد من أتى إلينا ودخل في ديارتنا •

فقال أسد : قد نقضوا عهدهم وجاز لنا أن ننقض ما عقدنا لهم ، وإنما تتأذى إلينا الحقائق عنهم برسلكم فبهم عاهدناهم وبهم نجعلهم ناقضين ، وقد قال الله تعالى : « فلا تهذوا وتدعوا الى السلم وأنتم الأعلون » (١) • فكما لاندع السلم ونحن الأعلون فكذلك لانتمسك به ونحن الأعلون •

فأخذ زيادة الله بقول أسد وأمر بإنشاء المراكب والاستعداد للغزو • وعرض أسد نفسه على زيادة الله للخروج في الغزاة ، فولاه على الجيش ، وفيهم أشرف أهل إفريقية من قریش ، والعرب ، والجند ، والبربر ، والأندلسيين ، وأهل العلم والبصائر ، وأقره على القضاء مع قيادة الجيش • فخرج في حفل عظيم ، وعدة جليلة في شهر ربيع الأول سنة اثنتي عشرة ومائتين • فقال لمن حوله والله ما ولي أبي ولا جدي ولاية قط ، ولا رأى أحد من أهل بيتي ولا سلفي مثل هذا الجمع يتبعه ، ولا بلغت ما ترون إلا بطلب العلم فأجهدوا أنفسكم في طلبه ، فإنكم تنالون به الدنيا والآخرة •

واجتمع لزيادة الله من المراكب سبعون مركباً ، وجعل فيها سبعمائة فرس ، ثم فصل أسد بالعساكر يوم السبت للنصف من شهر ربيع الآخر ، فكانت طريقه على قلعة البلوط ، ثم على قرى الريش ، ثم سار الى قلعة الدب وقرية الطاووس • وذلك أنهم أصابوا في القلعة دبا أنيسا ، وفي القرية طاووسا • ثم سار الى معركة بلاطة فظهر له فيها جمع من الروم فنازلهم وواضعهم الحرب فانهزم المشركون ، وأصيب لهم خيل وسلاح • ومن ذلك اليوم

سميت معركة بلاطة • ثم دخل الى حصون الروم ومدنهم وقراها
يذسفها ويغير عليها • وبعث السرايا الى قصور صقلية وقراها
فأصابوا سبيا كثيرا ، ومن الدواب والمواشي ما لا يحصى كثرة •
وكثرت الغنائم عند المسلمين فصاروا في رغد من العيش ، حتى نزل
على سرقوسة ، وحصر أهلها أشد الحصار ، ونصب عليهم المجانيق
وقاتلهم برا وبحرا •

وكانت المراكب تأتيهم من القسطنطينية لتنصرهم ، فربما تغلب
المسلمون عليها قبل دخولها • وبت السرايا من كل جهة ، واختط
الناس المنازل من سرقوسة الى قطنانية وما حولها ، وتزوج
المسلمون في الروم وسكنوا القرى ، وسارع الناس الى إمدادهم
والغزو إليهم من إفريقية والأندلس وغيرهما ، وأتتهم مراكب من
الأندلس فيها كليب الأعرج ورجل يقال له المشاط فنزلوا وافتتحوا
قلعة تعرف بقلعة حفص • وأحرق أسد مراكب سرقوسة وقتل
جماعة من أهلها فانقطعت المواد عن سرقوسة ، واشتد عندهم
الغلاء وذبحوا خيولهم • وأشير على أسد أن يرجع وقيل له : سلامة
مسلم واحد خير من الروم بأسرهم ، فأبى أن يرجع وقال : ما كنت
لأضيع على المسلمين غزاة وفيهم خير كثير •

وامر بالزحف واخذ اللواء بيده وقرا سورة يس حتى فرغ منها ،
ثم قال : أيها الناس ، لاتهابوهم ، إنهم عبيدكم ، هربوا من
أيديكم ، ثم هم قد وقعوا لكم يشير الى من انهزم من الروم عند فتح
إفريقية •

ثم إنه زحف وقاتل قتالا كثيرا ، واشتدت الحرب ، وهزم الله
المشركين ، وكانوا في مائة ألف وخمسين ألفا ، وقتل بلاطة ملكهم في
خلق كثير منهم • وجرح أسد ، فلم تزل به جراحته حتى مات وهو
على حصار سرقوسة في شهر رجب سنة ثلاث عشرة ومائتين فدفن
بمدينة بلرم •

جرجي الأنطاكي وزير روجار

(من المقفى للمقريزي - مجلد برتو باشا)

جرجي بن ميخائيل الأنطاكي ، وزير روجار ملك الافرنج بجزيرة صقلية . كان من جملة النصارى وعمل هو وأهل بيته ملك القسطنطينية مدة ورفع عليه وعلى أهله فأمر الملك بوصولهم إليه بالأهل والولد ، فجمعوا في مركب وخرجوا في أربعين نفسا فلقبهم أسطول السلطان تميم بن المعز بن باديس صاحب بلاد الغرب ، وذلك في سنة ذيف وثمانين وأربعمائة ، وهو راجع من غزو جزائر القسطنطينية ، فأخذهم وأتى بهم الى المهديّة من أرض إفريقية . فسألوا الحضور بين يدي تميم فأمر بإحضارهم فذكروا أنهم حسب أن السلطان ينتفع بهم في الخدم. فأحسن تميم اليهم وقبّلهم الأمور. فظهر نصحبهم وولى جرجي هذا عاملا على مدينة سوسة وجعل سمعان أخاه بين يديه وكان لم يبلغ الحلم. فجعل يلتقط الأخبار من أخوته ومن غيرهم ويوصلها اليه. فبلغ السلطان يحيى ابن تميم عن سمعان أنه نقل عنه كلاما. فضاّق به صدره وثقل على يحيى بن تميم فأمر من خذقه ليلا.

ومات السلطان تميم وقام من بعده ابنه يحيى بن تميم فخافه جرجي ، وكتب الى السلطان عبد الرحمن (٢) وزير الملك روجار بن روجار ملك الافرنج المعروف بأبي تليس صاحب جزيرة صقلية يأمره فيه أن يبعث له شيزيا غزوانيا ليهرب فيه . فوصل الشيزيني الى المهديّة في سنة اثنتين وخمسمائة ، وفيه رسول الى السلطان يحيى ابن تميم . فأخذ جرجي وجميع أقاربه وسار بهم بحيث لم يعلم به أحد .

فلما قدموا عليه أحسن إليهم وولاهم الدواوين بصقلية فإظهروا
النصح فصار لهم عنده منزلة • وشب الملك روجار وشارك عبد
الرحمن الوزير في الأمر والنهي • فتقرب إليه جرجي بكل ما
يوافقه • فبعث جرجي رسولا إلى مصر كرات متعددة •

ولم يزل جرجي يسعى بالسلطان عبد الرحمن حتى أخذه روجار
وجعله في قفص حديد وقتله • وولى وزارته أبا الضوء كاتب
إنشائه ، وكان من أهل الأدب ، فلم ينهض بالأمر فولى جرجي
الوزارة فجمع الأموال ورتب قواعد الملك وحجب روجار عن الرعية ،
وجعل له زيا كزي المسلمين ، لا يركب ولا يظهر للرعية إلا في
الأعياد ، وبين يديه الخيل المسومة بسروج الذهب والفضة ، والأجلة
المرصعة بالأحجار ، والقباب بالهواذج ، والبند المذهبة والمظلة
والتاج على رأسه •

ونعت جرجي بالسيّد الأجل المرتضى عز الملك المظفر فخر الجلال
نظام الرئاسة زعيم الجيوش شرف الوزراء أمير الأمراء • وأوقف
روجار على سير الملوك ، وأمر كاتباً من كتابه يعرف بالحنش فجمع
له سيرة •

فلما كانت سنة ثلاث وأربعين وخمسمائة عند أخذ المهديّة بلغت
شوانيه مائتي شيني ومائة طريدة ، غير الحمالة • فخرج جرجي في
الأسطول بنفسه وفتح الجزائر التي بين المهديّة وصقلية • ثم صار في
ملكه من سواحل إفريقية ما بين أول طرابلس إلى الحمامات بقرب
تونس ، وفي البر إلى قرب القيروان • واتسعت دولة روجار بتدبير
جرجي • فلما وقع الغلاء في المغرب مع الفتن ، رحل إليه من الأمراء
والقضاة والفقهاء والأدباء والشعراء عالم كبير ، فأوسعهم جرجي
وروجار رفدهما وأنزلاهم عندهما ، فعمرت الجزيرة أحسن عمارة
وقصدها السفارة من كل البلاد بأنواع البضائع وطرف التجارة ،
إلى أن كانت سنة ست وأربعين وخمسمائة ، مات جرجي الوزير
وهو في التسعين • فأقر روجار ولده ميخائيل بن جرجي في
الوزارة •

ثم مات روجار في العشر الأول من ذي الحجة سنة ثمان وأربعين
• وخمسمائة

جعفر بن محمد الكلبي الصقلي

(من المحقق للمقريزي - مجلة برتو باشا)

جعفر بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين ، الكلبي ، الصقلي ، أمير صقلية •

كان من أمراء بني أبي الحسين بصقلية يتوارثون إمارتها مدة سنين ، وأول من ولي منهم الحسن بن علي في سنة ست وثلاثين وثلاثمائة من قبل الإمام المنصور بنصر الله أبي الطاهر إسماعيل بن محمد القائم بأمر الله بن عبيد الله (٣) المهدي الفاطمي •

ثم ولي بعد الحسن بن علي ابنه أبو الحسين أحمد بن الحسن ، ثم أبو القاسم علي بن الحسن بن علي ، ثم ابنه جابر بن أبي القاسم علي ، ثم جعفر بن محمد هذا •

وكان أبوه أبو عبد الله محمد بن الحسن قد قدم إلى مصر مع المعز لدين الله ، ومات بالقاهرة. فلما مات المعز واستخلف من بعده ابنه العزيز بالله أبو منصور نزار بن المعز ، ووافق حمزة بن ثعلبة الكتامي بأسوان في سنة ثمان وستين وثلاثمائة أخرج إليه جعفر بن محمد هذا ، فأخذه وبخل به القاهرة ومعه أمواله وجواهره ونعمه ، فلم يكتف به •

أبو القاسم علي بن حسن أمير صقلية لعشر بقين من المحرم سنة اثنتين وسبعين في الجهاد، وقام من بعده ابنه جابر كتب قوم من أهل صقلية إلى العزيز يعرفونه عجز جابر عن القيام بأمر صقلية • فأمر العزيز جعفر بن محمد هذا أن يمضي من مصر إلى صقلية وعقد له بولايتها • وقد كان في رتبة أبيه من الوزارة والحال الجليلة • فخاف منه الوزير يعقوب بن كلس وأراد إبعاده ، فحسن للعزيز

ولايته صقلية وعرفه أن الثغر يتلف ما لم يله ، فتمت حيلاته وولاه
العزیز •

فخرج من القاهرة في البر ، ومعه خيل يسيرة فوصل الى مدينة
المنصورية يوم الأربعاء لخمس خلون من صفر سنة ثلاث وسبعين
وبين يديه عشرون فرسا بالسروج المحلاة المثقلة ، وخمسة بنود
مذهبة وخمس عماريات ، ومه سبكتكين التركي فلقبه عبد الله بن
محمد الكاتب وأنزله • فنادى مناديه في الناس بإعطساء الأرزاق
السنية ، فأتاه جماعة من الناس فلم يحمل ذلك عبد الله
ونادى : « من مضى الى جعفر بن محمد بن الحسن فقد حل دمه » •
وأخذ قوما سائرين نحوه فضرب أعناقهم • فرحل عند ذلك للنصف
منه يريد المهديّة ، ورحل معه عبد الله فأتته ثاني يوم وصوله خمسة
مراكب حربية من صقلية بهدايا جليلة وعدة عظيمة بعث بها إليه ابن
عمه جابر بن أبي القاسم • فركب فيها يوم الجمعة لليلتين بقيتا من
صفر وسار الى صقلية فتسلمها من جابر بغير مدافعة واستقامت له
أموره •

وكتب إليه العزيز في سنة خمس وسبعين يأمره أن يدفع الى
الراهب الذي هو أبو جاريته السيدة العزيزية ، القلاع التي افتتحها
جده الحسن علي بن بي الحسين ، وأن يدفع إليه كل شيء عنده من
قديم وحديث فقدم الراهب الى صقلية فأنزله جعفر ووكل به ومنع
أن يدخل عليه أحد ، حتى إنه كان إذا عبر الحمام صاحبه عدة من
المسلمين حتى يدخل ويخرج فيردونه الى موضعه • فأقام على هذا
نحو أربعة أشهر • ثم جمع له كل شيخ وعجوز وعليل من النصاري
ودفعهم إليه ، وهم نحو مائة نفس وأمره بالرحيل ، (فأقلت وما
صدق بنجاته) فمضى الى القسطنطينية ، وكتب الى العزيز بما كان
فيه مع جعفر • وأمر جعفر بعد مسير الراهب فاشترى مركبا
أندلسيا وشحنه بطرائف الأندلس وأظهر أن ابن أبي عامر بعثه إليه ،
وكتب الى العزيز بأن صاحب الأندلس قد كتب إليه يدعو الى طاعته
ويعده أن يقطعه من الأندلس كل ما يسأله • فكتب إليه العزيز بأن

سلفه من بني أبي الحسين ما عرفوا قط إلا طاعته وطاعة
أبائه - يحضه عليها - فبقي جعفر يداري أمره ، والقلاع بأيدي
المسلمين ، فلم يرم أن مات في يوم (...) سنة خمس وسبعين
وثلاثمائة فولي بعده أخوه عبد الله بن محمد.

تاج الدولة الكلبي

(من المقفى للمقريزي - مجلدة برتو باشا)

جعفر بن يوسف بن عبد الله بن محمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين ، الكلبي ، أبو محمد ، ابن أبي الفتوح - ويقال أبي الفتوح - الأمير تاج الدولة ، سيف الملة ابن الأمير ثقة الدولة •
أحد أمراء صقلية المعروفين بـ « بني أبي الحسين » • قام بأمر صقلية نيابة عن أبيه الأمير أبي الفتوح ثقة الدولة يوسف لما فلج وتعطل جانباه الأيسر في سنة ثلاث وأربعمائة ، فلقبه الحاكم بأمر الله منصور بن العزيز بـ « تاج الدولة وسيف الملة » فاستقر على ولايته •

وفي آخر رجب سنة خمس وأربعمائة خالف عليه أخوه الأمير علي ابن يوسف ، فقتله بمعونة أخويه أحمد وحسن •

ثم خرج أهل صقلية عن طاعته لظلمه وحصره ، فخرج إليهم أبوه يوسف في محفة حتى ردهم عن محاربته ، وصرفه عنهم ، وولى عليهم ابنه تأييد الدولة أحمد الأكل بن يوسف في سادس المحرم سنة عشر وأربعمائة ، وسيره من صقلية إلى القاهرة فقدمها •
وسار أبوه من بعده إليها بأموالها وكانت كثيرة جدا •

جواهر الجدالي

(من المقفى للمقرىزى - مجلدة برتو باشا)

اصله من قبيلة جداله احدى قبائل البربر في صحراء بلاد المغرب التي يخرج اليها من السوس الأقصى.

قدم مصر حاجا في عشر الخمسين وأربعمائة ، ومر في طريقه بالسوس الأقصى على رجل يقرأ عليه مذهب الامام مالك وحديث النبي صلى الله عليه وسلم . فسمع منه فأعجب به . فلما عاد من الحج الى السوس قصد ذلك الفقيه . فلما سمع كلامه قال له : يا فقيه ، ما عندنا من هذا الذي تذكره شيء إلا الشهادتين والصلاة .

فقال له الفقيه : فاحمل معك من يعلمهم عقائد الاسلام وكمال دينهم . قال : فابعث معي أحد الفقهاء ، وعلي حفظه وبره واكرامه .

فأرسل معه فقيها من طلبته يقال له عبد الله بن ياسين فدخل الجواهر وعبد الله بن ياسين الى الصحراء ، وفيها قبائل ، منهم لتونة ، وجدالة ولطة ومسوفة وغيرهم ، فنزلا على قبيلة لتونة ، وهي على ربوة عالية . فلما عاينا القبيلة نزل الجواهر عن جملة واخذ الجمل الذي عليه عبد الله بن ياسين ، تعظيما له .

واقبلت اعيان لتونة يتلقون الجواهر الجدالي ليهنؤوه - كما جرت العادة - بالسلامة ، وكان من اكابر تلك الصحراء . فراوه يقود ذلك الجمل فقالوا له : من هذا ؟

فقال : حامل سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قد جاء يعلم اهل الصحراء ما يلزمهم في دين الله من الاسلام .

فرحبوا بهما وأنزلوهما . ثم اجتمعت طائفة كبيرة من تلك القبيلة وقالوا : تذكر لنا ما أشرت اليه أنه يلزمنا .

فقص عليهم عبد الله عقائد الاسلام وقواعده وبين لهم ، حتى فهم ذلك أكثرهم . ثم اقتضاهم الجواب فقالوا : أما ذكرت من الصلاة والزكاة فذلك أمره قريب ، وأما قولك : من قتل يقتل ، ومن سرق يقطع ، ومن زنى يجلد ، فأمر لانتلزمه ، ولاندخل تحته . اذهب الى غيرنا !

فرحل عبد الله والجوهر عنهم ، والجوهر الجدالي يجبر زمام جمل عبد الله بن ياسين . فنظر اليه شيخ كبير السن من لمتونة ، فقال : ارايتم هذا الجمل ؟ لابد أن يكون له في هذه الصحراء شأن يذكر في العالم .

وانتهوا الى جدالة قبيلة الجوهر ، فتكلم عبد الله بن ياسين فيهم وفيمن اتصل بهم من القبائل . فمنهم من سمع وأطاع ، ومنهم من عصى . ثم إن المخالفين لهم تحيزوا وتحزبوا . فقال عبد الله بن ياسين للذين أقبلوا عليه وقبلوا سنة الاسلام : قد وجب عليكم أن تقاتلوا هؤلاء المخالفين للحق ، الذين أنكروا دين الاسلام واستعدوا لقتالكم . فالفوا لكم حزبا وأقيموا لكم راية ، وقدموا عليكم أميرا . فقال الجوهر : أنت الأمير .

قال عبد الله : لايمكنني هذا ، إنما أنا حامل أمانة الشرع وأقصر عليكم نصوصه ، وأبين لكم طريقه ، وأعرفكم سلوكه ، ولكن كن أنت الأمير ! فقال الجوهر : لو فعلت هذا لتسلط قبيلي على الناس وعاثوا في الصحراء ، ويكون وزر ذلك علي .

فقال عبد الله بن ياسين : فهذا أبو بكر بن عمر رأس لمتونة وكبيرها يفعل ذلك .

فأجاب . فعقدوا له راية وبايعوه بيعة الاسلام ، وتبعته زمرة من قومه وسماه عبد الله بن ياسين أمير المسلمين ، وعادوا الى جدالة وجمعوا اليهم من أمكن من الطوائف الذين حسن اسلامهم وسماهم عبد الله « المرابطين » .

وتألبت عليهم احزاب من الصحرَاء معاندون من اهل الشر والفساد (فلم يقاتلهم المرابطون بل استعان ابن ياسين وأبو بكر بن عمر على اولئك الاشرار بالمصلحين من قبائلهم ، فاستمالوهم وقربوهم حتى حصلوا منهم تحت زرب عظيم وثيق نحو ألفي رجل من أهل البغي والفساد) (٤) وتركوهم اياما بغير طعام. ثم أخرجوهم شيئا بعد شيء وقتلوهم عن آخرهم. ومن ذلك الوقت دانت لهم أكثر القبائل واستقام خلق كثير.

ولما ولي الأمر أبو بكر بن عمر استبد به دون الجوهر فداخل الجوهر الحسد وشرع في فساد الأمر سرا . فعلم ذلك ، وعقد له مجلسا وثبت عليه ما ذكر عنه فحكم فيه بأنه يجب عليه القتل لأنه نكث البيعة وشق العصا ، وهم بمحاربة أهل الحق . فقال الجوهر : « وأنا ايضا أحب لقاء الله حتى أرى ما عنده » .

ثم كثرت طائفة المرابطين ، وساروا لقتال الفرنج فقتل عبد الله ابن ياسين ، وذلك في عشر السنتين وأربعمائة . ثم جمع أبو بكر بن عمر قبائل السوس حتى أخذ مدينة سلجماسة ، وولى عليها يوسف ابن تاشفين اللمتوني ، من بني عمه ، وعهد اليه من بعده . فلما مات أبو بكر ، خلفه يوسف بن تاشفين ، ودعي بأمر المسلمين . فافتتح بلاد المغرب شرقا وغربا بأيسر سعي ، وبني مدينة مراکش . ثم أخذ المعتمد بن عباد ملك الأندلس . ثم مات فقام من بعده ابنه علي بن يوسف ، ثم اسحاق بن علي بن يوسف . وقتل اسحاق سنة اثنتين وأربعين وخمسمائة ، وانقضت دولة الملتئمين التي أنشأها الجوهر الجدالي بقيام دولة الموحيدين على يد محمد بن تومرت .

الوزير اليازوري

(من المقفى للمقرىزى - مجلة برتو باشا)

الحسن بن على بن عبد الرحمن ، أبو محمد
اليازوري ، الوزير الأجل الأوحى المكين ، سيد الوزراء وتاج
الأصفىاء ، قاضى القضاة وداعى الدعاة ، علم المجد ، خالصة أمير
المؤمنين ، الناصر للدين .

كان أبوه من أهل ضيعة من ضياع فلسطين يقال لها
« يازور » ، وله بها حال متسعة كبيرة . فلما اتسعت حاله ، وكثر
ماله ، أنف من المقام بها وتحول الى الرملة وسكنها فشهـر
بها . وعرف بالصدق فى القول وسماحة النفس ، فتقدم الشهود
بها ، ورد اليه قضاء أكثر أعمال الرملة . ونشأ له ابنان أصغرهما
الحسن هذا . فخلف أخاه القائم بعد أبيه ، وأربى على أبيه وأخيه
فى حسن الطريقة وجميل السيرة وشرف الأغلاق .

واتصل بخدمة خيرة جارية الوزير على بن أحمد الجرجرائى
فأحسنن اليه واعتنت به ومنعت من التعرض لصرفه من الحكم الى
ان توفيت ، فصرف عن الحكم .

وقدم الى القاهرة وتلطف بكثرة مداخلته وتوصل الى خدمة
السيدة أم الخليفة المستنصر وواظب خدمتها وخدمة حواشيها ولازم
بابها للاستعفى فى عوده الى الحكم بفلسطين . وصار يتردد الى
الوزير أبى نصر صدقة بن يوسف الفلاحى حتى اختص به وأفضى
اليه بما يجده من استبداد أبى سعد سهل التستري بأمور الدولة وما
يلقى من امتهانة له ، فيشاركه فى التدبير عليه ويلقنه من ذلك ما يجد

به سبيلا الى المكر به . فزفر منه ابو سعد ومقتته وهم بالايقاع به ، فعوجل وقتل ، واليازوري مع ذلك يتردد الى قاضي القضاة وداعي الدعاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان ولاينقطع عنه ليرده الى الحكم ببليده . ففهم القاضي سوء رأي أبي سعد التستري فيه فانحرف عنه ولم يلتفت اليه . واستمر عليه لهذا بعد قتل أبي سعد .

فاتفق ان قاضي القضاة حضر يوما بباب البحر، أحد ابواب القصر، على عادته في كل اثنين وخميس ، وجلس ينتظر خروج السلام اليه ، وجلس معه من الشهود من جرى رسمه بذلك ، فدخل اليازوري وجلس معهم فالتفت اليه القاضي وقال له . بأمر من جلست ههنا ؟ اتظن ان المجالس كلها مبذولة لكل أحد ان يجلس فيها ؟ لهذا مجلس لايجلس فيه الا من اذنت له حضرة الامامة وشرفته به . أخرج ، فوالله لاتصرفت على أيامي أبدا .

فخرج ورجلاه لاتكادان تحملانه ، ووقف على باب البحر الى ان خرج قاضي القضاة ، فسار في أعقابيه وسبقه ووقف بباب داره ، فلما نزل صقع (٥) له استعطافا لئلا يريه أنه وجد من كلامه ، فلم يعره طرفه ودخل ، فانصرف اليازوري . ولقيه القاضي ابو عبد الله محمد بن سلامة القضاعي خليفة قاضي القضاة فقال له : ياأبا محمد ، قد كان يجب ان لاتريه وجهك عقيب ما جرى لك معه اليوم .

ثم انصرف عن القضاعي وأقبل على أبي عبد الله أحمد بن محمد ابن أبي زكريا خليفة قاضي القضاة فخطابه بأجفى من خطاب القضاعي له . فتركه وقد عظم همه .

ووافي منزله فوجد قد حضر اليه من ضياعه ثلاثون حملا من التفاح لتباع بمصر ، فأنفذ منها خمسة أحمال الى الوزير الفلاحى ، وبعث لقاضي القضاة خمسة أحمال وللقائد الأجل عدة الدولة رفق خمسة أحمال ولابن أبي زكريا ثلاثة أحمال وللقضاعي خمسة أحمال ، وفرق حملين على حواشيهم ، وكان ثمن هذه الأحمال يبلغ جملة ثلاثمائة دينار فلم يلتفت أحد منهم اليه ولاعطف

عليه .. (٦) ولاتقدم منا اليه من الجميل ما يوجب أن يكافئنا عليه . وهذا رجل حر له مروءة توجب أن نصطنعه ونحقق حسن ظنه بنا .

وركب اليازوري من الغد ووقف عند باب البحر فلما أقبل رفق من داره يريد القصر تلقاه وسلم عليه ، فأكرمه ورحب به وسأله عن حاله ، ثم بخل الى القصر وقضى حق الخدمة وخرج فوجده واقفا على حاله . فسلم عليه . وسار معه الى داره حتى وصل اليها ، فأثنى اليازوري راجعا . وأقام على ذلك اياما .

فخف على قلب رفق ، وقويت رغبته في اصطناعه . وصار اذا وصل الى داره امر اليازوري بالنزول معه ، فينزل ويجلس معه ويحدثه ، وكان حلو الحديث فكاه المحاضرة . فأطال جلوسه معه ، وبقي رفق اذا غاب عنه يشفق اليه ، واذا هم بالقيام عنه امسكه الى ان تحضر المائدة ، وأكثر منه حتى عد من خواصه .

ولما ضجرت أم المستنصر من عرض خدمتها على أبي نصر ابراهيم أخي أبي سعد سهل التستري ، وامتناعه ، حتى وقفت أمور خدمتها وبقي بابها مغلوقا مدة ثلاثة اشهر ، قال رفق في بعض الايام لليازوري ، وقد أفضى به الحديث الى كثرة رغبة السيدة أم الخليفة في أبي نصر وامتناعه : إني أرى رأيا ، فما عندك فيه ؟

قال اليازوري : ما هو ؟

قال : تكتب رقعة تلتمس خدمة السيدة وتعرض نفسك عليها .

فقال اليازوري : كنت أظن جميل رأيك في وإيثارك مصلحة حالي

فأكتبني ظني .

فقال : بماذا ؟

قال : لهزئك بي . فاني قد اجتهدت في العود الى قرية كنت فيها

فبخل علي بها . فكيف إذا تعرضت لهذا الأمر الكبير ومناواة

الوزراء ؟

فقال له : اما ترضى بي سفيرا لك في هذا الأمر وعلي استغفار

الوسع لوجوب حقك علي ؟ فإن قضت الأقدار ببلوغ الغرض في ذلك ، فقد ادركنا ما نؤثره . وإن تكن الأخرى ، فعلى أكثر من العطلة ما نحصل .

فاستجاب الى ذلك ، وكتب رقعة يعرض نفسه وماله على السيدة ، ويخطب خدمتها ويبذل الاجتهاد فيها . فأخذ رفق الرقعة وركب من الغد الى القصر ، ودخل الى السيدة وقد احضرت ابا نصر وعادته في الخطاب وهو على حاله من الامتناع الى ان اضجرها . فانتهاز رفق الفرصة بضمجرها وقال : يا مولاتنا قد طال غلق بابك ووقوف خدمتك وكثرة امتناع الشيخ أبي نصر مما تريد منه . وههنا من انت تعرفينه ، وهو رجل مسلم وقاض ، وكثير المروءة ، وهو مستغن بماله وأملاكه عن التعرض لمالك ، وهو ثقة ناهض كاف .

ف قالت : من هو ؟

فقال القاضي أبو محمد اليازوري وهذه رقعته ، فأمرته بتسليمها الى أبي نصر . وقالت : ما تقول فيه ؟

فلم يصدق بذلك وقال : يا مولاتنا ، هو والله الثقة الأمين الناهض الذي يصلح لخدمتك ، وفيه لها جمال ، وما تظفرين بمثله . فوقع ذلك منها بالموافقة لما كان في نفسها من الغيظ بامتناعه عليها ، وقالت لرفق : قل له يجلس في داره غدا الى ان أنفذ اليه . فسر رفق بذلك سرورا كبيرا وخرج ، فرأى اليازوري فقال له : أقمح أم شعير ؟

قال : بل بر يوسفى - وقص عليه وقال له : أغد الى دارك فلا حاجة الى الاجتماع اليوم ، واذا كان الغد فاجلس حتى يأتيك رسول السيدة .

ففعل ، وجاء من الغد الرسول يستدعيه . فركب الى باب السيدة وقد جلست له وراء المقطع ، وردت اليه أمر بابها والنظر في ديوانها الذي هو باب الريح ، فبلغ ذلك الوزير ابا نصر صدقة بن يوسف الفلاحى فشق عليه كون هذا الأمر لم يكن على يده مع علمه

انه لا يقدر عليه ، فإن السيدة لم تكن تسمع قوله لما في نفسها منه بقتل أبي سعد ، ولم يسعه الا المجاملة . واستدعى أمراء الأتراك وأمرهم بالمضي اليه وتهنئته ، فلما دخلوا على اليازوري تلقاهم واعظمهم لسعيهم اليه ، وعندما هنؤه شكرهم وأثنى عليهم وقال : ما أنا الا خادم ونائب لموالي الأمراء . أسأل في تشريفي بما يعن لهم من خدمة أنهض فيها وأبلغ الغرض فيما يرسمون .

فنهضوا ، وقام لوداعهم واتوا الى الوزير (الفلاحي) واعلموه بما كان من اليازوري ، فقلق لذلك . ولم تطل الأيام حتى قبض على الوزير وقتل ، وأقيم بعده في الوزارة ابو البركات الحسين بن محمد الجرجرائي . فأقبلت حال اليازوري تزيد ومنزلته ترتفع وأمره يتأكد وخلعت عليه السيدة خلعة ثانية ، ولقب بالمكن الأمين عمدة امير المؤمنين . وأمرته أن لا يقوم لأحد ، فان خدمته لا تقتضي اعظام أحد اذا دخل اليه . فكان يعتذر الى من يأتيه من الجلة الرؤساء والأكابر عن ترك القيام ويقول : لو ملكت اختياري لبالغت في تكريمكم بما تستحقونه - الى أن تمهد عذره في ذلك ، مما خلا القائد الأجل عدة الدولة رفق الذي كان سفيره : فانه كان اذا أقبل اليه وثب قائما ووفاه حقه من الاعظام فبلغ ذلك السيدة فقالت له : لا تتحرك لأحد بالجملة !

فكان بعد ذلك اذا جاء ، يعتذر اليه فمكث كذلك مدة ، وحاله اخذة في الترقى ورئاسته تزداد اجلالا الى أن صار يحضر بحضرة الخليفة المستنصر اذا اراد ان يستدعي الوزير كما كان قد تقرر لأبي سعد التستري مع الوزير الفلاحي فشاق هذا على الوزير أبي البركات . وذلك انه كان اذا حضر اليازوري عند المستنصر تحدث طويلا ، وتكون السيدة من وراء المقطع فيدور بينهم الكلام فيما يحتاج ثم تستدعي الوزير أبي البركات فاذا دخل وعرض ما يريد من أمور الدولة لا يجيبه الا اليازوري ، ثم يلتفت الى الخليفة بعد ما يجيب الوزير ويقول : اليس هو الصواب ؟

فيقول الخليفة : نعم .

ويخرج الرسول من وراء المقطع ويقول عن السيدة : هو الصواب . فصار الوزير كأنه انما يعرض على اليازوري لاعلى الخليفة والسيدة ولايقدر على الاعتراض فيما يقوله ولايجد بدا من امثال ذلك .

فشق عليه ما صار اليه واخذ في اعمال الحيلة فأشار عليه ابو الفضل صاعد بن مسعود أن يحسن للخليفة تولية اليازوري القضاء ، فاذا تقلد القضاء وقع في هور كبير وشغله عن ملازمة السيدة فيصل الوزير حينئذ الى استخدام ولده مكان اليازوري ، ويستوي له الأمر ويملك جهتي السلطان والسيدة .

فاتفق حضور قاضي القضاة قاسم بن عبد العزيز بن النعمان عند الوزير وتقلقة من خليفته ابي عبد الله محمد القضاعي وابي عبد الله احمد بن ابي زكريا وشكوى المذكورين من قاضي القضاة مع توعك ابي محمد اليازوري وتخلفه في داره اياما فخلا الوزير بالخليفة واعاد عليه ما ذكره كل من القاضي وخليفته وشنع امر قاسم وقبحه . فقال الخليفة : فمن نستبدل به ؟

فقال : عبيدك كثير ، وبين يديك من يتجمل الحكم به مع ثقته وامانته وقربه من خدمتك .

فقال : ومن هو ؟

قال : القاضي أبو محمد .

قال :ذاك في خدمة مولاتنا الوالدة ، ولا تفسح له في ذلك فقال : يا امير المؤمنين هي - خلد الله ملكها - اغير على دولتك واحسن نظرا اليها من ان تحول بينها وبين ما يجملها ومع هذا فلم ينقل مما هو فيه الى ما هو دونه ، بل الى ما هو اوفى منه . فأجاب الى ذلك وقام وقد استقر لهذا وتم له ما اراده ، وشرع في الحال في كتابة سجله واعداد الخلع له ليخلع عليه في غد ذلك اليوم خوفا من نقض ما استقر .

وبلغ ذلك كله القائد رفق فأنفذ الى اليازوري وقص عليه الخبر وقال له : تلتف في امرك كما تريد - فعظم هذا على اليازوري وخاف

من ابعاده عن خدمة السيدة ، فانها كانت اجل الخدم واوفاهها
وابسناها محلا واغناها : فان كل من كان في الدولة من وزير وامير
وغيرهما محتاج اليه .

فلما كان مع عشاء الآخرة حمل على نفسه وهو محموم ، وركب
الى باب الريح ، ودخل واعلمها مكانه ، فأكبرت حضوره في مثل ذلك
الوقت مع ماتعلمه من توعك بدنه ، فخرجت وراء المقطع وسألته عن
حال مرضه وما الذي دعاه إلى العناء في هذا الوقت على ما هو عليه ،
فرمى نفسه بين يديها وقص عليها القصة كلها وقال : إنما الغرض
إبعادي عن خدمتك وحرمانى السعادة التي الحقتني بها ليقع التمكن
مني .

قالت : وما الذي تكره من ذلك ؟
فقال : يامولاتنا ، هور الحكم واسع ، وأحوال قاضي القضاة
قاسم بن النعمان فيه مشهورة ، ولو كانت جارية على النظام
المستقيم لشغلت عن خدمتك ، فكيف والحاجة داعية إلى تجديد
إصلاحه وإحكام نظامه ، وفي هذا شغل كبير ؟

فقالت : لا يضيق صدرك بهذا الأمر ، فبابي لك ، وخدمتي موفورة
عليك ولا استبدل بك أبدا .
فقال : يامولاتنا ، قد قدمت القول إن هور الحكم كبير واسع ،
واشتغالي به يحول بيني وبين ملازمة بابك .

فقالت : خلفاؤك في الحكم ، القضاء وابن أبي زكريا هما ينفذان
من الأحكام مايجوز تنفيذه . فإذا تحررت الأحكام نزلت ففصلت
ذلك ، وقرر لنزولك يومين في الجمعة لفصل الأحكام . فإذا نزلت كان
ولداك ينوبان عنك في تنفيذ أمور خدمتي . وهذا التقرير لا يغلبك فعلة .
فقبل الأرض لها ودعا وشكر وانصرف .

فلما كان في غد ذلك اليوم وهو الثاني من المحرم سنة إحدى وأربعين
وأربعمائة ، استدعي إلى حضرة أمير المؤمنين وخلع عليه وقرىء
سجله في الإيوان ، وخرج والدولة بأسرها بين يديه ، فأقام في تنفيذ

الأحكام عدة أيام وولده ينوبان عنه في بساب الريح . وجعل الوزير يبعث للسيدة من يطارحها في ذكر بابها ويعرض لها بذكر ولد الوزير . فقالت : وما هو الأمر الذي يعجز ولدا القاضي أبي محمد عنه ، وقد لقنا فعل أبيهما وفهماً منه ما يحتاجان إليه ، ومع ذلك إلى أن يجيء أبوهما ، وما كنت بالذي يستبدل به بوجه ولا سبب . فلما سمع ذلك الوزير أبو البركات ، أسقط في يده وقال : أردنا وضعه ، والله تعالى يريد رفعه .

فقال له أبو الفضل صاعد : أما إذا جرى الأمر بخلاف ما ظنناه وأملناه ، فليس إلا مجاملة الرجل ومواقفته على السلامة ، فتواثقا وتعاهدا . وصار لا يسلم على الوزير ولا يجتمعان إلا يوما في الشهر ، يحضر إليه في داره . فإذا صار إليه احتجب الوزير عن كل أحد ، وخلا به ، وبالع في إكرامه ، وهو في الباطن يدبر عليه ، فكفاه الله أمره ، وقبض عليه وشغرت رتبة الوزارة عدة أيام ، والسيدة تعرضها على اليازوري وهو يمتنع . فأقيم أبو الفضل صاعد وخلع عليه وعمل واسطة لوزير فصار إذا أحب أن يعرض على الخليفة أمرا مما يتعلق به يتقدم اليازوري إلى الحاضرة ، ثم يستدعي بأبي الفضل ، فإذا عرض ما أحب لا يجيبه إلا اليازوري ، فصار في نفسه منه مثل ما كان في نفس غيره من الوزراء . وأقبل ينصب عليه ويحمل الرجال على مكروهه ويوهمهم أنه إذا سأل لهم زيادة أو ولاية ، يعترضه اليازوري بما يبطل رأيه ويفسده . فاستدعى ناصر الدولة حسين بن حمدان بعض خواص اليازوري وقال له : أعلم أن القاضي له من الثناء الجميل كثير ، ونحن شاكرون له ، معتنزون بجميله ، مفتقرون إلى جاهه في جميع أمورنا . وأعتقاؤه من هذا الأمر لا يبرئنا من ذمنا إن وقفت حوائجنا ، ويكون الشكر فيه لغيره إن قضيت . وهذا الرجل عميد الملك هوذا يحمل الرجال عليه ويشعروهم أنه يجهد في قضاء حوائجهم ، وأنه يعترضه بما يبطلها عليهم ، وفي هذا الأمر ما يعلمه . فقل له عني : ياسيدنا ، أما إن تريد شكر الرجال وسلامة صدورهم لك وخلاص نياتهم في طاعتك ، فادخل في هذا الأمر . فإن أحسنتم عرفوا ذاك لك وشكروه منك ، وإن أسأت كان لك ضرره

وشره . وإلا فاعتزل جانبها ولا تلعب بروحك مع الرجال لئلا يتلفك أبو الفضل . وإن أذن لي في المثل بحضرته ذكرت له ذلك .
فلما بلغ هذا لليازوري قال له : أمهلني الليلة وبكر إلي .
فبكر إليه وهو خال فقال له : أعد علي قول ناصر الدولة .

فأعاده فقال : أقره عني السلام وقل له : والله إلا أدخل فيه ويكون لي خيره وشره !
فأبلغ ذلك ناصر الدولة ، فقال : هذا هو الصواب .

فلما كان بعد يومين قرىء سجله بالوزارة ولقب بالوزير الأجل ،
الأوحد ، المكين ، سيد الوزراء ، وتاج الأصفياء ، وقاضي القضاة ،
وداعي الدعاة ، علم المجد ، خالصة أمير المؤمنين ، وخلع عليه في
اليوم السابع من المحرم فنظر في الوزارة ، ومضى فيها مضي الجواد ،
ونفض مسرعا بنهوض غبر به في وجوه من تقدمه .

وكاتب ملوك الأطراف فأجابوه بما يليق بقدره ووفور حقه من
الرئاسة ، ما خلا معز بن باديس صاحب إفريقية ، فإنه قصر به في
المكاتبة عما كاتب به من تقدمه من الوزراء ، وكان يكاتب كلا
منهم « بعبده » ، فجعل مكاتبته « صنيعته » . وكان لابن باديس
بالقاهرة نائب « فاستدعاه اليازوري وعتب صاحبه وقال له :
أظنه انتقصني عن تقديمي إذ لم أكن من أهل صناعة الكتابة . وإن
لم أكن أوفى منهم ، فما أكون دونهم . ومن رفعه السلطان ارتفع و
إن كان خاملا ، ومن وضعه اتضع وإن كان جليلا نبيلًا ، فاكاتب إليه
بما يرجعه إلى الصواب .

فكتب إليه بذلك ، وقد أذكى اليازوري عليه عيونا يطالعونه بما
يتفوه به ، فلما وقف ابن باديس على كتاب وكيله قال : ما الذي يريد
مني هذا الفلاح ؟ أكتب له « عبده » وهو أكار ؟ والله لا كان هذا
أبدا ! وإن الذي كتبت به إليه لكثير .

فطالعه عيونه بقول ابن باديس . فأحضر الوكيل وقال له : قد
جری صاحبك على عادته في الجهل . فاكاتب إليه بما يردعه ، وإلا
عرفته بنفسه إذ لم يعرفني .

فكتب إليه بذلك فأجاب بأقبح من الأول . فدرس إليه اليازوري من تلاف حتى أخذ سكين دواته . فلما وصلت إليه أحضر الوكيل وقال له : قد كنت أظن بصاحبك أن الذي حملة على ما كان منه نزوة الشببية وقلة خبرة بما تقضي به الأقدار ، وأنه إذا نبه تذببه . فإذا الجهل مستول عليه ، وظنه بأن بعد المسافة بيننا وبينه يمنع من الانتصاف منه ، والوصول إليه بما يكره . وقد تطفنا في أخذ سكينه من دواته ، وهاهي ! فأنفذها إليه وأعلمه أننا كما تطفنا في أخذها فإننا نتلاف في ذبحه بها - ودفعها إليه ، فكتب الوكيل بذلك إليه فازداد شرا وبطرا وطغيانا . فدرس إليه من أخذ نعله - وكان يمشي في الأحذية السندية - فلما وصلت أحضر الوكيل وأعلمه بما انتهى إليه من جهل صاحبه ، وقال : اكتب إلى هذا البربري الأحمق وقل له : إن عقلت وأحسن أدبك ، وإلا جعلنا تأديك بهذه

فكتب إليه ، فجرى على عادته في إطلاق الكلام القبيح ، فتشمر له حينئذ اليازوري ، وبعث مكين الدولة الحسن بن علي بن ملهم ، أحد الأمراء ، إلى طرابلس المغرب ، وبها من العرب زغبة ورياح وقد حدثت بينهما حروب ، فسار إليهما بخلع كثيرة وأموال وافرة ليصلح بينهما . فتحمل ماكان بينهما من الدماء ، ودفع إليهم الديات ، وزاد في إقطاعاتهم . وبعثهم على محاربة إفريقية وأباحتهم ديار ابن باديس ، وقام في هذا قياما عظيما حتى سار المذكورون واستولوا على أعمال القيروان وضايقوا ابن باديس وحصلوه إلى أن نفدت أمواله وقلت عدده، وتفلت منه رجاله وأشرف على التلف ففر بدشاشته في زي امرأة من القيروان إلى المهديّة ، وترك حرمه وداره وأمواله وغلماناه . فأخذ العرب المدينة وقتلوا الرجال وسبوا النساء ونهبوا ماكان في قصوره وجالوا في المدينة وأخربوها . وحمل ماذهب إلى القاهرة من الآلات والأسلحة والعدد والخيام ، وكان لدخول ذلك يوم عظيم .

وكان في البحيرة طائفة يقال لها بنو قرة قد اقتطعوها وملكوها وعمرها ضياعها ، واشتدت شوكتهم ، وخشّن جانبهم وعظم أمر

مقدميهم حتى انتشر ذكرهم ونل لهم عدوهم وثقل امرهم حتى (على) ولاية الاسكندرية ، واجتمع معهم الطلحيون فصاروا يدا واحدة . وكانت لهم واجبات على الدولة ، ولم يكن لهم إقطاع ، بل كان ما يستحقونه من واجباتهم يحمل مع واجبات العسكر بالاسكندرية إلى الوالي فينفقه فيهم . وكان الوالي بالاسكندرية في سنة ثلاث وأربعين وأربعمائة ناصر الدولة حسين بن حمدان والد ناصر الدولة الثائر بالقاهرة على المستنصر . فلما انقضت سنة أربع وأربعين وأربعمائة استحق الطلحيون على الدولة عن واجباتهم ثلاثة الاف دينار ، فواصلوا اقتضاء ناصر الدولة إنفاقها فيهم ، فوعدهم ، وكتب إلى الحضرة يلتمس لهم ذلك . فوعده الوزير أنه إذا حمل إلى رجال العسكر استحقاقاتهم حمل ذلك في جملته ، وكان قد بقي لحمل المال مدة شهرين ، فاستبعدوا الصبر إلى ذلك الوقت وواصلوا مطالبته ، وحملوا بني قره على معاونتهم عليه ، فاضطهدوه والزموه بالمسير معهم ومع جيرانهم الطلحيين إلى الحضرة لالتماس ذلك . فلم يجد بدا من إجابتهم ، وسار معهم إلى الجيزة وطلع إلى الوزير وعرفه الحال . فقال : ما أخرجنا ذلك عنهم إلا لأن السنة كثيرة النفقات والطوارئ . ولكن هذه الف دينار ، فخذها وأنفقاها فيهم إلى أن نحمل باقي مالهم مع مال العسكر .

فأخذ الألف وعاد إليهم وعرفهم ما قال الوزير . فامتنعوا من أخذ الألف ، وذكروا أنهم قد تعبوا وكلفوه المسير معهم ولا يرجعون إلا بعد قبض الثلاثة الاف . والزموه بالعود . فعاد وعرف الوزير ما كان منهم . فغضب وأمر لهم بألف أخرى وقال : قد ذكرنا لك أنا لم نؤخر عنهم ذلك إلا لضيق الحال وانتظار ما يصل من الريف فنحمل إليهم باقي استحقاقهم . ولم يبق الآن إلا الف ، ونحن نحمل إليهم ذلك بعد هذا .

فعاد إليهم ناصر الدولة ، فأبوا إلا أخذ الجميع ، وأنهم لا يبرحون من مكانهم إلا بجميع ما يستحقونه وجفوا في الخطاب . فعاد إلى الوزير وعرفه ما كان منهم . فاشتد غضبه وقال: اجاببتهم

الى ما التمسوه دفعة بعد أخرى طمعهم. ووالله لا أطلقت لهم درهما واحدا! - واستعاد الألفي دينار من ناصر الدولة ، وتقدم بتجريد العسكر لهم. فتسرع من خف مع يمن الدولة كافور الشرابي وساروا اليهم ، اذا بهم متأهبين للقائهم ، فجرت بينهم ذوبة قتل فيها اثنان من العسكر ، وحال بينهما الليل. فلما بلغ ذلك الوزير عظم عليه اقدامهم على العسكر ، سيما بني قره ، فانهم كانوا أشد حربا من الطلحين.

وكان بالقاهرة من مقدميهم ثلاثة نفر ، وهم ضيوف مكرمون ، فأشير على الوزير بقبضهم ليكف عادية باقي بني قره • فاستدعى صاحب الستر سيف الدولة مبشر ، ومتولي الشرطة سنان الدولة ابن جابر ، ومتولي الصناعة عظيم الدولة عطاء ، وأمرهم بأخذ الثلاثة ليلا وتسييرهم تحت الحفظ والحوطة الى الجيزة والتحيز بهم عن العسكر الى حيث يأمنون على أنفسهم ، وتخذية سبيلهم • ففعلوا ذلك • وأصبح الناس وقد علموا بمضيهم • وكلموا الوزير في ذلك فقال : قبح السمعة في القبض عليهم وهم في ضيافتنا منعني من ذلك • فهم في هذه الحال كالحرم • فلم أستجز فعل ذلك ، بل أطلقتهم ، والله لا أخذتهم إلا من ظهور دوابهم !

فقال شخص من الأكابر يعرف بعجلان بن مطر اللواتي : قد فعل هذا الوزير شيئا لم يسبقه إليه أحد ، من إطلاق هؤلاء القوم ، واستحيى فيهم بما فعله • والله ليظفرن بهم لأن هذا تقليد البغي ، فإن كان فيهم بعد ذلك كائن فالدائرة عليهم •

فكأنما نطق بالغيب : فإنهم تشمروا عند وصول الثلاثة الى الحاجر ونزلوا به • وأخذ الوزير يجر العساكر لهم حتى كمل له ما أراد ، وسيرها وقد جمعت حشود بني قره • فالتقوا بكموم شريك فكانت الدائرة عليهم وقتل منهم خلق كثير وأنهزموا • فتبعهم العسكر ظنا أنهم يعودون الى اللقاء ، فلم يثنهم شيء عن قصد برقة ، واسلموا أموالهم وكل ما في أيديهم للنهب ، ففاز به العسكر وغنموه ، وانقلعت شأفة بني قره والطلحين من البحيرة ، الى

اليوم ، وبقوا مشردين مطردين يجاورون العربان على اقبح صورة
اربعين سنة •

وقد كان الوزير لما أخرج العسكر لقتال بني قرة ، فزد اهل الدولة
رايه ، وحكموا انهم لا ينتقلون من البحيرة ابدا لقوة بأسهم وشدة
شموكتهم ولائتلافهم بالطلحيين • فاكذب جميل فعله ظنهم • ثم إنه
راى في كون العساكر في أعمال البحيرة كلفة كبيرة • فنقل بني
سندس من الداروم بفلسطين ، وكانوا قد ثقلت وطأتهم بتلك الأعمال
وصعب أمرهم ، فسدى بهم الى البحيرة ، وهم اعداء قيس ،
واوطأهم ديارهم واقطعهم أرضهم ، فامتدى اسم بني قرة •

وكان تجهيزه العساكر لبني قرة في شهر رمضان سنة ثلاث
واربعين واربعمائة ، وتسبيرهم في مستهل شوال • فخطأه الناس
كلهم وغلطوه في فعله وحكموا بأنه لم يجر قط عسكر في شوال
فظفر ، وانهم لا يأمنون على العسكر أن يهزم وينكسر • وكان يمن
الدولة له زم القصور والخدمة في الرسالة ، وهو ايضا زمام الأتراك
والقيصرية ، وليس في الدولة من يجري مجراه جلالة ، وبينه وبين
الوزير مباينة شديدة ، ويتوقع له الشر ويتربص به الدوائر • فصار
ينتظر انهزام العسكر ليقبض عليه ، والأقدار تؤيده بالسعادة
العظيمة • فلما اراد أن يسير العسكر من الجيزة رتب على اليمينه
سنان الدولة بن جابر ، وعلى الميسرة حصن الدولة حيدرة بن
منزوي ، وجعل في القلب ناصر الدولة بن حمدان ، وهو المقدم
عليهما - وقرر معه أن يكون اللقاء في يوم الخميس الخامس من
شوال ، بطالع تخيره له • وبعث معه عدة من طيور الحمام ليطالعه
بما يكون منه ومنهم يوما بيوم • فلما كان اليوم الذي تقرر فيه
اللقاء ، جلس الوزير في داره وهو شديد القلق كثير الاهتمام بأمر
العسكر ، واحتجب عن الناس لشغل سره بهذا الأمر • وجلس
ينتظر سقوط الطائر بما يكون • فلم يزل كذلك الى الساعة الخامسة
من النهار • فقام ليجدد طهارته وعبر بالبدستان وقد أطلق الماء في
مجاريه ، فرأى ورقة تمر على وجه الماء فأخذها متفائلا بها فوجدها

اول كتاب كان وصل من القائد فضل الى الحاكم بأمر الله ، قد ذهبت طرته وعنوانه وبقي صدره ، وهو : كتب عبد مولانا الحاكم بأمر الله امير المؤمنين من المخيم المنصور في الساعة الخامسة من نهار يوم الخميس الخامس من شوال ، وقد اظفره الله عز وجل بعدو الله تعالى وعدو الحضرة المطهرة ابي ركوة المخدول • وهو في قبضة الاسار ، والحمد لله رب العالمين •

فلما وقف على ذلك سجد الى الأرض شكرا لله تعالى واستشعر الظفر وعجب من موافقة اليوم وعدة الايام من شوال والاعلام بالظفر • ثم تجهز للصلاة ، فما فرغ حتى سقط الطائر بانكسار بني قرة وانهزامهم وبما من الله تعالى به من الظفر بهم • فأخذ الكتاب والورقة التي وجدها في الماء وركب الى القصر ودخل الى الخليفة المستنصر بالله واوقفه على الكتاب ، فسر وابتهج • واره الورقة التي وجدها في الماء وقال : هذا اعجب يا امير المؤمنين - وحديثه حديثه •

فعجب من هذا الاتفاق ثم تواصلت الاخبار من ناصر الدولة بالبشرى وشرح الحال في الظفر وانهزام القوم • فخلع على الوزير ، وزيد في القابه : الناصر للدين ، غياث المسلمين • فقوي امره ، وذل خائب أعدائه ، وعادوا يتقربون إليه بالخدمة ، فأغضى عنهم ولم يؤاخذ احدا منهم • وقدمت الرؤوس ممن قتل وأموال كثيرة من أموال أهل البحيرة •

فلما خلا سر الوزير من أهل البحيرة ، نظر في أمر مدينة صقلية فإن أهلها كانوا أعلنوا خلافهم ، وكتبوا ابن باديس صاحب إفريقية وملكوه عليهم ، فأساء فيهم السيرة • فثاروا به وأخرجوه وكتبوا ملك الروم فبعث إليهم بطريقا فحكم فيهم مدة ، فلم يصبروا له ووثبوا به وأخرجوه عنهم ، وبعثوا إلى المستنصر يطلبون عفوهم ويستصرخونه فكتب إلى مستخلص الدولة الكلبى ابن أبي الحسين ، فوليهام مدة • ثم بعثوا يشكون منه ، فسير الوزير صمصام الدولة ابن لؤلؤ ، أحد الأمراء - وكان رجلا عاقلا - ومعه

خلع نفيسة وأمره أن يصلح ذات بينهم ، فإن رضوا بأبن أبي الحسين خلع عليه وقرا سجله بتجديد ولايته •

وإن امتنعوا من الطاعة له ، لبس هو الخلعة وقرا سجلا كتب له بولاية صقلية ، وأن يتلطف في إخراج بني أبي الحسين من جزيرة صقلية ويحملهم الى القاهرة- فسار الى صقلية وتحدث في الصلح • فامتنعوا من ذلك ولم يجد فيهم حيلة فأظهر سجله ولبس خلعتة فرضوا به • وأخرج جميع من كان بصقلية من بني أبي الحسين ، وهم زيادة على ثلاثين رجلا ، وخلت منهم • فاستقام أمره •

وبعث الوزير رسله الى اليمن ، وقد ثار فيها علي بن محمد الصليحي • فما زالوا به حتى دخل في طاعة الدولة وبعث النجاشي الى القاهرة ، ومعها هدية جليلة تبلغ عشرة الاف دينار • فجاء من ذلك ما ليس في المظنون ولم ير مثله فيما تقدم •

ثم إنه عطف على النوبة وأضعف عليهم البقط فحملوه واستمر بعده وكانت الهدنة قد انعقدت مع الروم في وزارة أبي نصر الفلاحى ، وقدم من قبلهم رسولان ، أحدهما يعرف بأبن اصفانوس هو المتكلم - وكان داهية أديبا شاعرا نحويا فيلسوفيا نظارا ، ولد ببلاد الروم ونشأ بأنطاكية ، ودخل الى العراق وأخذ عن العلماء والأدباء ، فاشتهر ذكره وبعد صيته •

والآخر صاحب حرب يعرف بميخائيل • فأعجبهما حسن زي الدولة وكريم أفعالها وجميل سيرتها ، سيما ميخائيل فإنه أطربه ذلك ، وكان خيرا عاقلا • فلما عادا الى بلادهما ، قضت الأقدار بموت متملك الروم وتملك ميخائيل هذا بعده • فأقام في المملكة نحو الخمس سنين •

وقصر النيل بمصر في سنة أربع وأربعمائة ، ولم يكن بالمخازن السلطانية شيء من الغلال ، فاشتدت المسغبة وغلا السعر. وكان لخلو المخازن سبب : وهو أن الوزير الناصر للدين أبا محمد اليازوري لما أضيف إليه القضاء في وزارة أبي البركات الجرجرائي ، كان ينزل الى جامع عمرو بن العاص بمصر في يومي

السبت والثلاثاء من كل اسبوع ليجلس في الزيادة منه للحكم ، على رسم من تقدمه من القضاة ، فإذا صلى العصر طلع الى القاهرة • وكان في كل سوق من أسواق مصر عريف على ارباب كل صنعة يتولى امورهم • ومن عادة اخباز مصر في ازمة الغلاء انها متى بردت لم يرجع منها الى شيء لكثرة ما تغش به • وكان لعريف الخبازين دكان يبيع الخبز ، وبجانبها دكان رجل صعلوك يبيع بها الخبز ايضا ، والسعر يومئذ اربعة ارطال بدرهم وثمان • فرأى الصعلوك أن خبزه قد كاد يبرد ، فخاف من كساده فنادى عليه : اربعة ارطال بدرهم ليرغب الفقير فيه • فمال الناس إليه لأجل تسمححه بثمان درهم ، واشتروه بأجمعه ، وبقي خبز العريف لم يعطف عليه أحد فغضب ، وكل بالرجل عوزين من الحسبة أغرماء عشرة دراهم • فلم يطق ذلك ومضى الى الجامع واستغاث بقاضي القضاة وكان هناك • فأحضر المحتسب وأنكر عليه فقال : العادة جارية باستخدام عرفاء في الأسواق على ارباب الصنائع ، وتقبل قولهم فيما يذكرونه ، وقد حضر عريف الخبازين بالسوق الفلاني واستدعى عوزين من الحسبة ، فوقع الظن أنه أنكر شيئاً يوجب فعل ذلك ، فاستدعى القاضي الخباز وأمره ، فقص على المحتسب خبره • فقال القاضي للمحتسب : رجل يرخص على الناس اقواتهم فيجازي على ذلك بما يؤذيه - ثم سأل الخباز كم أخذ منه • فقال : أخذ مني العريف خمسة دراهم ، وكل ما في يدي مائة درهم •

فقال : يصرف هذا العريف عاجلاً ، ويغرم ما أخذه من هذا المسكين ويعاد إليه •

والتفت الى صاحب دواته فقال له : انظر ما معك فادفعه الى هذا الخباز فناوله قرطاساً فيه ثلاثون ربيعاً ، فكاد عقل الخباز يذهب من شدة فرجه • وعاد الى دكانه فإذا عجنته الثانية قد خبزت فنادى عليها : خمسة ارطال بدرهم ! فمال الناس إليه واشتروا خبزه لرخصه • فخاف من هناك من الخبازين تلاف اخبازهم ، فإنها بردت ، وباعوا مثل بيعه • فنادى : ستة ارطال بدرهم ! فقادتهم

الضرورة الى بيع اخبازهم كذلك • وصار يريد مكايدة العريف بإرخاص السعر ويزيد رطلا رطلا ، والخبازون يتبعونه في بيعه خوفا على بوار اخبازهم ، الى ان بلغ النداء : عشرة أرطال بدرهم ، وانتشر ذلك في سائر البلد ، وتسامع به الناس فتمسرعوا إليه ، حتى إنه لم يخرج قاضي القضاة من الجامع إلا والخبز في جميع البلد عشرة أرطال بدرهم •

وكانت العادة أنه يشتري للديوان السلطاني في كل سنة غلة بمائة ألف دينار وتجعل متجرا . فلما عاد قاضي القضاة الى القاهرة مثل بحضرة الخليفة المستنصر ، وعرفه ما من الله تعالى به في هذا اليوم من إرخاص السعر ، وتوفر الناس على الدعاء لأمير المؤمنين ، وأن الله - جلّت قدرته - فعل ذلك ، وحل إسعاد الناس بحسن نية أمير المؤمنين في رعيته بغير موجب ولا فاعل له ، بل بلطف الله تعالى واتفاق قريب يسير • وقص عليه الخبر ثم قال : يا أمير المؤمنين ، إن المتجر الذي يقام بالغلة فيه اوفى مضرّة على المسلمين ، وربما انحط السعر عن مشتراها فلا يمكن بيعها ، حتى تتغير في المخازن وتتلف . والمصلحة ان نقيم متجرا لاكلفة على الناس فيه ويفيد اضعاف فائدة الغلة ولا يخشى عليه من تغير في المخازن ولا انحطاط سعر : وهو الخشب والصابون والحديد والرصاص والعسل وما اشبه ذلك . فامضى المستنصر له ما رآه ، واستمر ذلك ودام الرخاء على الناس مدة سنين .

ثم قصر النيل في سنة سبع واربعين بعد خمس سنين من نظره في الوزارة ، ولم يكن بمخازن السلطان من الغلة الا ما ينصرف في جرايات من في القصور ومطبخ الخليفة وحواشيه لا غير . فورد على الوزير من ذلك ما شغل سره وكثر له فكره . ونزع السعر الى ثمانية دنانير التليس (٧) الدوار ، واشتد الامر على الناس .

ففتح الله له من التدبير ان نظر في امر النواحي . وكانت عادة التجار ان يقرضوا المعاملين حين اعسارهم وضيق الحال عليهم في المقام للديوان بما يجب عليهم من الخراج ، مالا يبتاعون به منهم

غلاتهم عند ادراكها ليصيبوا فيها ربحا. فاذا استقرت مبايعتهم حضروا مع المعاملين الى الديوان وقاموا عنهم للجهد بما كتب عليهم ، ويثبت ذلك في روزنامج الجهد مع مبلغ الغلة . فاذا ادركت غلاتهم وصارت في الجرون (٨) اكتالها التجار وحملوها الى مخازنهم يريدون فيها السعر الغالي . فمنع الوزير من ذلك في هذه السنة ، وكتب الى العمال بسائر النواحي ان يستعرضوا روزنامجات الجهابذة ويحصروا منها ما قام به التجار عن المعاملين ومبلغ الغلة الذي وقع الابتياح عليه وان يقوموا للتجار ما وزنوه للديوان ويربحوهم في كل دينار ثمن دينار، تطيببا لقلوبهم ، وان يضعوا ختمهم على المخازن ويطلبوا بمبلغ ما يحصل تحت أيديهم فيها .

فلما تحرر ذلك جهاز المراكب لحمل الغلات من النواحي ، واودعها في المخازن السلطانية بمدينة مصر ، وقرر ثمن التليس ثلاثة دنانير بعد ما كان بثمانية دنانير . وسلم الى الخبازين ما يبتاعونه لعمارة الاسواق ، ووظف ما تحتاج اليه مصر والقاهرة ، فكان الف تليس دوار كل يوم : مصر ، سبع مائة . والقاهرة ثلاثمائة . فاستمر لهذا التدبير مدة عشرين شهرا حتى ادركت غلة السنة الثانية ، فتوسع الناس بها وزال عنهم الغلاء ، وما كادوا يتالمون لحسن هذا التدبير .

وبلغ ميخائيل متملك الروم (٩) ما بمصر من الغلاء المذكور ، فرأى لكثرة محبته في الدولة ان يحمل الى القاهرة مائة الف قفيز من الغلة وقدم كتابه وعين الغلة والكيل الذي تستوفي به عند وصولها ، وسيرها الى انطاكية ، واعد هدية الهدنة على العادة وهدية من ماله ، فضعف هدية الهدنة . فلما رأى الروم ذلك منه نفرت قلوبهم وظنوا به الميل الى الاسلام وقتلوه واقاموا بعده رجلا يعرف بابن سقلاروس (١٠) من اهل انطاكية ، وكان عسيرا لجوجا خبيث الطباع . فقبض على الهديتين وقال : انا انفق ثمنها على قتال المسلمين .

وكان للوزير عيون بالقسطنطينية فكتبوا اليه بذلك . فسير مكين الدولة ابن ملهم الى اللانقية في عسكر ، فسار اليها وحاصرها .

ونودي في بلاد الشام بالغزو الى بلاد الروم . فلما اشتد الامر على اهل اللانقية بعثوا إلى ابن سقلاروس بما هم فيه . فكتب إلى المستنصر يستوضح ما الذي اوجب ذلك ؟ - فكتب إليه بأن الذي فعله في نقض ما استقر مع من تقدمه من الهدنة وقبضة الهدية اوجب ذلك . فأجاب بأنه يحمل الهدية . فاشتراط عليه إطلاق كل من في بلاده من الأسرى . فأجاب بأنه إذا أطلق من لهم في بلاد الاسلام من أسرى الروم ، أطلق من عنده من المسلمين . فأجيب بأنه لا يصح التماسه لذلك : فإن من أسر من بلاد الروم تفرقوا في الممالك بالعراق والدولة الفاطمية والمغرب واليمن وغير ذلك ، ولا حكم للحضرة على جميع الممالك حتى يرتجع منها من صار في أيدي أهلها . وبلاد الروم بخلاف ذلك ، ومن حصل فيها من المسلمين كان كمن هو معتقل في دار واحدة لا يمكنه الخروج منها إلا بإرادتهم ، وبين الحالين فرق كبير . فأجاب بأنه يطلق من في بلاده من أسرى المسلمين . فاشتراط عليه مع ذلك النزول عما صار في أيدي الروم من الحصون الاسلامية ، فامتنع من ذلك وقال : إذا أسلم إلينا ما صار في أيدي المسلمين من حصون الروم ، سلم ما في أيديهم من حصون المسلمين . فثقل اليانزوري الجيش بجيش آخر وقدم عليه الأمير السعيد ليث الدولة ففتحت اللانقية . وأجيب ابن سقلاروس بأنه لا يصح أن يسلم إليه ما صار في أيدي المسلمين من الحصون لأنهم قد ابتنوا فيها العمارات وأنشأوا البساتين فلا يصح تسليمها اليهم . فإنه يصير المسلمون لهم ذمة ، فأجاب بأنه يدفع إليهم ثمن أملاكهم وينقلهم إلى بلاد المسلمين . ثم أجابوا إلى تسليم ما في أيديهم من الحصون الاسلامية .

وكانت العادة جارية بأنه إذا وصلت هدية الروم أن تقوم في بيت المال ، وتحمل إليهم هدية قيمتها نحو الثلثين من هديتهم ليصير للاسلام مزية عليهم بالثلث . فاشتراط الوزير على ابن سقلاروس أن تكون قيمة ما يحمل إليهم من الهدية عوضا عن قيمة هديتهم النصف من ذلك . فأجابوا إليه .

فاشترط الوزير أن يؤدي إليه جزية كل من تضمه دار البلاط ، التي هي دار الملك ومحل الملك ومكانه . فامتنع من ذلك . فثقل الجيش بجيش ثالث ، فأوغلوا في بلاد الروم يقتلون ويأسرون وينهبون ، فاشتدت بلية الروم ، وبعث ابن سقلاروس مكاتباته بالاذعان إلى القيام بالجزية عن دار البلاط ، وشرع في تجهيزها فبلغت نيفا وثلاثين ألف دينار ، وحمل ذلك إلى انطاكية . فبلغه صرف الوزير اليازوري ، فأعيدت إلى القسطنطينية . وزينت بلاد الروم لموته وكثر فرحهم بما صرف عنهم من خشونة جانبه .

واتفق انه كان بالعراق رجل يعرف بأبي الحارث البساسيري صارا سباسلار كبير القدر يبلغ اقطاعه نحو ثلاثين ألف دينار ، فوقع بينه وبين الوزير رئيس الرؤساء أبي القاسم بن المسلمة وزير القائم بأمر الله العباسي في سنة سبع وأربعين وأربعمائة وعانده الى أن أخرجه من بغداد ، فقصديار بكر . وكاتب المستنصر ، وهو بأعمال حلب يرغب في الخدمة ويعرض نفسه ويستأن في الوصول الى الحضرة ، وأنه في ثلاثمائة غلام . فأخذ الوزير الكتاب وقبله أحسن قبول . واستشار أهل الدولة في الان له ، وكلهم أشار بذلك وأن في قدومه ما يوجب مجيء غيره طمعا فيما ناله من الكرامة ، وفيه زيادة في عدد رجال الدولة . فلم يوافق على مجيئه وقال : هذا الرجل قد كان اقطاعه بالعراق ما يزيد على ثلاثين ألف دينار ، ومعه أولاد مولاه الملك أبي طاهر بن كالبجار وغيرهم من أولاد الملوك ، وأجلهم اقطاعه الف ومائتا دينار ، فإن اقتصر به على مثل ما لهم من الواجب لم يرض ، وإن زيد عليه كان قبيحا . وايضا فإننا لانطبق من عندنا اليوم من الاتراك ، فكيف اذا انضاف اليهم مثل هذه العدة؟ والصواب أن يبقى بحيث هو ، ونحسن اليه ونقيمه لمناصبه أعداء الدولة . فإن نهض بذلك كان الذفع للدولة والاسم لها . وإن قصر عنه كان ذلك برأسه .

واتفق وصول طغرل بك السلجوقي من خراسان بالغز الى بغداد في هذه السنة ، وللوزير بها أعين . فكتبوا اليه بوصوله وأنه مزمع

على المسير من بغداد الى بلاد الشام ليملكها كما ملك بغداد . فقلق من ذلك لعظم أمر طغر بك ، وأنه دوح الممالك وقتل الملوك واحتوى عليها وانتشر صديته وكبر في نفوس الملوك شأنه ولم يبق له معاند يخافه . فرأى أن الحيلة أبلغ في مراده من دفعه عن البلاد بالاستعداد لكثرة ما معه من العساكر . وكتب اليه يهنئه بقدمه الى العراق ويبدل له من الخدمة ما يوفي على أمله ، وأن أرض مصر كلها بحكمه وأنه وإن كان مستخدماً لدولة ويدعو اليها ، فإنه يعلم كثرة الاختلاف ممن يجاورها في نسبها واتفاق الكلمة ووقوع الاجماع على الرضى بالخليفة الصحيح النسيب الصريح الحسب الهاشمي العباسي ، وأنه لا يمتنع من الاقرار له بذلك - وأعطاه صفقة يديه على مبايعته وتسليم الدولة اليه ، وأنه قد اتصل به ازماع حضرته على التوجه الى الشام ، وأنه اشفق من تسليمها اليه أن تسلطها عساكره مع كثرتها وتجمعها فتخربها وتعفي اثارها . فإن رأى اعفاءها من وطء العساكر لها ووصول ركابها اليها على وجه الفرجة والنظر الى دمشق وحسنها ، فلها عالي رأيها .

فلما وقف طغر بك على كتاب اليازوري قال . هذا كتاب رجل عاقل ، يجب أن يعتمد ما أشار به - وأذن للعساكر في العود الى بلادها . فمضى كل عسكر الى وطنه ، وقوض خيامه وضربها على الجانب الغربي يريد الشام . فكتب عيون الوزير اليه بذلك ، فقلق شديداً وكتب الى طغر بك لا تغرنك الأمانى والخدع بأن أسلم اليك أعمال الدولة وأخون أمانتي لمن غذاني فضله وغمرني احسانه وتتعين علي طاعته وموالاته . فإن كنت تسلم الي ما في يدك لصاحبك من بلاد العراق وأعمالها ، سلمت اليك ما في يدي لصاحبى . والواجب أن تكون كلمة الاسلام مجموعة لابن بنت النبي ، الذي هو أولى بمكانه من غيره . وإن رغبت الى ما في الموادعة والمهادنة انتظمت الحال بين الدولتين وأمن الناس بينهما . فإن أبيت إلا الخلاف ونزع بك الهوى الى الظنون الفاسدة والأطماع الكاذبة ، فليس لك عندي إلا السيف . فإن شئت فأقم ، وإن شئت فسر

فغاض ذلك طغر لبك وقال . خدعني هذا الفلاح وسخر مني -
وكتب الى ابراهيم ينال أخيه . رد إلي العسكر مسرعا - فأنفذ
ابراهيم ليردهم فلم يرجع أحد منهم وقالوا : فينا من بينه وبين وطنه
شهران وثلاثة وخمسة ، وقد سرنا معه حتى وطىء الأعمال وملك
البلاد وفتح المدن واحتوى عليها وفاز فيها ، ولم نحصل منه الا على
التعب والنصب والخيبة . واذا كنا لم نصب في طول سفرنا خيرا فما
عسى أن نؤمله اذا عدنا ؟ - ومضوا . هذا وقد بث اليازوري عيونه
وجواسيسه في عسكر طغر لبك واستفسد اعيانهم والطفهم واكثر
امانهم ومواعيدهم ، وتوصل الى زوجة طغر لبك ، والى ابي نصر
منصور الكندري وزيره ، والى ابراهيم ينال أخيه وصاحب جيشه
فمالوا اليه وتقاءسوا عن طغر لبك . وما كفاه ذلك حتى حمل
الخاتون زوج طغر لبك على قتله ، فقالت : أما بيدي فلا ، ولكني
أتحيز عنه بغلاماني ، وهم حمية عسكره - وكانت عدتهم نحو اثني
عشر الفا - وفي اعتزالي بهم عنه ضعف لجانبه . واعتزلت عن طغر
لبك بهم ، وكان ذلك سبب الظفر به .

ثم أن طغر لبك بعث في سنة خمسين وأربعمائة الى سنجار الفين
وخمسمائة من الغز الى البساسيري فقدمها وظفر بها وقتل جميعها
وأفلت منهم نحو المائتي فارس . فلم يقاتل بعدها رجال الدولة
الفاطمية ، وعاد عن بغداد ، فقوي البساسيري وكثف جمعه .
وقصد أعمال العراق يفتحها بلدا بلدا ، والوزير يمدد بما يستعين به
على ذلك من المال والراي والتدبير ، الى أن وصل الى بغداد وناصب
القتال ، وقسم عسكره فرقتين ، فرقة تقاتل في النهار ، وأخرى تقاتل
من صلاة المغرب الى الفجر ، حتى دخلها وأقبل يملك محالها
وشوارعها الى أن وصل دار الخلافة وحصرها ونصب عليها القتال
من كل جانب وفرق النقبابين في جميع جهاتها . فلما أشرف على
أخذها صعد القانم بأمر الله الى أعلى الدار واستشرف على الناس
وأقبل ينادي : يا أهل بغداد ! - ويحضرهم على نصرته والدفاع عن
حوزته . واستدزم من قریش بن بدران وطلب منه الامان ، فأخذه
ومنع منه البساسيري ، واسلمه الوزير ابن المسلمة . واستولى

البساسيري على دار الخلافة بما فيها وكسر منبر الجامع وقال :
هذا منبر يعلن عليه ببغض آل محمد - وأنشأ منبرا آخر وخطب
عليه للمستنصر . ثم لف ابن المسلمة في جلد ثور وصلبه حتى جف
عليه فمات . وأقامت الخطبة للمستنصر أربعين جمعة ، والقائم
معتقل في قلعة الحديثة عند مهارش نحو عشرة أشهر . وعزم
اليازوري أن يحمل الى مهارش عشرة آلاف دينار ويستخلص
الخليفة من يده ويحمله الى القاهرة على حال جميلة ، فاذا قرب
منها تلقاه بأهل الدولة أحسن لقاء وبالغ في اكرامه وانزله في القصر
الغربي وحمل اليه ما يناسبه وأقام له الراتب السنوي في كل يوم
وجعل له مائة دينار في كل يوم وجعله يركب في موكب المستنصر بين
يديه يحجبه . فاذا ركب بين يديه عدة ركبات وانتشر في الأقطار خبر
هذا الحال ، خلع عليه وعقد له الوية الولاية للعراق وكتب عهده
بتقليده اياه وسيره اليه واعاده الى مملكته وخلافته من قبله . فممنعه
حادث القدر ، الذي حل به قبل ادراك ما في نفسه .

وكانت حلب قد تغلب عليها صالح بن مرداس من أمراء بني كلاب
في أيام الظاهر لاعزاز دين الله علي بن الحاكم ، وكثف أمره ، الى
أن ولي أمير الجيوش أنوش تكين الدزبري دمشق وأعمال الشام
فحاربه وقتله . فقام من بعده ابنه شبل الدولة - نصر فحاربه
الدزبري وقتله ايضا ، وملك حلب واستخلف عليها من غلمانه رضي
الدولة منجوكتين فأقام بها عدة سنيين . فلما مات الدزبري تغلب على
حلب ثمال بن صالح بن مرداس في وزارة الجرجرائي . فكتب اليه
بولايتها وقرر عليه مالا يحمله في كل سنة . وتمادى الحال على ذلك
الى أيام الوزير الناصر للدين أبي محمد اليازوري ، فلم يرض
بذلك . وعلم أنه لا يطيق صرفه ، فرجع الى عاداته في اعمال الحيلة
واستعمال الخديعة ، وبعث اليه بقاضي مدينة صور ، فساس الأمر
مع ثمال وأحكم التدبير فيما قرر معه ، ووعده ومناه حتى نزل من
قلعة حلب وسلمها الى وال من قبل المستنصر ، وسار من حلب يريد
القاهرة . فلما بلغ الى رفح بلغه القبض على اليازوري
فقال : والله - اني اموت بحسرة نظرة الى من استلني من ذلك الملك

وأخرجني بلا رغبة ولا رهبة إلا بحسن السياسة . ولو رام ذلك مني
لتعذر عليه .

وكان له من المآثر المرضية والخلال والأفعال الجميلة والأخلاق
الرضمية ما يتجمل الملوك بذكرها : منها أنه كانت له مائدة يحضرها
كل قاض وفقيه وأديب وجليل القدر ، فيجتمع عليها قريباً من
عشرين نسمة . حدث القاضي عمدة الدولة ابن حميد قال : كنت
أجلس على يساره . فإذا ازدحموا وكثر تضاييقهم على المائدة ،
جذبني إليه حتى يكاد ينحرف عن مجلسه . فأنكر يوماً ونحن
مجتمعون ، إذ استؤذن على الفقيه أبي عقبة ، فأمر بدخوله . فلما
دخل لم يجد موضعاً فجذبني إليه بحديث صرت إذا مددت يدي إلى
المائدة لا أرجعها إلى فمي إلا بكلفة ، خوفاً أن أصيبه بها . فبينما أنا
كذلك وقد مددت يدي ورجعتها ، وهو قد مديده فلم أمهل حتى ترجع
فأصاب مرفقي جوجؤ (١١) صدره ، فورد علي أمر عظيم من ذلك ،
وتأخرت وقبلت الأرض وقلت : قد بسطنا إنعام سيدنا إلى حيث
لا نستحقه ، وأخرجنا إلى سوء الأدب . ولو أنعمت بنصب مائدة
نجتمع عليها بحضرته لكان لنا في ذلك الشرف الأوفى والفخر
والأسنى ، ولم ننته إلى هذا الحد في سوء الأدب .
فقال : وما الذي أوجب قولك هذا حتى ذكرت ما ذكرت ؟ ولقد
نكدت بإيراده .

فقلت : ياسيدنا نسيء أدابنا فتغفر ونعترف بالخطأ فتذكره
علينا ، ونعتذر عن ذلك فتلومنا عليه . فما ندري بماذا نقابل
احسانك ، ولا بأي لسان نشكر تفضلك .

فقال : وما الذي كان حتى تحتاج إلى كل هذا ؟ - وأقبل يجذبني
وأنا أتقبض ، حتى زاد تمكني باجتذابه لي فوق ما كنت عليه أولاً ،
وقرب كتفي من صدره ، وهو منطلق الوجه ظاهر البشر . وكان قبل
ذلك اليوم يسمع حديثنا على المائدة ولا يكاد يجيب لأنه كان كثير
الصمت قليل الكلام لأنسمع منه إلا اللفظ القليل عن الكلام الكثير .
فابتداً ذلك اليوم يتحدث بما يستطاب حتى يزيل عني ما اعتراني من

الغم بما كان مني ، واقمت معه خمس عشرة سنة قبل وزارته ملازما له في المبيت والصباح ، فكنت اراعيه في حالاته كلها ليلا ونهارا فلا اراه يتغير علي منها شيء ، ولا يتبين لي منه غضب من رضى . فحدثت ابي بذلك فقال : يا بني ، اني لم اكن لأؤثر سماع ذلك منك ، فكيف سماع غيري له ؟ فلا تحدث به أحدا ، وتلطف في تأمل ذلك الى أن تقف عليه ، فانك اذا حدثت به نسبت الى غلظ الطبع وتخانة الحس ، والبله .

فأقبلت أدقق التأمل له في حالتي غضبه ورضاه ، شهورا قبل أن يتبين لي : فكان اذا رضي اوردت وجنتاه بدمرة . واذا غضب اصفرت محاجر عينيه . فعرفت ابي بذلك فقال : يا بني ، هذا غاية في سكون النفس وصحة الطباع واعتدال المزاج .

وكانت طبائعه قريبة من الاعتدال ، فاذا احس بميل طباعه عما يعهده ، أخذ في اصلاحه حتى تعود الى الاستقامة . وحدثت بعض من كانت تقوم بخدمته من النساء قالت : كنت اتولى صلاح ما يشربه من الدواء في كل يوم ، وكان لا يعطل شربه يوما واحدا .

وذلك انه كان يشرب السمكنجبين والورد اسبوعا ، ثم يريح نفسه ثلاثة ايام ، ثم يشرب المنقوع المغلي في الشتاء ، والمنجم في الصيف ، اسبوعا لكل منهما ، ويشرب ماء البزور اسبوعا ويشرب ماء الجبن ثلاثة ايام ، ويشرب ماء البقل اسبوعا ، ثم يشرب الراوند المنقوع كذلك ، ويريح نفسه بين كل دواءين ثلاثة ايام ولا يخل بذلك في صيف ولا شتاء .

وكان ندي الوجه كثير الحياء لا يكاد يرفع طرفه الا لضرورة . ولم يسمع منه قط في سؤال لفظة «لا» ، بل كان اذا سئل فيما يرى اجابة سؤاله اليه يقول «نعم» بإخفاض من طرفه وخفوت من صوته . فإذا سئل فيما لا يرى الاجابة اليه يطرق ولا يرفع بصره . وعرف هذا منه ، وكان لا يراجع فيه الا بعد مدة .

وكان كل من يحضر مائدته يستدعي منه الحضور بين يديه ليلا
ليسمروا عنده ، وكان فيهم من يشرب المسكر ، فإذا حضروا عرف
كل منهم مجلسه الذي تقرر له . وكان كل من لا يشرب النبيذ يجلس
عن يمينه ، ومن يستعمله يجلس عن يساره ، وتوضع بين يدي كل
منهم الفواكه الرطبة واليابسة ، ويتفرد من لا يشرب بحلاوة توضع
بين يديه ، ومن يشرب يعمل بين يديه ما يستعمله ، وستارة الغناء
مضروبة . فيجلسون بين يديه ، وهو مشغول يوقع ، وهم يتحدثون
همسا وإشارة ، الى أن ينقضي أربه من التواقيع ، فيسند ظهره
وينشطهم للحديث فيتحدثون . ويقول لمن عن يمينه : قد تجدد
اليوم كذا وكذا ، فما عندكم فيه ؟ - فيقولون : سعادة حضرة
سيدنا تمهد له صواب الآراء ، وقد خصها الله تعالى من ذلك بما
لاتهتدي عبيدها اليه .

فيقول : بل يقول كل منكم ما عنده في ذلك ، ولا يقوم في نفس
واحد منكم أن ما راه خطأ فيمسك عن ذكره ، فربما كان الصواب
مقرونا بذلك الراي وهو ضالة تصيب من لم تجر عادته بإنعام الفكرة
فيه .

فيصقع أحدهم ويقول : الذي يراه العبد على وجه الخدمة كذا
وكذا فلا يزال يسمع من واحد واحد حتى يستكمل الجماعة . ثم
يعطف على شماله فيقول : قولوا ! - فيفعلون كفعل الأولين ، وهو
يسمع ولا يرد على احد شيئا ، فلا يصوب المصيب ولا يخطئ
المخطئ ، ويببب يضرب الآراء بعضها ببعض حتى يتمحض له
الصواب ، ويصبح يرمي فلا يخطئ . وهكذا كانت أفعاله طول
مدته ، لم يستبد قط برأيه ولا نف من المشورة ، بل يقول :
المستبد برأيه واقف على مداحض الزلل ، وفي الاستشارة حل
عقول الرجال .

وبهذا العقل تم له ما كان يدبره حتى أثر في جميع ما رامه من
أطراف الدنيا أثارا بقي ذكرها دهرًا طويلا .

واراد أن يعرف قدر ارتفاع الدولة وما عليها من النفقات ليقايس

بينهما . فتقدم الى اصحاب الدواوين بأن يعمل كل منهم ارتفاع ما يجري في ديوانه ، وما عليه من النفقات فعمل ذلك وتسلمه متولي ديوان المجلس وهو زمام الدواوين ، فنظم عليه عملاً جامعاً واختصره أيام (دولته) فجاء ارتفاع الدولة ألفي ألف دينار ، منها الشام : ألف ألف دينار ونفقاته بازاء ارتفاعه ، ومنها الريف وباقي الدولة : ألف ألف دينار ، يقف منها عن مغلول وينكسر عن موتى وهرب ومفقود أبواب : مائتا ألف دينار وتبقى ثمانمائة ألف دينار ، ينصرف منها للرجال عن واجباتهم وكساويهم ثلاثمائة ألف دينار ، وعن ثمن الغلة للقصور : مائة ألف دينار ، وعن نفقات القصور مائتا ألف دينار . وعن عمائر ، وما يقام للضيوف الواصلين ، من الملوك وغيرهم ، مائة ألف دينار ، ويبقى بعد ذلك مائتا ألف دينار حاصلة يحملها كل سنة الى بيت المال المصون ، فحظي بذلك عند الخليفة ، وتمكن منه ، وارتفع قدره عنده . وكانت الدولة طول نظره في عرس ، لتوالي الفتوحات في أيامه وعمارة الأعمال بحسن تدبيره واستخدام الكفاة فيها بجودة اختياره .

وكان المستنصر يحضر عنده في كل يوم جمعة ويبيت عنده في لذة ومسرة ، فيحضر اليه من التحف والطرف والغرائب ما لا يكاد يقدر عليه غيره . فاستمر على ذلك ثماني سنين . فكثر الحاسد له على ما يتأتى له من السعادة وتعينه عليه الأقدار . واستطال حساده مدته فابتغوا له الغوائل ونصبوا له الحبال ، وركبوا عليه المناصب حتى كان هلاكه بأقل الناس قدراً وأحقهم ، وأدناهم منزلة وأضعفهم قدرة ، وهم من أطراف الخدام ، ليبين الله آياته للناس ليعلموا أن الله على كل شيء قدير : وذلك أن اثنين من أطراف المستخدمين ، أحدهما خادم يعرف بفرج المغراوي كان في حاشيته ، والآخر خازن في بيت المال يتولى خزانة الفرش يعرف بتنا ، تمحلوا له الأباطيل ونمقوا الأحاديث وزخرفوا القول وحكوا أنه نقل الأموال الى الشام في التوابيت وفي شمع سبكه ، وأنفذه الى القدس والى الجليل ، وأنه قد عول على الهرب الى بغداد . فصدق

ذلك وقبض عليه بغير ذنب الا الملل والحسد الذي جرت عادة الملوك به . وان مللهم بغير علة وحسدهم على تظافر من ينعمون عليه بما يصير في يديه ليتجمل به ، فيكون ذلك سبب حسدهم ومللهم .

واتفق ان المستنصر التمس من صفى الملك ولد الوزير عمل دعوة يدعوه اليها ، فدافعه عن ذلك ، استعظاما لحضوره عنده . فأقام مدة حتى بعثه الوزير الناصر للدين على تكلف عملها ، فهاهنا لذلك وصنع ما يليق بإعداده . وتقرر الحال على يوم . فلما تهيأ ذلك حضر صفى الملك الى ابيه وأعلمه بإنجاز ما يحتاج اليه ، فصار معه الى الدار بخواصه فرأى ما تقصر عنه كل صفة . من ذلك انه فرش مجلسين بديباج بياض كله وفيه جامات كبار حمر بنقوش كأجل من الأعدال ، وفي كل مجلس ثلاث مراتب وبساط ملء المجلس وسرادين - يعني : سـتارتين - وحجلتين للصـدر - يعني سخاندين - وكل مرتبة ثمانى قطع ، ثمن ذلك خمسة آلاف دينار .

فاقبل كل من حضر يبالغ في صفته ، الا ابن حميد فإنه صار ساكتا فلحظه الوزير . وطاف المجالس واستعرض كل ما أعده ، وهو يقول : ي زاد لهنا كذا ، ويترك هنا كذا - ثم عدل الى بيت الطهارة فدخله ، وقد اعد في دهليزه من الفرش والآلات والطيب وفي داخله من الفواكه والمشمومات كل مستحسن .

واستدعى ابن حميد منفردا ، وجلس في دهليزه وقال : يا عمدة الملوك ما لي لم اسمعك تؤمن على ما قالته الجماعة ؟ فاعتل بما لم يقبله الوزير ، والزمه ان يصدقه فقال : ياسيدنا عندي أحد رأيين : إما أن تأمر بإزالة لهذه الفرش ونصب غيرها مما هو مستعمل ، أو تحمله الى الخليفة اذا انقضى جلوسه عليه .

فقال : وما هو هذا ؟ اليس هو مما انعم به وصار الي من فضله ؟ وما قدره حتى تمتد عينه اليه وتتطلع نفسه له ؟ أما إزالته ونصب غيره ، فما كنت لأكسر نفس هذا الصبي . وإن أمرت بإزالته حزن وانكسرت نفسه - وقام

فحضر المستنصر واقام يومه في الدار ، واحضر اليه ما اعد له من الطرف . وركب اخر النهار وعاد الى قصره . وحضر خواص الوزير عنده على عاداتهم . فانفرد بابن حميد وقال له : يا عمدة الدولة ، والله ما اخطأ حزرك فيما قلته بالأمس : منذ دخل الخليفة الى الدار الى ان خرج لم يطرف طرفة عن تأمل الفرش ، فاذا وجهت طرفي نحوه اطرق وتشاغل .

فقال : ياسيدي ، ان فات الأمر الأول ، فلا يفوت الثاني .
فقال : والله لافعلت ، ولا غممت صفى الملك بحرمانه اياه .

واتفق ايضا ان ابن حميد دخل على الوزير في يوم بكرة ، وقد قدمت الدابة الى باب المجلس ، فخرج ليركب ، وعليه ثوب اسمر اللون مليح السمرة . فدنا منه ليصلح ثيابه لما ركب ، وجعل يلمسر الثوب . فسار الوزير وعاد . فلما انقضت المائدة قال لابن حميد قد لحظتك اليوم تنظر الثوب الذي كان علي ، فعجبت من ذلك فلما مثلت بحضرة مولانا كنت بحديث جرت العادة . فاقبل يتأمل الثوب ، ولم يزل يزحف من الدست حتى قرب مني فتغاسفت عنه ، ولحظته وقد مد يده الى الثوب ليلمسه ، فقلت في نفسي : زال عجبى من عمدة الدولة اذا كان الخليفة على هذه الصفة ، وهو ثوب ملحم خراساني .

فقال : الملوك اذا انعموا على أحد ممن في دولتهم نعمة وتظاهر بها ، استحال الاحسان والاصطناع حسدا ومللا .

وكان الوزير شريف الاخلاق ، عالي الهممة ، كريم الطباع ، وطيب الأكتاف ، مستحكم الحلم ، واسع الصدر ، ندي الوجه ، يستقل الكثير ويستصغر كل كبير . فكان راتب مائنته في كل يوم كموائد الملوك في الأعياد والولائم . وكان لا يبتاع لمطبخه من الطير ما هو معرق ، ولا مصدر ، وسعر المعرق ستة اطياف بدينار ، والمصدر أربعة بدينار ، والمسمن ثلاثة بدينار ، والفائق اثنان بدينار ، فيعمل المسمن لداره ومن فيها ، وأما مائنته فلا يقدم عليها الا الفائق .

فاتفق حدوث الغلاء في سنة سبع وأربعين وأربعمائة ، وصار الخبز طرفة من الطرف لقلته وغلاء السعر من قصور النيل ، والمستنصر يحضر دار الوزير في كل يوم ثلاثاء على عادته ، وتقدم اليه المائدة ، فيراعي حالها فيجدها على ما يعهد لم يختل منها شيء ، حتى الدجاج الفائق . فقال لصاحب مطبخه : ويلك ! يكون راتب مائدة الوزير الدجاج الفائق ومائدتي دون ذلك ؟

فقال : يامولانا ، ما نذبي اذا قصر بك اصحاب دواوينك ومطابخك ولم يطلقوا لمائدتك ما التمسه منهم " والوزير ، فلا يتجاسر وكلاؤه أن (١٢) يقصروا في شيء مما جرت به العادة في راتب مائدته وغيرها ، مع تقدمه اليهم في كل يوم بالزيادة فيها وفي راتب داره.

وكان الوزير ايضا اذا اعطى هنا ، واذا انعم على انسان اسبغ ، واذا اصطنع احدا رفعه الى ما تقصر عنه الآمال والأمانى. مع عظيم الصدقة وجزيل البر الذي عم به اهل البيوتات بما اقامه لهم من المشاهرات على مقاديرهم ، والأشراف سـكان المنامة ، والفقراء وأهل الاستر بالقرافة بما يواصلهم به من البر والكسب ، ويجري ذلك على يد ابن عصفور احد الشهود بمصر ووكيل السيدة الوالدة ، فكانوا يظنون ان ذلك من انعامها وبرها او من انعام المستنصر . فلما قتل الوزير انقطع عنهم ما كان يصل اليهم من بره ، فاستنصروا بذلك (الوكيل) وواصلوا الخطاب فيه وقالوا : قد جفينا من مولانا ومولاتنا وانقطع برهما عنا ، فلو اذكرتهما بنا ؟ - واكثرنا من ذلك على ابن عصفور . فقال لهم: الذي كنتم ترون ماكان ليجيئكم حتى يبعث الله ناصر دين آخر ' فحينئذ يأتيكم منه ماكان يصلكم به .

فقالوا : نحن التمسنا من مولانا ومولاتنا ، ولم نلتمس من ناصر الدين ، فقال : ما كان يجيئكم ذلك الا من الوزير ، فان بعثه الله لكم فعساه يبركم بما كان يبركم به ، فعجبوا من ذلك ،

واكثروا من الترحم عليه .

ولما تظافر الغلامان على الوزير حتى تم من القبض عليه ماتم ، لم يشعر مستهل المحرم سنة خمسین وأربعمائة الا وقد قبض عليه فكتب رقعة الى ابي فرج البابلي ، لموضع تقديمه له ، وبما احسن به اليه وانعم عليه ، وانه هو الذي رفعه على جميع اصحاب الدواوين ، واستخلصه دونهم ، وظن انه يجازيه على ما صنع اليه ، ويفي له فخاب ظنه ، ونص الرقعة بعد البسملة : عرفنا يا ابا الفرج ، اطال الله بقاءك وادام عزك ، تغيير الراي فينا ، وسوء الذية والطوية فان يكن هذا الامر صائر اليك ، فاحفظ الصحبة وارع واجب الحرمة . وان يكن صائرا الى غيرك فابتغ لنفسك نفقا في الأرض . على انانشير عليك اذا دعيت اليه الا تتأبى عنه ، فانه اصلح لك واعود علينا ، والسلام .

فدعي البابلي واستقر في الوزارة بعد اليازوري ، فتجرد لمقابلة احسان مصطنعه بكل قبيح ، وذكره في مجالسه بما لا يستحقه منه . وكانت هذه الرقعة اعظم ذنوبه عنده ، فكان يقول . يخاطبني وهو على شفير القبر بنون العظمة ! - ولا يذكره الا بالسفيلة والسقاط .

ولم يقنعه كونه في الاعتقال بمصر حتى نفاه الى تنيس في صفر هو واولاده ونسأؤه وحاشيته ، فاعتقلوا بها . وشرع في التدبير على قتله خوفا من الرضى عنه .

فحدث عظيم الدولة متولي الاستر قال : كنت في جملة الصقالبة الموكلين على الناصر ثم على البابلي بعده ، فكنت ارى من رئاسة الناصر - على شببيته - ورجاحته ، وسكون جأشه ، ومن طيش البابلي وخفته ونقصه ، ما اعجب منه . وهو أني لما كنت موكلا بالناصر ، كنت اراه ملازما بالعتبة بساب المجلس في القاعة لا يتغير مكانه ، وكان البابلي يتعلو عليه ويراسله بما يمض ويوصينا اذا مضينا اليه بالجلب على فتح الباب والاكتثار من قلقلته عند الفتح ، لئلا يزعجه بذلك ، فوالله ما يكثرث اليه ولا ينزعج . واذا دخل

إليه تذكّار متولي السّتر يكون جلوسه منه في الاعتقال كجلوسه منه في وقت وزارته ، ويخاطبه بما يرضى به فيجيبه عنه بسكون وهدوء كأنه في الدست جالسا . فأنكر وقد دخل إليه يوما فجلس ونحن وقوف بين أيديهما أكثر من ثلاثين صقليبيا ، فأدى إليه ما أوصاه البابلي به ، وأجابته عنه . فنهض ولبس نعله وقال له . يا سيدي ، صرفتني عن السّتر بغير ذنب ثم أعدتني إليه بغير مسألة . فما كان معنك في ذلك ؟

فرفع طرفه إليه كأنه والله يخاطبه من دست الوزارة وقال له : كان صرفك في الأول برائي واختياري . ثم أعدتكَ كذلك برائي لما عرفته من ميل مولانا إلى استخدامك .

فخرج تذكّار وهو يقول : انظروا إلى هذا الرجل في سكون جأشه وقلة احتفاله في الجواب مع حاجته إلي في مثل هذا الوقت الذي تحقق قدرتي على الاحسان إليه فيه وعلى الاساءة . فوالله ما خاطبته إلا وأنا أظن أنه سيجيء بما يمهد عندي عذره فيه ، فلم يكن منه غير ما سمعته . والله ما أجد سبيلا إلى مقابلاته بغير الجميل ، لما كنت أشاهد من أفعاله وجميل سيرته .

وكان أكثر وقته صائما ، ولا يكاد يفطر إلا أقله ، ذاك ، وهو كثير التلاوة ، ولا يسأل عن شيء من طعام ولا شراب . وكنت من حاله عجبا .

كان في حال وزارته كثير الصمت ، مواصل الاطراق ، شديد سكون النفس ، هادئ الطبائع . فكنا نحمل ذلك منه على التيه والصلف والاعجاب وقلة احتفاله بالناس . فلما صار في حالة القبض والخوف كانت حاله على مثل ما كنا نشاهده منه وننتهمه فيه .

وأخذ البابلي كلما حضر بين يدي المستنصر يكثر التثريب على اليازوري ، إلى أن كان اليوم الذي شغبت عليه الأتراك ووطنوا دراعته . فإنه لما دخل على المستنصر قال : يا أمير المؤمنين ، إنه لا ينفذ لك أمر ، ولا يتم لي نظر ، وهذا الكليب في قيد الحياة .

فقال: ومن هو هذا الكليب ؟
فقال: الحسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري .
فقال : أيها الوزير ، أعلم أنني لم أصرف اليازوري عن خدمتنا
ولنا في إعادته رغبة . فطب نفسا ودع ذكره ، فأنت أمن مما تخافه
من جهته .

فقال : والله ، إن هذا لعجب فيمن حسن متابك ، يا أمير
المؤمنين ، عنه ، مع قبيح فعله وماهم به من قتلك ، حتى إن السقية
أقامت تدور في قصرك أسبوعا كاملا .
(فقال : أيها الوزير ، أقامت السقية تدور علي في قصري
أسبوعا كاملا ؟) (١٣) .
قال : نعم .

فأطرق متعجبا وبقي متفكرا وأمسك . فظن البابلي بإمساك
الخليفة أنه راض مما يفعله مع اليازوري ، وخرج ، واستدعى
طاهرا كاتب السر وسيره لقتله . فسمى الخبر إلى أم المستنصر
وقالت : أنت يا مولانا أمرت البابلي بقتل اليازوري ؟
فقال : لا .

قالت : قد سير طاهرا ابن غلام رشيد لقتله .

فاستدعى المستنصر سعيد السعداء وأنفذه إلى البابلي وقال: قل
له : لم نأمرك بقتله ، فأنفذ من يعيد طاهرا ويمنعه من النفوذ .
فالفاه سعيد السعداء في الحمام ، فأعذر إليه. فقال : لابد من
الدخول إليك! - ودخل وأدى الرسالة إليه. فقال : نعم ، هوذا
أخرج وأسير من يعيده .

وطول في الحمام. ثم خرج ، فأبلى أن يكتب الكتاب ويسير
النجاب ، جد طاهر في السير ووصل قبله إلى تنيس . فلم يدخل
النجاب حتى نفذ الحكم في اليازوري . وذلك أن طاهرا لما وصل دفع
كتاب البابلي إلى الأمير جمال الدولة صبح والي تنيس وفيه . إنا قد
سيرنا طاهرا فيما أنت تقف عليه من جهته ، فتثبت منه فيه وتحضر
معه لانجازه وتحذر من تأخيره من اليوم إلى غد .

فقال: وما الذي وصلت فيه ؟
فأخرج تذكرة بخط البابلي فيها : إذا وصلت يا طاهر أعزك
الله ، إلى تديس ، وقد شقيت ولهتت من العطش ، فلا تبل ريقك
بقطرة دون أن تحضر حسن بن علي بن عبد الرحمن اليازوري إلى
دار الخدمة وتمضي حكم السيف فيه . فقد كتبنا إلى الأمير جمال
الدولة بمعونتك على ما نستدعيه من ذلك ، فقدمه ولا تؤخره إن شاء
الله.

فقال له الوالي : أنت خليفة صاحب الستر ، ومرسل من جهة
السلطان ، والأمر الذي وصلت فيه ممثّل . فأمض الحكم فيه .
فقال : بحضورك.

قال : وما معنى حضوري إذا بلغت غرضك فيما وصلت فيه ؟
فقال : لا بد من حضورك!

وأنفذ من أحضر اليازوري من الدار التي أعتقل به . فلما حضر
اجلس على مصطبة باب الدهليز ، وطاهر على مقابله في
مصطبة ، والصقالبة والسعدية خدام الستر وقوف ، والسياف
قائم . وقال طاهر : يا حسن ، يقول لك مولانا : أين أمواله ؟
فلم يجبه ولم يرفع طرفه إليه . فقال له : لك أخاطب يا حسن بن
علي بن عبد الرحمن . يقول لك أمير المؤمنين : أين أمواله ؟ فلم يجبه
ورفع طرفه ونظر إلى طاهر وإلى الجماعة القيام وقال لطاهر : يا
كلب تجيء وهذا معك - وأشار إلى حيدرة السياف - وتساألني بعد
ذلك ؟ ولكن قل له : يا مولانا ، قبض علي وأنا آمن على نفسي فإن
كان عندي مال ، فقد وجدته في داري . وكتب داعميك وثقتك المؤيد في
الدين في القمطرة الفلانية تشهد بذكر مالك أين هو .

فأشار طاهر إلى الذين معه فأخذوا اليازوري وضربت عنقه في
الحال . وسار لوقتته عائدا ، ومعه رأس اليازوري ، إلى
القاهرة ، فبلغ ذلك المستنصر فاغتم لقتله ، وحقد على البابلي حتى
صرفه . وكان قتله في ليلة الثاني والعشرين من صفر سنة خمس

واربعمائة . والقيت جثته على مزبلة إلى أن ورد أمر المستنصر بعد ثلاثة أيام بتكفينه وتجهيزه والصلاة عليه . فغسل في مسجد وحنط بحنوط كثير وكافور ، وحمل بين العشمايين ومعه المشاعل ودفن . ثم حضر صقلبي بعد ذلك ومعه الرأس فدفنت معه في القبر .

ولم يتمكن أحد في الدولة المصرية بعد الوزير يعقوب بن كلاس تمكن اليازوري . وحكي أنه حج في صباه . فلما زار قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم نام في الحجرة النبوية ، فسقط عليه شيء من الخلق الملطخ بحائط الحجرة . فأتاه بعض خدام الحجرة وأيقظته وقال له : أيها الرجل ، إنك ستلي ولاية عظيمة . وقد بشرتك ، ولي منك الحباء والكرامة .

فصار إلى ما صار حتى إنه سأل المستنصر بالله أن يكتب اسمه على سكة الذهب والفضة فأذن له في ذلك . وطبعت باسمه نحو شهر ثم بطلت . وأمر المستنصر ألا يسطر هذا في السير . وكانت صفة سيكته :

ضربت في دولة ال الهدى
من ال طه وال ياسين
مستنصر بالله جل اسمه
وعبده الناصر للدين

في سنة كذا

ومن طريف التخلصات في المكاتبة ما وقع له ، وهو أن العالي بالله إدريس ابن المعتلي بالله يحيى بن الناصر علي بن حمود بن ميمون بن حمود بن علي بن عبيد الله بن عمر بن إدريس بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب صاحب الأندلس كتب إلى المستنصر بالله من مدينة مالقة مكاتبة فيها : « من أمير المؤمنين العالي بالله إلى أمير المؤمنين المستنصر بالله » .

فغيب عليه بمصر قلة تصوره ومعرفته بأنه لا يجوز أن يكون أمير

المؤمنين في زمان واحد إلا واحدا . ثم ألجأت الضرورة إلى مكاتبتهم بنحو ما كتب ، وكان اليازوري إذ ذاك في الوزارة وتدبير أمور مصر فقال : أنا أخلص لكم هذه القضية وأعلقها بمعنى دقيق لا يبين للمكاتب - وكان صاحب حيل - فكتب إليه . من أمير المؤمنين المستنصر بالله معد إلى العالي بالله أمير المؤمنين بمالقة .

الحسن بن عمار الكلبي

(من المقفى للمقرئزي - مجلدة برتو باشا)

الحسن بن عمار بن علي بن أبي الحسين - واسمه محمد بن الفضل بن يعقوب أمين الدولة أبو محمد الكلبي ، أحمد شيوخ كتامة كان أبوه في خدمة الامام القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن عبيد الله المهدي ، فبعثه على رجال كتامة الى تودس في فتنة أبي يزيد مخلص بن كيداد النكاري ، وقد سبقه اليها مسزويه بن بكر الهواري من قبل أبي يزيد ، وبخلها في عاشر صفر سنة اربع وثلاثين وثلاثمائة ، فقتل وسبى وهدم الدور ، ولقي عمارا فقاتله وهزمه عمار وتبعه الى تودس وقتل كثيرا من أصحابه وأخذ ثلاثة آلاف جمل تحمل طعاما وغيره ، وعاد الى القائم بالمهدية ، فأمره أن يقيم بسوسة. ثم مات القائم ، وكان مع ابنه المنصور بالله أبي الطاهر اسماعيل حتى مات وقام من بعده ولده المعز أبو تميم معد. فسار من قبل أخيه الحسن بن علي متولي صقلية على اسطول الى بلاد الروم وعاد ، فخرجت عليه ربح شديدة بالقرب من صقلية فعطب الاسطول بأسره وغرق القائد في يوم الجمعة لعشر بقين من جمادى الآخرة سنة خمس وأربعين وثلاثمائة ودفن من الغد بصقلية.

ثم إن الحسن بن علي افتتح في سنة اثنتين وخمسين قلاعا بجزيرة صقلية ونزل على قلعة رمطة فحاربها فطال عليه أمرها فرجع إلى جزيرة صقلية وترك على رمطة ابن أخيه أبا محمد الحسن ابن عمار صاحب الترجمة ، فأقام عليها وطال مقامه . واستغاث الروم بصاحب القسطنطينية. فوجه إليهم عسكريا في البر وعسكريا في البحر ، والتقى ابن عمار مع مقدمة الروم في نصف شوال منها بشرزمة يسيرة فرزقه الله الظفر وقتل قائد الروم صاحب عسكري البر

واسر صاحب عسكر البحر ، وانهزمت عساكرهم فتبعهم المسلمون فحزوا منهم عشرة الاف راس ، وغرق منهم في البحر خلق كثير . وكان في طريقهم خرق عميق في الأرض فحال بينهم وبين رؤيته الغبار فتواقفوا فيه وقت الهزيمة وسقط الخيل والرجال وصار بعضهم على بعض فهلك فيه من الروم خلق لا يحصيه إلا الله فماتوا كلهم ، واسر منهم يعد هذا كله ألفا أسير فيهم مائة بطريق . واخذ من أموالهم وسلاحهم وكراعهم ما يقصر عنه الوصف . ونزل من قلعة رمطة نحو ألف عالج خوفا وجزعا .

واقام الحسن بن عمار محاصرا لها ، ووجه بالقائد والبطارقة والرؤوس وكتاب الفتح إلى مدينة صقلية ، فخرج إليهم الحسن بن علي بالعدة والعساكر فلقاهم فرأى ما سره وفرح بذلك فرحا شديدا ، ثم انصرف فاعتل من إفراط الفرح بحمى حادة ومات بعد ذلك بسبعة أيام لاثنين عشرة بقيت من ذي القعدة من هذه السنة . وفتح الله قلعة رمطة على يد الحسن بن عمار لثلاث بقين منه ، فقتل جميع من كان بها من الرجال وسبى النساء ، واستولى على جميع ما فيها من نعمة ومتاع وغير ذلك . ثم قدم من صقلية على المعز في سنة ثمان وخمسين وثلاثمائة بالمهدية ، فخرج معه لحرب أبي خزر يعلى الزناتي الثائر .

ثم عاد فبعثه في يوم الثلاثاء لتسع خلون من شوال سنة تسع وخمسين (وثلاثمائة) على الأسطول إلى مصر . فانتهى إلى طرابلس . وأقلع منها يوم الخميس لثمان بقين من شوال سنة ستين وثلاثمائة . ثم قدم إلى القاهرة يوم الاثنين رابع ربيع الأول سنة إحدى وستين ، ثم لما قدم الأسطول في ذي القعدة من المغرب خرج عليه ابن عمار في ذي الحجة وسار إلى تديس ولقي أسطول القرامطة فأخذ منه سبع قطع وأسر خمسمائة رجل .

ثم سار في رجب سنة إثنين وستين إلى الحوف على عشرة الاف فواقع القرامطة .

وما زال بالقاهرة بقية أيام العزيز ، ولما احتضر العزيز بالله

بمدينة بلبيس استدعى القاضي محمد بن النعمان والحسن بن عمار هذا وأوصاهما بولده أبي علي المنصور ومات. فأقيم في الخلافة بعده أبو علي ولقب بالحاكم وسار إلى القاهرة وسنه إحدى عشرة سنة وخمسة أشهر. فأنفق في المغاربة وكتامة وشرطوا أن لا ينظر في أمورهم إلا ابن عمار. وذلك أنه أعطى لكل واحد من شيوخ كتامة لما أنفق فيهم من خمسة آلاف دينار إلى ما دونها ، وأعطى شبابهم على أقدارهم . وكان العزيز قد غضب عليهم لخذلانهم القائد جوهر في نوبة هفتكين وعرف الوزير يعقوب بن كلس ذلك فاطرحهم حتى ضاعوا وساءت حالاتهم وتفرق كثير منهم في الصناعات . فتنبه ابن عمار (إلى) حالهم فاجتمع شيوخ كتامة عند المصلى خارج القاهرة ، وقد خالفوا على الحاكم . فخرج إليهم ابن عمار وما زال بهم حتى أحضرهم إلى القصر وقرر لهم ما أرضاهم به وأنفق فيهم ، وحلف للحاكم ثم حلفهم وحلف عليه الحاكم بأمر الله في يوم الثالث من شوال سنة ست وثمانين وثلاثمائة . وقلده سيفاً من سيوف العزيز بالله وحمله على فرس بسرج مذهب ، وكناه ، ولقبه « أمين الدولة » . وقال له : « أنت أميني على دولتي ورجالي » . وقاد بين يديه عدة خيول ، وحمل معه خمسين ثوباً من سائر البز الرفيع . ونزل من القصر إلى داره في موكب عظيم . وقرا سجله قاضي القضاة محمد بن النعمان بجامع مصر في خامسه . فاستكتب أبا عبد الله (٠٠٠) الموصلية واستخلفه على أخذ رقايع الناس وتوقيعاتهم . وألزم سائر الناس بالترجل له فترجل كل رئيس في طائفته . وقرر لكتامة سبعة أعطية في السنة وأنفق فيهم وحمل رجالاتهم - وهم نحو الألف - على دواب الاصطبل التي خلفها العزيز ، ولم يترك أحداً من الشيوخ حتى حمله على الفرس والفرسين بالمراكب الحسنة من خزائن القصر .

وسير سلمان بن جعفر بن فلاح إلى الشام على عسكر ، وخلع عليه ، وقلده سيفاً مذهباً ، وحمله على فرس ، وقاد بين يديه أربعة أفراس بمراكبها ، وأنعم عليه إنعاماً زائداً ، وأنفق في المغاربة المسائرين معه ، وبعث إليه بخزانة مال على ثمانية وستين بغلاً فيها

أربعمائة ألف دينار وسبعمائة ألف درهم ، وبعث إليه بستة وأربعين حملا من السلاح وعشر جمازات عليها الدروع وست قباب بفرشها وأجلتها ومناطقها وسائر آلاتها ، وست جمازات بجانب آلة الديباج الملون وثلاثين جمازة بأجلة وعشرة أفراس وثلاث بغلات بمراكبها ، ومنديل يحمله خادم فيه ثياب من ثياب العزيز وسيف من سيوفه .

وصار ابن عمار ينزل ويركب من باب الحجرة التي فيها الحاكم فيشق القصر راكباً ، والزم سائر الناس بالتبكير إلى داره ، وكانوا يزدهمون على بابه وفي دهاليزه ، وبابه مغلق . ثم يفتح بعد حين فيدخل الأعيان إلى قاعة الدار ويجلسون على حصير ، وهو جالس في مجلسه لا يدخل إليه أحد مقدار ساعة . ثم يأذن للأعيان كالقاضي ووجوه كتامة القواد فيدخل أكابرهم . ثم يؤذن لسائر الناس فيزدهمون ولا يقدر أحد على الوصول إليه ، فمنهم من يومىء إلى تقبيل الأرض ، وهو مع ذلك لا يرد السلام على أحد .

فإذا خرج لا يتمكن من تقبيل يده إلا قوم بأعيانهم . وباقي الناس يقبل بعضهم الركاب ، وبعضهم يومىء إلى تقبيل الأرض .

وانفذ ما في الأصطبلات من الخيول فأنعم على كتامة بالافين وخمسمائة فرس ، وأخرج للحملان والقود شيئا كثيرا ، وحمل من الخيل والبغال والنوق لسلطان بن فلاح زيادة على ألف رأس ، وباع من الخيل والبغال والنجب والحمير ما يتجاوز الوصف حتى بيعت الناقة بستة دنانير . وقطع أكثر الرسوم التي كانت تطلق للأولياء من الأتراك وغيرهم . وقطع أكثر ما كان من المطابخ واقتصر على البعض . وقطع أرزاق جماعة من أصحاب الراتب ، وفرق كثيرا من جوارى القصر على الناس ، وكان فيه من الجواري والخدم عشرة آلاف جارية وخادم ، فباع من اختار البيع واعتق من سأل العتق ، كل ذلك طلبا للتوفير .

وحمل إلى سلمان بن فلاح جل رحل العزيز وأمتعته ، وأصطنع أحداث المغاربة ، فكثرت عبتهم وأمتدت أيديهم إلى أخذ الحرم من

الطرققات ، وسلبوا الناس في الشوارع وغيرها . فكثرت شكايه الناس منهم فلم يشكهم . ثم إنه فرط في الأمر حتى تعرضوا لغلمان الأتراك يريدون أخذ ثيابهم . فثار بسبب هذا شر قتل فيه واحد من المغاربة وغلام من الأتراك . فاجتمع شيوخ الطائفتين وصاروا احزابا . فقام ابن عمار في نصرة المغاربة ، ووقعت الحرب بين الفريقين ، وقتل جماعة منهما . فانطلقت الاسنة من كل منهما بالقبيح في حق الآخر ، واقاموا على المصاف يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء تاسع شعبان فركب بينهما ابن عمار يوم الخميس بآلة الحرب وحفت به المغاربة . وتجمعت الأتراك ، وكانت بينهما وقائع قتل فيها عدة رجال وجرح كثير ، وجمعت الرؤوس بين يدي ابن عمار . فأنكر ذلك وعرف أنه اخطأ في ركوبه ، فعاد إلى داره .

ونزل إليه برجوان ليصلح بينه وبين الأتراك . فعندما دخل إليه برجوان ركب غلمان الأتراك دار ابن عمار فعاد برجوان إلى القصر ، وامتدت أيدي النهابة إلى دار ابن عمار واصطبلاته ، وإلى دار رشأ غلامه ، فأخذوا منها ما لا يحصى كثرة . وكان أكثر من نهب المغاربة الذين اصطنع أحداثهم . فسقط في يده ونجا بنفسه إلى داره بمصر ليلة الجمعة لثلاث بقين من شعبان سنة سبع وثمانين وثلاثمائة وعزل عن النظر ، فكانت مدة أيام نظره أحد عشر شهرا تنقص خمسة أيام . ولزم داره بمصر سبعة وعشرين يوما . ثم خرج إليه الأمر بعوده إلى القاهرة فعاد وترك داره ليلة الجمعة خامس عشرين شهر رمضان . واقام بها لا يركب ولا يدخل إليه أحد إلا أتباعه وخدمه . ورسم بإطلاق رسومه وجرايات حشمه وكل ما كان له في أيام نظره من فاكهة وتلج وغيره ، ومبلغ ذلك من ثمن اللحم والحيوان والفواكه والتوابل خمسمائة دينار في كل شهر ، وسلة فاكهة في كل يوم بدينار ، وعشرة أرطال شمع كل يوم وحمل تلج عن يومين .

فلم يزل ملازما لداره إلى أن أذن له الركوب يوم السبت الخامس من شوال سنة تسعين . فركب إلى القصر ونزل موضع نزول الناس

بأسرهم ، وواصل الركوب الى يوم الاثنين رابع عشرة ، فأحضر
عشية إلى القصر وجلس به إلى عشاء الآخرة ، ثم أنن له في
الانصراف . فعندما قام ثار به جماعة من الأتراك قد أعدوا لقتله
فقتلوه واحتزوا رأسه ودفنوه موضعه . ثم سأل أهله في نقله إلى
تربيته ، فحمل إليها بالقرافة . وكانت مدة إقامته بعد عزله عن النظر
إلى أن قتل ثلاث سنين وشهرا واحدا وثمانية عشر يوما .

محمد بن حسن الكلبي

(من المقفى للمقرئزي - مجموعة ليدن)

محمد بن الحسن بن علي بن أبي الحسين ، أبو عبد الله ،
الصقلي ، أحد أمراء صقلية المعروفين ببني أبي الحسين ولد سنة
تسع عشرة وثلاثمائة •

وقدم من صقلية الى المهدي على المعز لدين الله في سنة ثمان
وخمسين وثلاثمائة عندما كتب المعز الى الأمير أبي القاسم أحمد بن
الحسن بن علي أن يرسل الى إفريقية بأهله وماله وجميع من يتعلق
به ، فاستخلف على صقلية يعيش مولى أبيه الحسن بن علي •

وقدم أبو عبد الله هذا الى مصر مع المعز ، وكان أخص الناس به
وأقربهم إليه • فلم يزل بالقاهرة الى أن مرض ، فعاده المعز في
مرضه • ومات لاحدى عشرة ليلة خلت من جمادى الآخرة سنة ثلاث
وستين وثلاثمائة ، فغسله القاضي النعمان بن محمد وصلى عليه
المعز ، وفتح تابوته ، وأضجعه بيده هو وابنه الأمير عبد الله بن المعز
ودفن في داره بالقاهرة .

واجاج بن زلو اللمطي (١٤)

من اهل السوس الاقصى • رحل الى القيروان فأخذ عن ابي
عمران الفاسي ثم عاد الى السوس فبنى دارا سماها بدار المرابطين
لطلبة العلم وقراء القرآن ، وكان المصامدة يزورونه ويتبركون بدعائه
واذا أصابهم قحط استساقوا به • فسمعت الشيخ ابا موسى
(عيسى) بن عبد العزيز الجزولي يقول : أصاب الناس جدد
بنفيس • فذهبوا الى واجاج بن زلو اللمطي وهو بالسوس • فلما
وصلوه ، قال لهم : ما جاء بكم ؟ فقالوا له : قحطنا وجئناك لتدعو
الله لنا ان يسقينا • فقال لهم : إنما مثلكم كمثلكم قوم أبصروا جبح
نحل فظنوا أن فيه عسلا ! ولكن انزلوا عندي فانكم اضياف •
فأضافهم ثلاثة أيام • فلما عزموا على الانصراف وجأؤوه لوداعه
ليرجعوا الى بلادهم قال لهم : إياكم ان ترجعوا من طريقكم الاولى
التي أتيتم فيها فارجعوا من طريق اخرى لتسكنوا في الغيران
والكهوف من الأمطار • فلما انصرفوا عنه أرسل الله عليهم
السحاب بالامطار ودامت عليهم الامطار فلم يصلوا الى بلادهم إلا
بعد ستة اشهر

رسالة جوابية من الخليفة الحكم المستنصر الى الامبراطور البيزنطي تيوفيل (١٥)

بسم الله الرحمن الرحيم

اما بعد ، فقد بلغني كتابك ، تذكر فيه الذي كان عليه من مضي
منكم لأولينا من المودة الصادقة ، وانه قد دعاك ذلك إلى مكاتبتنا ،
وإرسال قرطوبوس رسولك إلينا لتجديد تلك المودة ، وترتيب تلك
المصادقة ، وتسال أن ينعقد فيما بيننا وبينك من ذلك ما نتمسك به ،
ونتواصل له ، ونبعث رسلا من عندنا إليك ، ليعلموك بالذي نحن
عليه من الرغبة فيما حضضت عليه ، ودعوت إليه ، لتثبت بقدمهم
عليك مودتنا ، وتتم به صداقتنا .

وفهمنا ماذكرته من أمر الخليفة مروان رضى الله عنه وصلى
عليه ، ومن وشائج قرابتنا منه ، وأسيت لما استلب من سلطانه ،
واستبيح من حرمة ، واستحل من دمه ، وماكان من الفاجر أبى
جعفر تربه الله ، وجراءته على الله ، واغتراره به ، وانتهاكه
لمحارمه ، والله قد أحصى عليه ذلك ، فأسفه منه ، فهو لامحالة
يجازيه جزاء سعيه .

ثم الذي ذكرته من فعل الخبيثين ابن مراحل وابن ماردة أخيه
بعده ، من إلحادهما في نحلتهم ، وإساءتهما لسيرتهما ، ورغبتهم
في رعيتهما ، وشدة وطأتهم عليهم ، واستحللتهما دماءهم
وأموالهم ، وما ذكرت من حضور وقت زوال دولتهم ، وانقطاع مدة
سلطانهم ، وتأن الله برد دولتنا ، وسلطان اباؤنا ، الذين نبأت
عنهم الكتب ونطقت بهم الرسل ، وأوجب لهم الاجماع ، وحازه
إليهم البرهان ، والذي حضضت عليه من الخروج إليهم ، وطلب

الثار منهم ، ووعده من نصرتك لنا ، بما ينصر الصديق صديقه ، ومن يعلم هواه فيه ومودته له ، وما عطف عليه من أمر أبي حفص ، ومن معه من جالية بلدنا ، وغلبتهم على ما غلبوا عليه من بلدك ، وخضوعهم لابن ماردة ودخولهم في طاعته ، وما سألت من أهل الانكار لذلك والانفة منه ، وحكيت من أمراء إفريقية في نزعهم عن ابن ماردة ، وخلافهم عليه ، واستثقالهم لدولته ، وكل ما حكيت من ذلك وقصصته في كتابك ، فقد قرأناه وفهمناه .

وأما ما رغبت من مودتنا ، واحببته من مصادقتنا ، وأردت تجديده وتوصيله والتمسك به وتوثيقه ، مما كان عليه أولوك لأولينا ، فقد رغبتنا منك في مثل الذي ذكرته من حرصك على مواصلتنا ، وأن نتمسك من ذلك ، بما كان عليه سلفنا ، وما لم يزل من كان قبلنا من الملوك يتمسكون به ، ويتحاضون عليه ، ويحفظه بعض لبعض ويشدون أيديهم به .

وأما ما ذكرت من أمر الخليفة مروان بن محمد رحمه الله ، فإن الله تعالى أحب أن يكرمه بما انتهك من حرمة ، ونكث من بيعته ويسوقه إلى رحمته ، وأن يشقى بذلك من ركبه منه ، ويخزيه ويعذبه عليه .

وأما ما كان عليه الفاجر أبو جعفر في تعذيبه العباد ، وظلمه وجراته على الله ، وانتهاكه لمحارمه ، فإن الله قد أخذه بذنبيه ، واستدركه ببغيه ، وصيره من عذابه ونكاله ، إلى ما لا إنقطاع له ، ولا خلاص منه ، جزاء بما اجتراح ، وكذلك حكم الله في أهل معصيته ، وأولي الاجتراء والافتراء عليه .

وأما ما ذكرت من أمر الخبيث ابن ماردة ، وحضضت عليه من الخروج إلى ما قلته وذكرته من تقارب انقطاع دولته ودولة أهله ، وزوال سلطانهم ، وما حضر من وقت رجوع دولتنا ، وأزف من حين ارتجاع سلطاننا ، فإننا نرجو في ذلك عادة الله عندنا ، ونستنجز موعوده إيانا ، ونمتري حسن بلائه لدينا بما جمع لنا من طاعة من قبلنا ، من أهل شأنا وأندلسنا وأجنادنا وكورنا وثغورنا ، وما لم

نزل نسمع ونعترف ، أن النعمة تنزل بهم والدائرة تحل عليهم من
أهل المغرب بنا وعلى أيدينا ، فيقطع الله دابرهم ، ويستأصل
شأفتهم إن شاء الله تعالى .

وأما ما ذكرت من أمر أبي حفص الأندلسي ، ومن صار معه من
أهل بلدنا ، في خضوعهم لابن ماردة ، ودخولهم في طاعته وما سألت
من النظر في أمورهم ، والانكار لفعلهم ، فإنه لم ينزع إليه منهم إلا
سفلهم وسوادهم وفسقتهم وأباقيهم ، وليسوا في بلدنا ولا برتبتنا
فنغير عليهم ، ونكفيك مؤنتهم ، وإنما اضطروا إلى الدخول في طاعة
ابن ماردة ، لما منهم من بلاده ، ودنو ناحيتهم من ناحيته ، ولم تكن
ندسبك تعجز عنهم ، ولا تصعب عن نكايتهم ، ولا تتوقف عن
إخراجهم عما تطرقوه من بلدك ، وإذ ترى مكانهم به من موضعك
وإن الله بحوله وقوته وفضله ومنته رد إلينا سلطاننا بالمشرق وما
كان تحت أيدي أبائنا منه نظرنا في ذلك بما فيه صلاح لنا ولك ،
واستقامة لطاعتنا وطاعتك ، وعرفنا الذي يكون من معونتك على ما
دعوت إليه ، وحضضت عليه بما يعرفه الصديق لصديقه ، وذو المودة
لأهل مودته ، ولم يضع لك عندنا مارعيته من حقنا وقمت فيه من
حفظنا .

وقد أدخلنا رسولك قرطوبوس علينا ، وكشفناه على الذي أوصيت
به إلينا ، وعن كل ما يجب لصديق أن يعرفه من حال صديقه ،
ووجهنا إليك بكتابنا مع هذا رسولين من صالحين من قبلنا ، فاكاتب
إلينا معهما بالذي أنت عليه من الأمر الذي كتبت به إلينا ، والذي
يجب عليك من سائر خبرك ، ومتعة عافيتك لننظر فيما يتصرفان به
من عندك على حسب ما يأتينا به من عندك إن شاء الله .

رسالة الراهب الفرزسي يشوع ورد الباجي عليها (١٦)

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى اله

رسالة الراهب من افرنسة - دمرها الله - الى المقتدر
بالله صاحب سرقسطة .

الى الصديق الحبيب الذي نؤمله أن يكون خليلا مدانيا ، المقتدر
بالله على دولة هذه الدنيا الملك الشريف ، من الراهب أحقر الرهبان ،
الراغب في الانابة والايمان بالمسيح يسوع ، ابن الله سيدنا'''

لما انتهى الينا - ايها الأمير العزيز - امرك الرفيع في الدنيا
وبصيرتك في تبين احوالها المتغيرة ، راينا أن نراسلك وندعوك ، لتؤثر
الملك الدائم على الملك الزائل الفاني . وإنك قد رأيت كتابنا اليك الذي
راجعت عليه مراجعة نبيلة على حسب نظر أهل الدنيا ، ولم تكن
بحسب مطلوبنا من المراجعة الروحانية ، ولذلك تراخى زماني
بمراجعتك اذ توقعنا أن نتكلف تعباً لا نجتني به ثمرة ، وحققا إن
القادر على الكل الذي اصطفى أوليائه قبل خلق العالم ، ولم يسبق -
في علمه - هلاكهم ، قد أثار قلبك ، وأشعره للايمان بالاله المسلم لك ،
وهو الرحمن الرحيم ، الغفور ، الذي يهديك لمعرفة ، وليسر يسعنا أن
نتراخى عن الاجتهاد في تتميم هذه المصلحة بجميل معونته لتشترك
معنا في ملكوته إن اثرت ذلك ' ولهذا الأمر ، أشخصنا اليك من
اخواننا من يورد عليك كلاماً الهيا - على ما يوفقهم الله اليه -
ويشرحون لديك حقيقة دين النصراني ، ويقرون عندك معرفة المسيح
سيدنا الذي لا ينبغي لنا الايمان بأحد سواه ، ولا نرتجي النجاة إلا به

فهو الاله الذي اتخذ حجابا على صورتنا لينقذنا - بدمه الطاهر - من هلكة ابليس

ولقد كذا - ايها الملك الشريف (نود ان) (١٧) نورد كثيرا من هذا القول لولا ما نتوقعه من تألك بسماعه ، وفي ذلك كله برهان الملة المسيحية ، وبيان جلالتها ، وإن الاحاطة بكنهها مما يعجز عنه ادراك الانسان وملك الله - تعالى - احل واعظم من ان يدركه فهم الانسان او يصل اليه بعلم الكلام الا ان من آيات الله القادر على كل شيء ان يشرح صدور الادميين ويدخل روح العلم في قلوبهم ليتمكن الايمان في نفوسهم

ولما كانت الدنيا - من قبل - معمورة بالضلال ، والعالم مدنس بعبادة الأوثان ، حسن عند الله القادر في - اخر العهد - ان يعيد الزمان جديدا ، ويستدرك الصلاح الذي فأت العالم في ادم الوالد الأول ، وذلك امر قد اهتدى اليه ابائنا من قبل ابراهيم واسحق ويعقوب ، والأنبياء افصحوا به من بعدهم ، وهو عهد من الله مؤكد قبل التوراة وبعد تنزيل التوراة ان يكون الالتحام المقدس معلوما . وليس هذا مما تختص به مصاحفنا فقط بل هو منصوص في مصاحف اليهود والمخالفين لنا ببيان واضح ، وان الشيطان اللعين الذي عرض اهل هذه الدنيا للموت ، بجسده لأدم ، حاول تغيير هذه الملة المقدسة بعد اقبال الحوار بين الذين هدوا اهل الأرض بالموعظة ، وبعد ظهور الشهداء الأصفياء على ابليس بالغلبة ، الذين هرقوا دماءهم في اقطار الأرض في ذات الله ، وفي سبيل شريعته المقدسة ، فلم يستطع ان يغري اهل الدنيا ، ويحملهم على ضلالهم القديم من عبادة الأوثان فشبهه على بنى اسماعيل في امر الرسول الذي اعترفوا له بالنبوة ، فساق بذلك انفسا كثيرة الى عذاب الجحيم . وقد كان فيما سلف من ذنوب ابليس وتضليله للعباد ما يلقيه العذاب الاليم يوم القيامة من الله سيدينا ايشوع المسيح ، وقد ضاعف تلك الذنوب بما أوبق فيه هذه الذمم العظيمة .

فاعتبر - ايها الملك الشريف - ولا تؤثر شينا على نجاة نفسك يوم

الحكم والجزاء ، فإننا مخلصون في تخدم أمورك ، ومسارعون الى تفديتك بذفوسنا ، ومتى قبلت قولنا وعملت براينا ، وتقررت عندنا إجابتك الى ما ندعوك اليه من قبول كلمة النجاة الزكية التي نعرضها عليك لم نتوقف عنك عن اللحاق بك ، فتأمل ايها الحبيب ، ما يحق عليك العمل به والمسارة اليه واغتبط بما يدين عليه اخواننا في هذا القطر من الدعاء ، وبذل الصدقات الزاكية عنك ، ومامنهم احذراك ولا شهادك ، وانما يتبرع بذلك رغبة في أن يهديك الله الى مرضياته والسلم عليك - يا ايها الحبيب - من سيدنا المسيح الذي اذهب الموت ، وقهر الشيطان ، ورحمة منه وبركة باستنقاذك من حبائل ابليس التي كنت فيها متورطا الى الآن ، ونسأل الله الذي له القدرة والعظمة ، الذي من أجله خلق كل شيء ، ومن دونه لم يخلق شيئاً ان يهديك ويثبت في نفسك ما دعوناك اليه ، وحضضناك عليه .

وإن لم يظهر لك يا ايها الحبيب مراجعتنا بجوابك على ما تضمنه كتابك لدفات الكتب ، فأودع ذلك إخواننا هؤلاء واطلعهم على سرك وما يتمثل في نفسك ، ونحن نضرع الى سيدنا ايشوع المسيح أن يتولى رعايتك ، ويتكفل سلامتك ، ويهديك الى دينه المقدس ويسعدك بالايمان الصحيح به أمين .

وهذا جواب الفقيه القاضي الجليل الفاضل ابي الوليد
الباجي - رحمة الله عليه ورضوانه على هذه الرسالة

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على محمد وعلى آله وسلم

العزة لله والصلاة على رسوله

تصفحت - أيها الراهب - الكتاب الوارد من قبلك ، ومأمذنت به
من مودتك ، وأظهرته من نصيحتك ، وأبديته من طويته ، فقبلنا
مودتك لما بلغنا من مكانتك عند أهل ملتك ، واتصل بنا من جميل
ارادتك ، ونبهتنا - لعمر الله - بنصيحتك ، على ما يلزمنا من ذلك
لك ، ولولا ما كنا نعتقد من بعد مستقرك ، وتعزز وصول كتبنا
اليك لكنا أحرى أن نأتي من ذلك ما يلزم ، ونسلك منه السبيل
الأوجب ، ولكنك عندنا جديرا بعرض الحق عليك ، وإيصاله اليك
فقد قرر لدينا من وصل من رسلك ، وأهل ملتك علينا ما تظهره من
حرصك على الخير ، ورغبتك في الحق ، مما قوى رجاءنا في قبولك
له ، وإقبالك عليه ، وأخذك به ، وإنابتك اليه ، وقد كان ورد علينا
- قبل هذا - كتابك وما اقترن به من دعوى حاملة المحال الذي كان
يجب ألا يخاطب به من له أقل حس بالاحساس أو يختلج بخاطر من
له أدنى فهم من أحياء أموات ، وأعظم رفات ، فألنا القول
وأوليناها الأعراض والصفح ، وجاوبناك جواب من يعتقد ما ظهر
منك ، وبلغنا عنك ، من خطرات الغفلة أنك أرسلتها دون تأمل
وأظهرتها دون تحصيل ولاتحقق ، مع أنه يجوز على ضعفاء
المسلمين من ذلك ما يجوز على جماعتكم من تجويز محال وتصحيح
ما هو غاية الإبطال ، فقصدنا الرفق والتأنيس لك ، وكان ذلك

أفضل ما روجع به من ترجى عودته ، وينتظر انابته وفينته ، فانما يستعمل الاغلاظ لمن يتيقن عناده ، ويتبين اصراره ، ولم يرج انقياده ، ونحن نرجو ان نرفعك عن هذه المحطة ، ونخلصك من هذه الوصمة ، بفضل الله وعونه وتأييده ونصره .

ولما تكررت علينا رسائلك ووسائلك تعينت علينا مفاوضتك ، بما رضيناه من مسألتك ، ومعارضتك فيما اخترناه من منهجك في النصيح ، الذي يجري اليه اهل الفضل ، وامرنا الله به على السنة الرسل ، وكففنا عن معارضتك على ما استقبحناه من خطابك ، وسخطناه من كتابك ، من سب الرسل الكرام ، والأنبياء المعظمين عليهم السلام ، وانحرفنا عن ذلك الى ان نحذرك ونذرك ونعذرك فيما لم يبلغك علمه ، ولم يتحقق لديك حكمه ، ونبالغ في الرفق بك ، والتبيين لك على منهج الخطب والرسائل ، ولاعلى طريق البراهين والدلائل ، مساعدا على مذهبك في كتابك ، وموافقة لك في مقصدك ، فعسى ان يكون اقرب الى استمالتك ، وأبلغ في معارضتك ومعالجتك.

وانا لنزبأ بمثلك ، ونرفع قدرك عما استفتحت به كتابك من ان عيسى - صلى الله عليه وسلم - ابن لله تعالى ، بل هو بشر مخلوق وعبد مـربوب لا يعـدو عن دلائل الحـدوث مـن الحركة ، والسكون ، والزوال ، والانتقال ، والتغيير من حال إلى حال ، وأكل الطعام والموت الذى كتب على جميع الأنام مما لا يصح على إله قديم ، ولا يمكن عند ذي رأي سليم ، ولو جوزنا كونه ، صلى الله عليه وسلم - مع هذه الصفات ، والأحوال المحدثات ، إلهاً قديماً ، لنفينا أن يكون العالم أو شيء مما فيه محدثاً مخلوقاً لأنه ليس في شيء مما ذكرنا من البشر والعالم ، وما فيه من الحيوان والجماد من دلائل الحدوث غير ما في عيسى - صلى الله عليه وسلم - وإن الله - تعالى - خلق عيسى - عليه السلام - من غير أب كما خلق آدم - صلى الله عليه وسلم - من تراب ، وقد حملت بعيسى أم ، ولم تحمل بادم أنثى ولا ذكر ، فإذا

لم يكن آدم الاله - وهو الاب الاول - بل مخلوق ، فعيسى اولا ان يكون الاله وهو من ذرية آدم وولده ، بل هو عبد مربوب ، وإن هذا لواضح لمن جهل معنى الحدوث ، ولم يميز الخالق من المخلوق!

واما من نظر في شيء من ابواب العلم ، وايد باعتبار وفهم ، فعلاطات الحدوث اوضح ، ودلائلها اصح من ان تخفى او تشكل او يمتري في امرها من له من العلم اننى محل وقد ظهر على ايدي سائر الرسل - عليهم السلام - من الآيات الواضحة ، والمعجزات الباهرة مثلما ظهر على يدى عيسى - عليه السلام - واكثر ، فلو جاز ان يدعى لعيسى - عليه السلام - بشيء مما ظهر على يديه من احياء ميت وإبراء اكمه وأبرص ، بأنه ابن لله - تعالى - لجاز ان يدعى ذلك لأبراهيم لما ظهر على يديه من سلامته من النار بعد ان قذف فيها ، ولم ينجح عيسى من عدد يسير من البشر راموا - بزعمكم - صلبه وقتله ، ولجاز ان يدعى ذلك لموسى عليه السلام لما ظهر على يديه من قلب العصا حية وفلق البحر ، ولجاز ان يدعى لمحمد - صلى الله عليه وسلم - لما ظهر على يديه من انشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وتسبيح الحصى في يده ، وحنين الجذع إليه وغير ذلك من الآيات لكن الآيات لا تقتضي تجويز المحال ، وإحالة الجائز الممكن.

وإذا كان ربنا - تعالى - قديما - سبحانه أن يكون محدثا أو مخلوقا ، وكان من وجدت فيه دلائل الحدوث من الأكل والشرب والزوال والانتقال لا يكون إلا مخلوقا مربوبا لم يدل إحياء الموتى على يديه أنه إله معبود وإنما يدل ظهور ذلك على يدى مدعي النبوة أنه نبي صادق لأن ما فيه من صفات الحدوث لا تحيل كونه نبيا .

ولو جاز ان يقال إن عيسى - عليه السلام - هو الخالق لما ظهر من ذلك على يده والمنفرد بفعله لجاز ان نقول إن آدم وإبراهيم وموسى ومحمدا وسائر الأنبياء - عليهم السلام - انفردوا بخلق ما ظهر من ذلك على أيديهم ، وأن جميعها من خلقهم وأنهم

- لذلك - الهة معبودون ، وذلك محال ، فلا خالق إلا الله ، ولا معبود سواه ، وهؤلاء أنبياء مكرمون ، ورسول مؤيدون صدقهم الله - تعالى - بما ظهر على أيديهم من المعجزات التي لا يقدر عليها غيره ، ولا يصح أن يخلقها سواه ، وأمر الدنيا أحقر وشأنها أنفر وأئذ من أن يغتر بها نو عقل أو يسكن الى غرورها نولب ، وإنما هي دار اختبار واعتبار ، وليست بدار جزاء ولا قرار ، فالسعيد من عمل فيها وتزود منها الى دار المقام الذي لا ينقضى بل يتأبد ، حيث ينفرد ربنا بالملك ، ويصير من أطاعه وأفرده بالعبادة وأمن برسله وكتبه الى رضاه في دار النعيم ، ويصير من أشرك به وكفر بشيء من كتبه أو أحد من رسله الى سخطه في دار الجحيم ، ونرجو أن الله - تعالى - يجنبك بالاسلام منها ، ويبعدك بالانتقال الى دين محمد - عليه السلام - عنها ، وإن الله - تعالى - أثار قلوب جماعة المسلمين بالاسلام ، وأعزنا به وأكرمنا باتباع محمد - صلى الله عليه وسلم - ورضينا له ، وخصنا بالقران الكريم (الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه - تنزيل من حكيم حميد) (١٨) أفضل الكتب والخاتم لها ، والحاكم عليها ، والمصدق لها .تضمن علم الاولين والآخرين ، وأثار قلوب المؤمنين بالحق المبين ، نحمد الله على ما خصنا به ، وهدانا له ، (وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله) (١٩) ويلزمنا الاجتهاد في النصيح لك والرفق بك ، والحرص على أن تكون من جملة هذه الأمة المكرمة ، ومن أهل هذه الملة المعظمة ، الناسخة لجميع الملل ، والحاكمة على سائر الفرق ، فتفوز برضى رب العالمين وتنجو من سخطه ، وتنال ثواب يوم الدين ، وتخلص من معرفته ، وتسعد في الدنيا بالكون من جملتنا ، وتحظى بالقرب من نفوسنا

وأما ملكوت رب العالمين فهو المنفرد به - تعالى - لا ينبغي أن يشركه فيه طائع ولا عاصي ، ولا بر ولا فاجر ، وإن أردت بذلك أن يكون من أطاعك في ملك الله - تعالى - فذلك حال من أعصاه ، وجال أهل الدنيا ، والآخرة ، لا يخرج أحد عن ملكه ، ولكنها الفاظ تستعملها في غير مواضعها لأنك لا تعرف مقتضاها ، ولو بدنا أن

الله - بفضله - ييسر لك الهجرة إلينا ، والمثول لدينا ، فتسمع الكلام على حقيقته في معاني هذه الألفاظ ، وتقيم وجوهها واستعمالها على ترتيبها ، وتسمع الكلام الإلهي على الحقيقة ، كلام رب العالمين ، تولى حفظه ربنا - عز وجل - وعمر به السنننا وقلوبنا ، فلا يمكن أحد تغييره ولا تبديله ، ولا صرفه عن وجهه ولا تحريفه ، فلو قرع سمعك منه سورة واحدة ، أو آية كاملة ، لرجونا أن يكون ذلك مما ينور قلبك ، ويستولي على نفسك ، ويعود بك إلى الدين الأفضل والسبيل الأمثل (ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين) (٢٠) وقد وردا متحملاً كتابك فما أورداً إلا كلام البشر الذي جرت عادة أهل الضعف بإيراده عند العجز والفشل ، والتبذل والخور ، مع التحير والانقطاع ، والاضطراب في الدعاوى والأقاويل ، وادعيا في أول الأمر من المحال قريباً مما ادعى الوارد قبلهما مع تكذيبهما له فيما نقل عنك ثم الت حالهما إلى مثل ما الت حاله إليه من تكذيب أنفسهما ، وتكذيب المعبر عنهما فيما نقل عنهما ، وترجمه من قولهما .

وعندنا من علم شريعتكم ، واختلاف أخباركم في ملتكم ، وما تورده كل طائفة من شبهكم في الأقانيم والاتحاد ومعنى اللاهوت والناسوت والجوهر وغير ذلك من تنميقات أناجيلكم ما لو أبدينا إليهما اليسير منه لحيّرهما وبهرهما ، وعلمنا أن عندنا من جملتهما وتفصيلهما ما لم ينته إليه أحد من أهل ملتكم ، ولا وصل إلى تفريعه وتتبع معانيه أولكم وآخركم ، لكننا أثّرنا الفرق بهما والاختفاء عليهما ، والتأنيس لهما ، وألنا لهما القول ، وأبدينا إليهما نبذة خفيفة من الأمر مما لا تنفر منه نفوسهما ، ولا تتوجع من سماعه خواطرها ، أخذين في ذلك بأدب الله - تعالى - في أمثالهما .

وقد رأينا ما في كتابك مما خالفت فيه جميع أهل ملتك فإنه ليس في فرق النصراني من يقول إن المسيح لا ينبغي الإيمان بأحد سواء ، بل هو الإيمان بالأب عندكم واجب ، والأب لم يتحد بالناسوت عندكم ، وإنما اتحد به الابن ، فمن لم يؤمن بغير الابن

كفر بالآب ، وقد تقدم في كتابك أن المسيح ابن الله ، وهذا نقض لقولك إنه لا ينبغي الإيمان بغير المسيح الذي هو الابن .

ولو تتبعنا ما في كتابك من التناقض ، وفساد الوضع ، ومستحيل القول ، لما سلم منه إلا اليسير الحقير ، لكننا - وفقنا الله وإياك - حملنا ذلك منك على ما عهدناه من أهل ملتك من قلة العلم ، والبعد عن مقاصد المناظرة ، وترك المدارس والمحاورة مع تمويهات لا تصح ، وتلفيقات لا تثبت ولا تنصر ، وأرجو أن يوفقك الله ، بإرشادنا لك ، إلى ترك التمسويه ، والتعلق بالمغالطة والكذب ، ويعوضك علم الحقائق ، وصحيح المقاصد ، وأدب المناظرة التي تفضي بك إلى السبل اللائحة ، والحقائق الواضحة ، وقد جرى من كلام الواردين من أصحابك اللذين اخترتهما للذيادة عنك من هذا النحو ما أتبعناه بالتحير والتبذل والانكار له بعد الاقرار به ، ولوددنا أن تصير إلينا فنبلغ الغرض من تعليمك ، ونتمكن من تفهيمك ، ونبين لك من تحقيق الكلام وتحريره ، وتفصيله وتوجيهه ، وترتيب الأدلة ومقتضاها ، وإحكام البراهين ومنتهاها ، ما يزيل كل سخيفة من نفسك ، ويظهر من دسها قلبك ، فتعانين الحق جليا واضحا ، والدين قويا لائحا على أن ملك الله تعالى أعظم من أن يحيط به فهم إنسان أو تستوعب صفاته بكلام أو بيان ، فمن عظمته - تعالى - وقدرته وعزته ، انفرده عن الأشرار والأنداد ، واستغناؤه عن الصاحبة والأولاد . (ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا لذهب كل إله بما خلق) (٢١) تفرد بالخلق والانشاء ، وكشف الضر والبلوى ، وبعث النبيين مبشرين ومنذرين ، فأخبروا عن ربنا بعظيم قدرته ، وعلو كلمته ، وإتمام مشيئته ، وبيينوا شرائعه ، وأوضحوا من تأملها إلى الحق ، وتذكب من خالفها إلى الشرك ، ولولا الكلام ما عرف الجائز من المحال ، ولا تبين الهدى من الضلال .

وما نحلة ولا ملة إلا وهي تزعم أن نفوسها نيرة بما

تعلمه ، مذرحة بما تعتقده ، وكذلك تقول البراهمة الذين يكذبون الرسل ، والدهرية الذين يدعون الأزل ، والفلاسفة القائلون بقدم العالم ، والثنوية المثبتون لخلق النور والظلام ، فما أحد من هذه الفرق إلا وهو يدعى أن نفسه أسكن إلى ما تعتقده ، وأوثق بما تنتحله ، وأنور بما تزعم أنه يعلمه من نفوس مثبتتي الرسل ، ومتبعي الكتب لكن وضع الكلام وذرعه ، وتمييزه ووصفه يعلى الحق ويثبتته ، ويدحض الباطل ويمحقه ، وإن الله - تعالى - جعل الدنيا دار تكليف وفتنة ، ليلبونا أينما أحسن عملا ، وجعل الآخرة دار ثواب وعقاب ليثبت المؤمنين المحسنين ، ويعذب الكافرين المشركين ، وجعل من أسباب الفتنة إبليس اللعين ، وبعث النبيين يهدون إلى صراط مستقيم (لنلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل) (٢٢) فهدى بالنبيين من شاء بفضله ، وخذل بابلوس اللعين من شاء بعده.

فأول الرسل إلى أهل الأرض أبونا آدم - عليه السلام - دعا إلى عبادة الله وحده لا شريك له ولا ولد ، وكذلك الرسل بعده. كلما نسيت شريعة ، وتقادم عهدها ، بعث الله رسولا إلى أهل الأرض يجدها ويؤكددها ، إلى أن بعث الله - تعالى - نبيا اسمه عيسى - عليه السلام - فدعا قومه إلى عبادة ربه ومنشئه وخالقه ، فأمن به اليسير ، والعدد القليل الذين لم يطيقوا منعه ممن أرادته من أعدائه الكافرين المكذبين لما جاء به من قبله ، حتى رفعه الله إليه ، واختار له ما لديه ، (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) . (٢٣) وقد بذل دمه - بزعمكم - حرصا على استنقاذ الناس من الضلالة فما آمن به إلا العدد اليسير ، وقد آمن بغيره من الأنبياء ممن لم يبلغ هذا المبلغ أمثال من آمن بعيسى ، فمما إن توفي محمد - عليه السلام - حتى آمن به العدد العظيم الذي استحوذ به البلاد ، وتغلب على آفاق ، وأظهره الله على الدين كله (ولو كره المشركون) (٢٤) ثم استفتح بعده باثر وفاته أصحابه بلاد الفرس على بعدها عن مكانه ، وتمكين سلطانها ، وعظم شأنها وقدرها ، واستفتحوا بلاد الشام وهي كانت أفضل بلادكم ومكان

شريعتكم ، وإليها ينتهي ححكم وعبادكم فما صار لمن تزعمون أنه إلهكم مع بذل دمه إلا أقل ما صار للمربوبين الأتباع من النبيين مع إعزاز الله لهم ، وحمايته إياهم ، ولو كان عيسى إلهاً قادراً لما احتاج إلى ذلك ، ولخلقهم مؤمنين ، ولو شاء الله أن لا يعصى ما خلق الفتن ولا إبليس اللعين ، ولكن الله - تعالى - خلق للجنة أهلاً للجنة بتوفيق الله - تعالى - يعملون ، وخلق للنار أهلاً للنار بخذلان الله يعملون ، ولو علم الغيب عيسى - عليه السلام - لما بذل دمه طمعاً فيما لم يتم له ، ولا حصل له منه شيء فاعتبر - أيها الراهب - ضعف ما أنت عليه ، وفضل ما ندعوك إليه ، فعسى أن يوفقك الله ويهديك ، فتصير بعلم الله بكونك من جملتنا ، وفينتك إلى ملتنا ، فقد بلغنا من إرادتك للخير ورغبتك فيه وحرصك عليه ما حرصنا به على إرشادك وهدايتك ورجونا سرعة انقيادك وإنابتك (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت) (٢٥) .

ومن أغرب ما تأتون به قولكم إنه بذل دمه في خلاص العباد ، وكيف يكون للرب دم ، والدم من الأجسام المحدثّة المخلوقة ، ولو حررتكم الكلام لزعمتم أنه دم الناسوت دون اللاهوت ، وللزمكم أن تقولوا: إن المصلوب هو الناسوت دون ابن الله - تعالى - لكنكم حققتم أن إلهكم صلب ومات ، وهذه صفة لا تصح إلا على محدث مخلوق ، لأن الحياة القديمة لا يصح عدمها . ولئن جاز هذا عليه ليجوزن على أبيه - بزعمكم - لأنه على صفة ابنه بل هو عند جماعة منكم ، فكيف يكون إلهاً قديماً حياً قيماً لم يزل من يجوز عليه الموت ، وعدمت حياته؟ وكيف لم يذهب عن نفسه الموت ، ولم يقدر على دفعه عنها وأذهب - بزعمكم - على ما نكرته في كتابك ؟ وإن جاز أن يموت ويكون مع ذلك إلهاً فما نمنع على هذا أن يكون من رأينا أو سمعنا خبره - قديماً - لم يزالوا إلهة ، وإن كان لهم أب أو ماتوا وفنيت حياتهم وعدمت ؟ وهل يصح أن يبلغ منه هذا المبلغ من الجهل الواضح ، وتجويز قلب الحقائق ، ودعوى المحال إلا من سقطت مقالته واستحكمت جهالته وعميت بصيرته ؟ فكيف يكون من هذه حاله يدعو إلى ما هو عليه ، وينبإ إليه ؟ وهل

يمكن أن يكون في المقالات المستحيلة أو المحال المرذولة أشد فسادا من هذه التلفيقات التي تخجل من يوردها ، ولا يكاد يصح تكليف من يجوزها ويعتقدها ؟ وإنى لا أعتقد أن مثل هذا لا يخفى عليك مع قلة المعرفة ، والبعد عن النظر في الأدلة لأن هذا ليس مما يدرك بدقيق النظر ولا يحتاج فيه إلى تأمل ، بل هو مما تناله أوائل العقول أو يدركه ببديهية من له أدنى تحصيل ، وأظن أن الحامل لك على هذا أحد أمرين: إما أنك لم تر من الشرائع غير ما قد نشأت عليه ، فاعتقدت أن سائر الشرائع تجرى هذا المجرى في الاستحالة والفساد ، فرأيت أن تستمر على ما وجدت عليه سلفك ، إذ لم يظهر لك سبيل إلى ما هو أفضل منه ، أو رأيت أنك قد نلت بهذا المحال عند جهال أهل ملتك منزلة تكره أن تنحط عنها ، وتبعد منها إذا انتقلت إلى الدين الصحيح لعلمك أنك لا تنال درجة أدونهم منزلة في العلم ، فكيف بدرجة أعلامهم وأئمتهم وذوي التقدم منهم ؟.

ومن طريف ما تأتون به وتضحكون سامعه منكم قولكم:

« إن عيسى ابن الله » - تعالى عن ذلك - وتقولون إنه من ولد داود - عليه السلام - وهذا ثابت في إنجيلكم ، ومثلو من كتابكم ، وتزعمون أن جبريل إذ بشر مريم به قال لها: « إنه يكون عند الله عظيما ، ويكون اسمه يسوع ، ويدعى بابن الله ، ويورثه الله ملك أبيه داود » ولا تحملون ذلك على أن داود أبوه من قبل مريم لأنها لم تكن من ذرية داود ، وإنما تحملون على أنه أبوه من قبل يوسف النجار الذي تزعمون أنه كان زوجا لمريم ، فإذا كان عيسى من ولد داود ، وداود عبد مخلوق وجد بعد أن لم يكن ، ومات بعد أن حيا ، فكيف يكون عيسى الابن خالق أبيه وإلهه ؟ وكيف يكون أبدا لداود المخلوق وابنا لله الخالق ؟ وهل هذا إلا جهل بمعرفة الابن من الأب ، والقديم من المحدث والخالق من المخلوق ؟ ومن بلغ هذا الحد من الجهل لم يصح له اعتقاد شرع ، فكيف يدعو إليه ويتكلم عليه ؟ ولكن قلة التأمل مع حب الظهور يوجب التفريط ، ويورث التبلد والتحير ، نسأل الله العصمة.

وقد اختلفت فرقكم في الاتحاد الذي سميتموه التحاماً اختلافاً لعله لم تبلغك ، ولو كنت لدينا لأريناك في هذا من كلام متقدمي أهل ملتك ثم من تقرير المسلمين على ذلك ، وتتبع الحجج لهم وعليهم بما لم يبلغه أحد منهم قط ، ولأسمعناك من غرائب وعجائبه وتلفيقاته وتناقضه وفضائح واضطراب رواة الأناجيل ما يـمـلاً سمعك ، ويطيش له لبك ، لكن الكتاب لا يحتمل التطويل لا سيما لمن لم يرد التأليف وإنما أراد التقريب وخاف تحير من ورد عليه الأكثر بالشرح والتفسير ، وما أحد من أهل الملل ، واتباع الرسل ممن تقدم عيسى - عليه السلام - ولا ممن تأخر عنه يقر بأنه وجد الالتحام الذي تدعونه في كتب ولا تنزيل ، ولا أخبر به نبي ولا رسول. وقد أنزل ربنا في كتابه الكريم أن عيسى بشر بنينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فإما أن يكون علم هذا عنكم، وإلا فقد كتمه أحباركم ، ومحوه من أنجيلكم ، فقد قرأناها معربة وعلمنا من اختلافها واضطرابها ما دلنا على أنه قد دخلها التحريف والتبديل والزيادة والنقصان.

ومن ذلك ما في الانجيل من رواية متى أنه بين إبراهيم ويوسف الذي تزعمون أنه زوج مريم اثنتان وأربعون ولادة. وفي رواية لوقا بين إبراهيم والمسيح خمسة وخمسون رجلاً ليس فيهم من أسماء الذين في رواية متى إلا عدد يسير . ولاتكاد هذه الروايات تتفق في شيء ، والإيمان بها عنكم واجب على اختلافها لأن الانجيل كتابكم وأصل شرعكم ، فكيف يصح لكم الإيمان بمـمـا يختلف ولا يتفق ، ويتباين ولا يتعاضد ، وكتابنا المحفوظ يحفظه الصغير والكبير لا يمكن أحد الزيادة فيه ولا النقصان . والذي يقرأه ممن في أبعد المشرق هو الذي يقرأ به ممن في أبعد المغرب دون زيادة حرف ولا لفظة ولا اختلاف في حركة ولا نقطة .

وانني لأعجب أيها الراهب - على ما ينقل إلينا من فضلك في قومك ، وتقدمك عند أهل ملتك ، مما يبدو من فرط غفلتك وعدم معرفتك فيما تضمنه كتابك من أن إبليس اللعين يقدر أن يضل من

شاء الله أن يهديه الى الدين القويم مع قولنا وقولك في كتابك (إن الله على كل شي قدير) (٢٦)

فأي قدرة له اذا كان قد بذل دمه في نقض ما شرعه ابليس وغيره من خلقه ، فلم يقدر على اصلاح ما أفسده ، ولا استرحاع ما أحدثه ، ولا تقويم ما عوجه ، وإبليس اللعين لم يبلغ فيما ناله من ذلك سفك دمه ، ولا تغيير حاله ، ولا تجسد لغير جسده ، ولا انزقل الى غير ما كان عليه ؟ إن هذا لما كان يجب أن لا يجوز على اضعف الناس علما ، واقلهم فهما ، ولكن ليس هذا بأغرب من قولكم إن إبليس عرج بعيسى الاله بزعمكم ، ورقى به أعلى جبل وأراه زهرة الدنيا وقال له إن عبدتني ملكتك جميع هذا ، فلما سمع بذلك المسيح من كيد إبليس اللعين عاذ من شره واستجار من فتنته بصيام أربعين يوما ، وأربعين ليلة ، فأمسك إبليس عنه فهل لمن حور هذا على ربه وأخبر به عنه مسكة أو بقيت بينه وبين التمسك بالحقائق والديانة نسبة ؟ اليس الاله هو الخالق لابليس والقادر على هلاكه متى شاء ، والمالك للأرض والسموات وما بينهما دون شريك ولا تمييز ، فكيف يخاف من هذه صفته بعض خلقه أن يفتنه ؟ أو كيف تحمل ابليس الأرض أو تظله السماء وهو يخاطب ربه ويدعوه الى عبادته ؟ وبعد أن يثيبه على ذلك ويملكه زينة الحياة الدنيا وهي ملكه ومن خلقه ، وربه يخاف فتنته ويستجير منه بالصيام ؟

وكيف يقول إنه يعاقبه في الآخرة بالعذاب الأليم ونار الجحيم وهو لا يستطيع أن يخلص نفسه منه ومن فتنته في الدنيا ؟ وهل قدرته في الآخرة الا كقدرته في الدنيا ؟

وكيف تزعم انه سليم من حبائل إبليس وخدعه وهو يخاف على نفسه ويحتاج الى من يسلمه منه وهو القاهر والخالق لابليس ، كيف شاء ، والمهلك له اذا شاء ، تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا

وإن الله - تعالى - بلطفه وحكمته ، وعطفه ونعمته ، بعث

محمدا - صلى الله عليه وسلم - فختتم به الرسالة واكمل به النبوة وجعله آخر المرسلين ، وبعثه الى جميع العالمين ، ففضله بهذه الدرجات الرفيعة ، وابقى شريعته الى يوم الدين ، واكرمه بهذه المنة العظيمة . بعثه على حين فترة من الرسل ، ودروس من السبل ، وجهل بالشرائع ، وبعد عن معرفة الأديان والمذاهب وقد دخل جميعها التبديل والتغيير ، وقد خالفت اليهود وسائر الملل عيسى ابن مريم - عليه السلام - وردت ما جاء به ، وانكرت ما دعا اليه ، واختلفت النصارى بعده على فرق ، كلها قد ضلت عن السبيل المستقيم والمنهج القويم ، وظهرت من الجهالات ما تحيله العقول ، وعبدت المجوس نيرانها ، وادعوا به الصاحبة والأولاد ، وجعلوا له الأشرار والأنداد فابتعته الله من خير الأمم وهم بنو اسماعيل - عليه السلام - ثم من خير بني اسماعيل وهم قريش قطب العرب وأفصحها لسانا وأخلصها عنصرا وأرجحها في معاني الدنيا عقولا ، واتقبها أفهاما ، وأتمها دهاء ، وأعظمها غناء ، وأكرمها أخلاقا ، وأجودها أكفا وأطيبها أعراقا ، فقام منفردا فيهم يدعوهم الى عبادة الرحمن ، وخلع الأوثان فخالفه في ذلك القريب والبعيد ، والعدو والصديق ، فأتاهم بالآيات المعجزات التي لا يصح فيها تمويه ولا تلبس ، ولا تخييل ولا تحريف ، من انشقاق القمر بحضرة جميع من امن به وكفر ، ممن غاب عنه ومن حضر ، ونبع الماء من بين أصابعه في قدح صغير حتى توضع منه العدد الكثير ، وتسبب الحصى في يده ، وحنين الجذع اليه ، وإطعام العدد الكثير من الطعام اليسير ، وري الجيش العظيم من الماء القليل الذي لا يكفي النفر اليسير ، وإبراء العيون بإمرار اليد عليها وغير ذلك من المعجزات التي لو شهدنا أن نتابعها لعظم بذلك الكتاب وخرجنا عما قصدنا من الاختصار ، وقد تتابع ذلك في مقامات جملة بمعاينة جميع الأمة ، والاخبار بالغيوب على وجه تبين التكهن والأتیان بقصص الماضين ، وذكر الأنبياء المتقدمين على حقيقة ماكانوا عليه - مما لا يبلغه من أفنى عمره في تعلم ذلك ومدارسة أهل العلم به - من غير أن يعلم بمدارسة كتاب ولا مذاكرة أصحاب وقد

علم أن مثل هذا لا يخفى لمن تناوله وإن رام ستره وكتمانه . ثم
أكرمهم الله - تعالى - بالمعجز الذي فضله الله على جميع النبيين
 والمرسلين وهو القرآن الذي تحدى به الأُنس والجن أجمعين . قال
الله تعالى: (قل لئن اجتمعت الأُنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا
القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) (٢٧) فتحدى به
العرب والعجم وجميع الأمم ، والعرب في ذلك الوقت أهل فصاحة
وبيان وتنزه في ذلك الشأن ، فلم يستطع أحد منهم على أن يأتي
بسورة من مثله مع ما أخرجهم إليه خلافهم له من سفك
دمائهم ، وهتك أستارهم ، وأخذ أموالهم ، والاستيلاء على بلادهم
وأموالهم ، وخروجهم عن أوطانهم ، ومفارقتهم آبائهم وأبنائهم
وإخوانهم وأزواجهم ، وكان إتيانهم بسورة من مثله لو استطاعوا
ذلك أسهل عليهم من تكليف الحرب ، والصبر على ألم
الجراح ، فكيف بالصبر على جميع ما ذكرناه مع أنه نشأ معهم
وبينهم ، ولم يتعلم مالم يتعلموه ، ولالقى من لم يلقوه ، ولا انفراد
بالدرس دونهم ، والقراءة بينهم ، فقد قرأ غيره ودرس وعلم وتعلم
وكتب ، وإلى زماننا هذا ، لم يستطع أحد أن يأتي بسورة من مثل
سوره ، ولا بآية من آياته ، وهذه أعظم معجزة على يدي نبي لأن كل
معجزة كانت قبله قد امتنعت مشاهدتها ، وانقضت وقتها ، وانما
ينقل إلينا ذكرها ، ونخبر عنها ، والخبر يدخله الصدق والكذب
ولولا أن محمد - صلى الله عليه وسلم - أعلمنا بصحتها وهو
الصادق لما وقع لنا العلم بوجودها ، ومعجز القرآن بآفاق بين
أظهرنا ، ودائم عندنا ، لا ينقطع وقته ولا ينقضي إلى أن يرث الله
الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين ، يدل في كل وقت وأوان على
صحة ما جاء به محمد - صلى الله عليه وسلم - من شريعته ، التي
اختارها له ، أفضل الشرائع وأبينها حكمة ، وأوضحها
أحكاماً ، وأتمها قواماً ، فأمرنا - صلى الله عليه وسلم - بأن نؤمن
بأنه وحده لا شريك له ولا ظهير ، ولاند ولا صاحبة ولا ولد ، ونؤمن
بملائكته وكتبه ورسله وأن المسيح عيسى بن مريم عبد الله
ورسوله ، ونؤمن بالبعث بعد الموت ، والحساب والثواب والعقاب

وان من امن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وبما جاء به فلا يند له من الجنة ، وان من كفر به او بشي مما جاء به فإنه مخلد في النار ، وشرع لنا الامر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصيام والحج وجهاد من كفر ، وصلة الأرحام ، ورغب في التواضع والعفة والبذل والاحسان ، والبذل ، والتسامي في الحق ، وإداء الأمانة ، والصدق ، والتناصف والتعاطف والتعاون على البر والتقوى ، والأخذ بمحاسن الأخلاق في السر والجهر ، والتزهد في الدنيا والتنفل فيها ، والتجافي عنها ، والانقاد لها ، وحضنا على تعلم العلم وأوجبه علينا ، وندبنا اليه ، والى الارتحال في طلبه ، والتتبع لدقيقه ، ودفع الشبهة المعترضة عليها ، والمعارضة لها ، وأعلمنا أن ذلك من أرفع أبواب شريعتنا ، وأفضل ما يصرف اليه همته أولو الفضل منا ، ونهانا عن المنكر والفحشاء واتباع الضلالة والأهواء ، والكبر والخيلاء ، والظلم والعدوان ، والكذب والبهتان وأخذ من ذلك كله في خاصته بأبلغ غاية من إتعاب نفسه في العبادة ، وتكلف منها ما لم يستطع عليها غيره ممن عاصره واتى بعده ، ووقايته لأصحابه بنفسه في الحروب وأوقات الشدائد ، واجتناب كل مانهي عنه من المأثم وقبيح الأحوال ، ومذموم الخلال من حيث لو كان من أمة توارثوا الشرائع من أول الأزمان ثم لم ينتقلوا عنها ولا تبدلوا بها بل دونوا فيها الدواوين وصدفوا فيها التصانيف والتواليف ، وكثر فيها علماءهم وأنتمهم ، وكثر الوارث لذلك عنهم ممن قطع عمره بقراءة ذلك ودرس كتبها ، وملازمة علمائها لقصر عما ظهر منه من صحيح الأحكام ورفيع الأحوال ، والاصابة في الأقوال والأفعال ، والتصرف والزي والاكل والشرب ، والجلوس والمشي ، والأخلاق والاعطاء ، وجميع الحركات والسكنات واللحظات وذلك كله مما يشهد عنه من فهم معانيه وتأمل في ذلك مقاصده وعرف وجه الصواب فيها ، وأنه من عند الله الذي يوفق أنبياءه ، ويرشد رسله وأوليائه ، ويشرع لهم الشرائع التي تشهد بصدقهم صحتها وتبين الحكمة في تفاصيلها وجملها .

وكان - صلى الله عليه وسلم - مع ذلك - متقللا من الدنيا ، مؤثرا غيره بها حين تعذرها ووقفت الشرح بيسيرها ، مطرحا لها ، معرضا عنها حين إقبالها مع عظيم ما فتح عليه منها وبسط له فيها ، يبتها في أهل ملته والمستحق لها من غيرهم لم يمنعهم انحرافهم عنه ، وتكذيبهم له من اتيانهم العدل ، وانصافهم بالقول والفعل ، وكان حظه وحظ أهله وأقاربه من الدنيا وما فتح عليه منها أقل حظ ، لم يشبع هو وأهله من طعام ثلاثة أيام متوالية ولا لبس ولا البسهم الا أخشن الثياب ، ولا سكن ولا سكنهم الا أدون المساكن ، ولا يدعي محالا ولا يقول انه يعلم من الغيب الا ما علمه الله تعالى ، فان سئل عن غيره صرف علمه الى الله تعالى ، ولا يدعي انه يغفر ذنب احد من أمته ، فان سئل الدعاء دعا للأسائل بالمغفرة ، وأعلمنا انه لا يغفر الذنوب الا الله ، ولا يأخذ بها سواه ، يجالس العبد ، ويزور الضعيف ، ويرحم الصغير ، ويوقر الكبير .

لو جاز عليه مع ذلك الكذب لجاز على موسى وعيسى وسائر الأنبياء ، فإننا لانعلم صدقهم ، ولا ميزنا ما جاؤوا به من الحق مما جاءنا به الكاذبون والمتخيلون من الباطل والكذب الا بما ظهر على أيديهم من الآيات البينات ، وما أتى به محمد - صلى الله عليه وسلم - أبين وأوضح ، وأتم وأبلغ ، ولو جاز لكم ان تقولوا : إن ما أتى به محمد من جملة التخييل لجاز للدهرية والفلاسفة والبراهمة والثنوية الذين يكذبون الرسل ان يقولوا : ان جميع ما جاء به موسى وعيسى وسائر الأنبياء - عليهم السلام - من ذلك الباب وهو قولهم ، ولما كذبتهم آياتهم ومعجزاتهم ، ووجب عليهم تصديقهم لزمكم وجميع الأمم تصديق محمد - عليه السلام - فما جاء به أبين وأظهر وأعظم .

وإنك أيها الراهب الذي تحرص على تخليصك من الضلالة أن سمعت نصحنا لك وأطعنا فيما به أمرناك وردت الآخرة في جملتنا من اتباع محمد - عليه السلام - النبي المكرم

فتسعد بشفاعته ، وتشرب من حوضه ، وتسكن الجنة معه ، ونحن نسأل الله - تعالى - أن لا يعدل بنا عن الطريقة المثلى ، ولا يصرفنا عن سبيل الهدى ، وأن يستنقذك من مكائد إبليس التي أنت فيها متورط ، وبحبالها متعلق ، وبخدعها متحير ، من تمادى عليها نال الشقوة ، وطول الحسرة في عرصة القيامة ، ويوم الندامة ، يوم لا يذفع نصح ، ولا يقبل عذر (ويوم يعرض الظالم على يديه) (٢٨) (ويقول الكافر ياليتني كنت ترابا) (٢٩) ولا مستقر يومئذ الا الجنة أو النار ، فمن آمن وعمل صالحا فالحقة مأواه ، ومن جعل لله صاحبة أو ولدا فدرك النار مؤواه ، أعاننا الله منها ، وأماقنا على الاسلام المبعد عنها.

فلا يغرنك - أيها الراهب - حظوتك عند أهل ملتك ، ومكانتك في مكانك ، واستجلاف نفوسهم ، واستمالة قلوبهم بالفاظ تزخرفها ، لا تعلم معانيها ، ولا تعرف حقيقة المراد بها ، ولا مقتضى القول فيها من قولك : «الجواب الروحاني ، والكلام الالهي » وما أشبه ذلك من الفاظ كثيرة سمعتها فنقلتها إلى غير موضعها ، واستعملتها على غير وجهها ، فإنك لو سئلت عن مقتضى ذلك لاسلمتكم عدم معرفتك الى العي والحصر والعجز عن التقدم والتأخر ، فإن استعمالك لها على غير وجهها دليل على جهلك بها .

فإن قبلت نصحي ، وسمعت موعظتي ، أخرجناك بعون الله من ظلمة الجهل الى نور العلم ومن حيرة الشك إلى تيقن الحق ، وأريناك من طرق الاستدلال ، وتمييز البراهين ما يشرح صدرك ، وينور قلبك وتعلم به الحقائق ، ومعاني هذه الالفاظ التي أنت بها معجب ومخطيء في ايرادها على غير وجهها ، وتتيقن أنها من اقل ابواب الكلام ، وأضعف ما يتمسك به نوو الاحلام ، وإن أبيت إلا الاستكبار والعنوة ، والاصرار والغلو ، والاحاد والطفيان ، والعناد والعصيان ، فانك لن تعجز ربك ، ولن تنجو من ذنبك وذنوب من اتبعك وضل بك ، والكلام بغير علم في الدين كذب وإفك على رب العالمين (ومن اظلم ممن افترى على الله كذبا أولئك يعرضون على

ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم الا لعنة الله على
الظالمين (٣٠)

فلا تؤثر على خلاص نفسك ، وخلاص من تبعك شيئا من عرض
الدنيا وزخرفها ، فإنك لا ينفعك جهل من اغتر بك فيها يوم الورد
على ربك .

وقد أودعنا صاحبك الواردين علينا سرا وجهرا ، وبدءا وعودا ما
نعتقد مما أعزنا الله به من الإسلام ، وخصنا به من بين الأنام ،
وأكرمنا به من اتباع نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - (قل يا
أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا
نشارك به شيئا ولايتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله فإن تولوا
فقلوا اشهدوا بأننا مسلمون) (٣١) « فقل تعالوا ندع أبناءنا
وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة
الله على الكاذبين » (٣٢) والله نسأله أن يهديك ويهدي بك من قبلك
فتفوز بأجورهم وتكون سببا إلى استنقاذهم ، فأنت - فيما
بلغنا - مطاع فيهم (والسلام على من اتبع الهدى) (٣٣) .

كامل جواب الفقيه الأجل القاضي الأعدل أبي الوليد الباجي - رحمه
الله وغفر له ونصر وجهه - بمنه وكرمه وجوده ، إنه ذو رحمة
واسعة ورب غفور .

رسالتا المعز لدين الله الفاطمي الى الامبراطور البيزنطي بشأن كريت والى كافور الاخشيدي حول الشأن نفسه (٣٤)

فصل من كتاب كتب به المعز (صلح) الى طاغية الروم في امر اهل
أقرطيش

قال : وكان طاغية الروم قد رغب الى أمير المؤمنين المعز لدين الله
(ص) في المودة ، وبذل له على ذلك أموالا ، وكانت رغبته اليه في
المودة مدة طويلة أو أبدية إن وجد ذلك ، فرأى الامام لما تبين له أن
ذلك خير للإسلام والمسلمين وليستجمعوا فيقووا على حرب
المشركين ، ان أجابه الى مودة خمس سنين .

ثم اتصل به بعد ذلك ، وقبل أن تنقضي مدة المودة ، أنه أرسل
الدمستق - الذي هو أقرب رجاله درجة اليه وأخصهم به - في عدة
من السفن كثيرة وجيوش ثقيلة حتى أناخ بها على جزيرة أقرطيش ،
وهم في دعوة بني العباس . فلما حل بهم من ذلك ما لا قوام لهم به ،
وعلموا أنه ليس عند بني العباس نهضة ولا لهم لديهم نصر ،
أرسلوا مركبا فيه رجال من قبلهم مع وجه من وجوههم الى أمير
المؤمنين المعز لدين الله يستغيثون به ويسألونه استنقاذهم واغااثتهم
فلم ير صلوات الله عليه - وإن كانوا تنكبوا عنه - أن يخيّب
رجاءهم عنده ، ولا أن يسلمهم للمشركين . فأمر عندما اتصل به
خبرهم وقبل أن يصل اليه رسولهم ، بالأخذ في الأهبة والعدة ليكون
نفوذ الأساطيل اليهم في أول زمان الامكان . ثم قدم الرسول عليه
وأدى عنهم ما أرسلوه به اليه .

فرأى أن ينبذ الى المشرك عهد كما أمر الله (تع) بذلك في كتابه ،
إن هو أصر على حربهم ، وأمر بكتاب في ذلك اليه ، وأملا على
الكاتب بحضرة من بين يديه بكلام ما سمعت أجزل ولا أبلغ منه .

فقال بعد أن خيره بين أن يقلع عن حرب أهل أقرطيش وبين أن ينبذ إليه عهده - كما نبذ رسول الله (ص) إلى مشركي العرب عهدهم وأرسل عليا ببراءة فقرأها في الموسم عليهم - ولقول الله أصدق القائلين : « وإما تخافن من قوم خيانة فأنذرهم » (٣٥) .

ثم قال له في كتابه (عم) :

ولا ترى أن دعوة أهل أقرطيش قبل اليوم إلى غيرنا وقد أنابوا اليوم إلينا واستغاثوا بنا ، مما يوجب لك عندنا تمام المواقعة بتركهم اليك وترك اعتراضك فيهم . إن امتناع أهل الباطل من أهل الحق ليس بمزيل حقهم وإن تغلبوا عليه دونهم ، بل هو لهم بتصيير الله (تع) إياهم اليهم . فأقرطيش وغيرها من جميع الأرض لنا ، بما خولنا الله منها وأقامنا له فيها ، أطاعنا منها من أطاع وعصانا من عصى ، وليس بطاعتهم يجب لنا أن نملك ولا بعصيانهم يحق علينا أن نترك ، ولو كان ذلك لكان الأمر اليهم لا لله (تع) الذي خولنا ولانا ، إن شأؤوا أعطونا وإن أحبوا منعونا ، كلا ! إن ذلك لله الذي له ما في السموات وما في الأرض وهو الذي أصطفانا وملكنا وأعطانا ، ولو كان ذلك للخلق لما وسعنا قتال من امتنع منهم ولا رد ما انتزعوه بالغصب من أيدينا إذا أقدرنا الله على ذلك وبه قوانا .

فإن قلت أنت غير ذلك ، وأنت ترى ما في يدك لك ، فقد كان رومانس تغلب عليك وعلى أبك من قبلك ، ثم دارت لكما عليه الدائرة . فإن رأيت أن من احتجز شدينا وتغلب عليه فهو له دون صاحب الحق الذي ملكه ، فلم يكن لك ولا لأبيك القيام على رومانس ولا انتزاع ماصار إليه من بين يديه فهذه سبيل أهل الحق عندنا ، فإن اعترفت لها فقد أنصفت وإن جهلتها فلم يكن جهلك إياها حجة على من عرفها . وعهدك إن تماديت على حرب من أناب إلينا منبوذ اليك ، فانظر لنفسك ولأهل ملكك فإننا مناجزوك وإياهم الحرب بعون الله لنا وتأييده ، ولا حول ولا قوة إلا به .

وفي مثل ذلك إلى صاحب مصر :

قال: واستمد أهل أقرطيش هؤلاء صاحب مصر وهم من أهل دعوتيه

تجمعهم دعوة آل عباس ، ومراكبهم بخيرات بلدهم واطعمتهم تميز
اهل مصر ، وهداياهم تصل الى عمالها ، فعجز عن نصرتهم . وسأل
من ينظر لأمير المؤمنين فيما قبله في أن يكتب اليه (صلح) في
اغاثتهم واستنقاذهم ، وأرسل قوما كانوا منهم قبله ليسألوا أمير
المؤمنين (صلح) ويرغبوا اليه في ذلك ، ثم أظهر أنه ينصرهم ورمى
بعض مراكب في البحر لما اتصل به انكار العامة عليه للتخلف عن
نصرتهم .

فكتب أمير المؤمنين المعز لدين الله (ص) الى من يكاتبه بمصر
جوابا عن كتابه اليه بذلك يخبره أنه قد أمر باخراج الاساطيل واخذ
في عدتها .

وكان فيما كتب به اليه : أن قل لصاحبك : إن الله - سبحانه - قد
خولنا من فضله وأمدنا من معونته وتأييده بما نرى أنا بحوله وقوته
ونصره لنا وأظهرنا على عدونا نكف ايدي الكفرة عما تطاولت اليه
من حرب هذا الصقع والايقاع بأهله . وقد انتهى الينا أنك أظهرت
الحركة الى الجهاد وامداد هؤلاء القوم بمراكب من قبلك ، وانت
لعمري بذلك أجدر لقربهم منك واتصالهم بك وميرهم بلدك وكونهم
واياك في دعوة واحدة . ولو أسلمناهم اليك وقعدنا عنهم لما كان لك
ولا لهم علينا حجة في ذلك ، ولكننا اثرتا نصرة أمة جدنا محمد (ص)
ولم نر التخلف عن ذلك وقد رجونا له ، وألقوا بأنفسهم الينا فيه .
ونحن لانحول بينك وبين الجهاد في سبيل الله ، ولانمنعك من تمام ما
أملت منه ، فلا يكن مايتصل بك من انفاذ اساطيلنا يريثك عن الذي
هممت من ذلك ، وأن تخشى على من تبعث به وعلى مراكبك منا ، فلك
علينا عهد الله وميثاقه أنا لانكون معهم الا بسبيل خير ، وأنا نحلهم
محل رجالنا ، ونجعل ايديهم مع ايدينا ونشركهم فيما آفأ الله علينا
ونقيمهم في ذلك وغيره مقام رجالنا ، ومراكبك مقام اساطيلنا حتى
يفتح لنا إن شاء الله ، ثم ينصرفوا اليك على ذلك أو يكون من أمر
الله وقضائه ما هو فاعله . فاعلم ذلك وثق به منا ، ففي تظافر
المسلمين على عدوهم واجتماع كلمتهم اعزاز لدين الله وكبت لأعدائه .
فقد سهلنا لك السبيل ، والله على مانقول وكيل .

فإن وثقت بذلك ورأيت ايثار الجهاد فاعمل على ان تنفذ مراكبك الى مرسى طبنة من أرض برقة ، لقرب هذا المرسى من جزيرة أقرطيش ، ويكون اجتماعهم مع أساطيلنا بهذا المرسى مستهل ربيع الآخر بتوفيق الله وقوته وتأييده ونصره وعونه.

والا ترى ذلك فقد أبلغنا في المعذرة اليك والنصيحة لك ، وخرجنا مما علينا اليك . ونحن بحول الله وتأييده ونصره وعونه مستغنون عنك وعن غيرك ، وعلى عزم وبصيرة في انفاذ أساطيلنا ورجالنا وعدتنا وماحولنا الله إياه وأقدرنا عليه مما نرى بحوله وقوته أنا نبليغ به مانؤم اليه بذلك ونصمده نحوه . فبالله نستعين ، وعليه نتوكل ، وعلى تأييده نعول ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

رسالة من الخليفة الحافظ الفاطمي الى روجر المتغلب على صقلية

(من صبح الأعشى للقلشندي ج ٦ ص ٤٥٨ - ٤٦٣)

من عبد الله ووليه عبد المجيد أبي الميمون الامام الحافظ لدين الله
أمير المؤمنين الى الملك بجزيرة صقلية واذكورية وأنطالية وقلورية
وسترلو وملف وما انضاف الى ذلك ، وفقه الله في مقاصده ،
وارشده الى العمل بطاعته في مصادره وموارده •

سلام على من اتبع الهدى ، وأمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي
لا إله إلا هو ، ويسأله أن يصلي على جده محمد خاتم النبيين وسيد
المرسلين ، صلى الله عليه وعلى آله الطاهرين ، الأئمة المهديين ،
وسلم تسليما •

أما بعد: عرض بحضرة أمير المؤمنين الكتاب الواصل من جهتك ،
ففض ختامه واجتلي • وقرىء مضمونه وتلي ، ووقعت الاصاخة
الى فصوله ، وحصلت الاحاطة بجملة وتفصيله • والاجابة تأتي
على أجمعه ، ولا تخل بشيء من مستودعه •

أما ما افتتحته به من حمد الله تعالى على نعمه ، وتوسيعك القول
فيما أولاك من إحسانه وكرمه ، فإن مواهب الله تعالى ومذنه التي
جعل تواليها اختبار شكر العبد وامتحانه على انه بخائنة الأعين وما

تخفي الصدور عليم. وهو القائل فيمن أثنى عليهم: (أولئك الذين
امتنح الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة وأجر عظيم) (٣٦) لا يزال
مضاعفها ومرادفها ومتبعا سالفها آنفها ، وهو يوليها كلا من عبده
بقدر منزلته عنده ، ويخص أصفياه بأوفى مما تمناه الأمل المبالغ

ووده ، والله تبارك وتعالى يمنح أمير المؤمنين وأبائه الأئمة الراشدين ما غدت مستقدّمات الحمد والشكر عند لوازمه مستأخرة ، اذ كان أفردهم دون الخليقة أعطاهم الدنيا ثم أعطاهم معها الآخرة. واختصهم من حباؤه بما لا يحصيه عدد، وخولهم من لائه بما لا يقوم بشكره أحد.

وأما ما ذكرته ، من افتتادك الجزيرة المعروفة بجريرة لما شرحته من عدوان أهلها وعدولهم عن طرق الخيرات وسبلها ، واجترائهم في الطغيان على أسباب لا يجوز التغافل عن مثلها واستعمالهم الظلم تمردا ، وتماديهم في الغي تباهيا في الباطل ، وغلوا يأسا من الجزاء لما استبطنوه ، فإن من كانت هذه حالته حقيق أن تكون الرحمة عنه نائية ، وخليق أن يأخذه الله من مأمنه اخذة رابية ، كما أنه من كان من أهل السلامة وسالكا سبيل الاستقامة ، ومقبلا على صلاح شأنه ، وغير متعد للواجب في سره وأعلانه ، تعين أن توفر من الرعاية سهمه، وتجزل من العناية نصيبه وقسمه ويؤمن ما يقلقه ويزعجه ، ويقصد بما يسره ويبهجه ، ويصان عن أن يناله مكروه ، ويحمى من أذى يلزم به ويعروه .

وأما شكرك لوزيرك الأمير تأييد الدولة وغضدها عز الملك وفخره نظام الرياسة أمير الأمراء ، فإن من تهذب بتهذيبك وتخلق بأخلاقك وتأدب بتأديبك لا يذكر منه إصابة المرامي ، ولا يستغرب عنده نجح المساعي ، وواجب عليه أن لا يجعل قلبه إلا مثوى للنصائح ، وأن لا يزال عمره بين غاد في المخالصة

وأما المركب العروس ووصول كتاب وكيله ذاكرا ما اعتمده مقدم أسطولك من صونه وحمايته ، وحفظه ورعايته ، واعادة ما كان أخذ منه قبل المعرفة بأنه جار في الديوان الخاص الحافظي ، ففعل يجمل عنك صدره ، ويليق بك أن ينسب إليك ذكره وخبره ، ويدل على علم أصحابك برايك وإحكام معاقدة المودة ، ويعرب عن إثارة إبرازها كلما تقادم عهدها في ملابس بهجة مستجدة ، وهذا الفعل من خلانك

الرضية غير مستبدع ، وقد نخرت منه عند أمير المؤمنين ، ما حصل في أعز مقر وأكرم مستودع ، لاجرم أن أوامره خرجت الى مقدمي أساطيله المظفرة بما يجنيك ثمرة ما غرسته ، ويعلي منار ثنائك الذي قدرته على أقوى أصل أسسته ، وقد نفنت مراسميه بإجرائك على غلاتك المستمرة في المسامحة بما وجب للديوان عما وصل برسلك على مسراكبك ، وبرسم الأمير تأييد الدولة وزيرك ، والرسولين الواردين عن حق الورود الى ثغر الاسكندرية ، حماه الله تعالى ، ثم الى مصر ، حرسها الله تعالى ، وحق الصدور عنها وكل ما يصل من جهتك فعلى هذه القضية .

واما شكرك على الاسرى الذين امر أمير المؤمنين بإطلاقهم إجابة لرغبتك ورسم بتسييرهم إليك محافظة على مرادك وبغيتك فأوزعنا شعارهم أنهم عتقاء شفاعتك وارقاء منتك ، فذلك من الدلائل على ما ينطوي عليه من جميل الرأي وكريم النية ومن الشواهد بأنه يوجب لك ما لا يوجب له أحد من ملوك النصرانية.

واما سؤالك الآن في إطلاق من تجدد أسره ، وإنهاؤك أن ذلك مما يهكم أمره فقد شفعك أمير المؤمنين بالاجابة إليه على ما ألف من كريم شيمته ، وسير إليك مع رسولك من تضمن الثبت ذكر عدته .

وقد علمت ما كان من أمر بهرام ووصوله الى الدولة الفاطمية - خلد الله ملكها - شريدا طائرا ، قد نبت به أوطانه ، وقذفته دياره ، لا مال له ولا حال ، ولا عشيرة ولا رجال ، فقبلته أحسن قبول ، وبلغت به في الاحسان ما يزيد على السؤل ، وغمرته من الانعام ما يقصر عن اقتراحه كل أمل ، وجعلته فواضلها يقلب الطرف بين الخيل والخول ، وكانت أموره كل يوم في نمو وزيادة ، وأحواله توفي على البغية والارادة ، إلى أن جرت نوبة اقتضى التدبير في وقتها أن عذقت به الوزارة ، ونيطت به السفارة ، فوسوس له خاطره ما زخرفه البطر وزينه ، وصوره الشيطان وحسنه ، وأظهر ما ظهرت اماراته ووضحت أدلته وعلاماته ، فاستدعى قبيله وأسرته ، وجذسه وعشيرته بمكاتبات منه سرية ، وخطوط عثر عليها بالارمنية ،

فكانوا يصلون أول أول إلى أن اجتمع منهم عشرون ألف رجل من فارس وراجل ، ومن جملةهم أبناء أخيه وغيرهما من أهله ، فدلوه بالغرور ، وحملوه على ما قضى بالاستيحاء منه والنفور ، وقبوا عزمه فيما يؤدي إلى اضطراب الأحوال واختلال الأمور ، فامتعضت العساكر المنصورة مما أساء به سياستهم ، وأبوا الصبر على ما غير به رسمهم وعاداتهم ، فلما رأى أمير المؤمنين ذلك استعظم الحال فيه ، وتيقن أن التغافل عنه يقضي بما يعسر استدراكه وتلافيه ، فكتب إليه وصفه الذي ربي في حجر الخلافة ، وسما به استحقاقه إلى أعلى درج الانافة ، وحصلت له الرئاسة باكتسابه وانتسابه ، وغدا النظر في أمور المملكة لا يصلح لغيره ولا يليق إلا به السيد الأجل الأفضل ، وهو يومئذ والي الأعمال الغربية ، وصدرت كتب أمير المؤمنين تشعره بهذا الأمر الصعب ، وتستكشف به ما عرا الدولة من هذا الخطب ، فأجاب دعاءه ولبي ندائه ، وقام قيام مثله ممن أجزل الله حظه من الإيمان ، وجعله جل وعز حسنة هذا الزمان واختصه بعناية قوية ، وأمدّه بمواد علوية ، وأيده بأعانة سماوية ، تخرج عن الاستطاعة البشرية . فجمع الناس وقام خطيباً فيهم بأعمالهم على ما يزلهم عند الله ويحظيهم ، وموضحاً لهم ما يخشى على الدولة من الأمر المذكر ، فاجتمعوا إليه كاجتماعهم يوم الحشر ، وغصت النجود والأغوار ، وامتلات السهول والأوعار ، وضائق الأرض على سعنتها بالخلائق ، وارتفعت في توجهم لطلب المذكور الأعذار والعوائق ، ولم يبق فضاء ، إلا وهو بهم شرق ولاحد إلا وهو منزعج بقصده وعلى تأخر ذلك قلق ، وكان بهرام وأصحابه بالإضافة إليهم كالشامة في اللون البسيط ، وكالقطرة في البحر المحيط ، وساروا مع السيد الأجل نحوه مسارعين وعلى الانقضاض عليهم متهافتين . فلما شعر بذلك لم يبق له قرار ، ولاذ بالهرب والفرار ، يهجر المناهل ويطوي المراحل ويرى الشرود غنماً ، ويعد السلامة حلماً . واستقرت وزارة أمير المؤمنين لهذا السيد الأجل الأفضل الذي لم تزل فيه راغبة ، وله خاطبة ، ونحو توليه أياها متطلعه ، والي نظره فيها مبادرة متسرة ، ولم تنفك لزينة دستها

مستبطنة وفي التلهف على تأخر ذلك معيدة مبدئة ، فأحسن الى الكافة قولاً وفعلاً ، وعمل في حق الدولة ما لم يجعل له في الوزراء شبهها ولا في الملوك العظماء مثلاً ، وغدا للملة الحذيفة حجة وبرهاناً ، وأولى الأولياء اعزازاً وتكريماً ، والأعداء اذلالاً واهواناً وصان الخلافة عن نفاذ حيلة وتمام غيلة ، ومخادعة مآكر ، ومخاطلة غادر ، فلذلك انتضاه أمير المؤمنين حساماً باتراً ماضي الغرار ، واجتباها همماً في المصالح لا يطعم جفنه غير الغرار ، واصطفاه خليلاً وظهيراً لتساوي باطنه وظاهره في الصفاء ، واستخلصه لنفسه لمفاخره الجمّة التي ليس بها من خفاء ، وانتظمت الأمور بكفالاته في سلك الوفاق ، وعمت الخيرات بوزارته عموم الشمس بأنوارها جميع الأفاق ، فسعدت بنظره الجدود ، وتظاهرت ببركاته الميامن والسعود واصبح غصن المعالي بيمينه مورقاً ، وعلى الملة من يمن أرائه تمانم من مس الحوادث ورقى ، فآثاره توفي على ضياء الصباح ، وعزماته تزري بمضاء المهندة الصفاح ، ومآثره تفوت شأو الثناء وغاية الامتداح . فالله تعالى يحفظ النعمة على الخلافة الحافظية ، ويوزع شكره على سبوغها كافة البرية بكرمه وفضله ومنه وطوله .

ولما أمعن بهرام في الهرب وجدت العساكر المنصورة وراءه في المطلب وضائق عليه المسالك ، وتيقن أنه في كل وجهة يقصدها هالك ، عاد لمكارم الدولة وعواطفها وسأل أماناً على نفسه من متالفها ، فشملته الرحمة وكتب له الأمان فعاوبته النعمة ، واختلط برجال العساكر المنصورة ، وصار حظه بعد أن كان منحوساً من الحظوظ الموفورة . وأما اعتذار الكاتب عما وجه اليه بأن من الكلام ما اذا نقل من لغة الى لغة أخرى اضطرب معناه فاختل معناه ، ولا سيما ان غرس فيه لفظ ليس في إحدى اللغتين ، فقد أبان فيما نسب اليه السهو فيه عن وضوح سببه ، وقد قبل عذره ولم تفك يده على التمسك به .

وأما ما سيرته الى خزائن أمير المؤمنين تحفة وهدية ، وانبت به عن همة بدواعي المجد ملية ، فإنه وصل وتسلم كل صنف منه متولي الخزائن المختصة به بعد عرضه على الثبوت المعطوف كتابك عليه

وموافقته ، وقد أجري رسولك في إكرامه وملاحظته على أفضل ما يعتمد مع مثله بمنزلة من ورد من جهته ، وعلى قدر من وصل برسالته • وقد سير أمير المؤمنين من أمراء دولته ، ووجوه المتقدمين بحضرته ، الأمير المؤمن المنصور المنتجب ، مجد الخلافة ، تاج المعالي ، فخر الملك ، مولى الدولة وشجاعها ، ذا النجابتين ، خالصة أمير المؤمنين ، أبا منصور جعفرا الحافظي ، رسولاً بهذه الاجابة ، لما هو معروف من سداده ، وموصوف من مستوفق قصده ومستصوب اعتماده ، والقي إليه ما يذكره ويشرحه ، وعول عليه فيما يشافه به ويوضحه ، وأصحابه من سجاياه والطافه ما تضمنه الثبوت الواصل على يده ، إبانة لمحك عنده وموقفك منه ، ومكانك لديه ، وأمير المؤمنين متطلع الى ورود كتبك متضمنة من سار أنباءك وطيب أخبارك ما يسكن الى معرفته ، ويثق بعلم حقيقته ، فاعلم هذا واعمل به إن شاء الله تعالى •

تعميم صدر عن يوسف بن تاشفين بشأن اتخاذه لللقب أمير المسلمين

(من الحلل الموشية ص ٢٩ - ٣٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد الكريم وعلى آله وصحبه وسلم
تسليماً •

من أمير المسلمين ، وناصر الدين ، يوسف بن تاشفين •
الى الاشياخ والاعيان والكافة والخاصة من اهل « الفلانة » ادام
الله كرامتهم بتقواه ، ووفقهم لما يرضاه •
سلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته •

اما بعد : حمداً لله اهل الحمد والشكر ، ميسر اليسر ، وواهب
النصر ، والصلاة على محمد المبعوث بنور الفرقان والذكر ، وأنا
كتبناه اليكم من حضرتنا العلية بمراكش حرسها الله ، في منتصف
محرم سنة ست وستين وأربعمائة ، وانه لما من الله علينا بالفتح
الجسيم ، واسبغ علينا من أنعمه الظاهرة والباطنة ، برود النعيم ،
وهدانا وهداكم الى شريعة نبينا محمد المصطفى الكريم ، صلى الله
عليه وعلى آله افضل الصلاة وأتم التسليم ، راينا ان نخصص
انفسنا بهذا الاسم ، لنمتاز به عن سائر أمراء القبائل ، وهو « أمير
المسلمين وناصر الدين » فمن خاطب الحضرة العلية السامية ،
فليخاطبها بهذا الاسم ان شاء الله تعالى ، والله ولي العدل بمنه
وكرمه ، والسلام •

رسالة جوابية من المتوكل على الله بن الأفطس الى القونسطوس السادس

(من الحلل الموشية ص ٣٦ - ٣٧)

وقد وصل الينامن عظيم الروم كتاب مدع في المقادير ، وأحكام العزيز
القدير ، يرعد ويبرق ، ويجمع تارة ويفرق ، ويهدد بجنوده الوافرة ،
وأحواله المتضافرة ، ولو علم أن لله جنودا أعز بهم ملة الاسلام ،
وأظهر بهم دين نبينا محمد عليه السلام :
« اذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين يجاهدون في سبيل الله ولا
يخافون لومة لائم(٣٧) » ، بالتقوى يعرفون ، وبالتوبة يتضرعون
وينصرون ، ولئن لمعت من خلف الروم بارقة فبإذن الله وليعلم
المؤمنين(٣٨) « وليميز الله الخبيث من الطيب(٣٩) » وليعلمن
المنافقين(٤٠) » .

وأما تعييرك للمسلمين فيما وهن من أحوالهم ، وظهر من
اختلالهم ، فبالذنوب المركوبة ، والفرقة المكتوبة ، ولو انفقت كلمتنا
مع سائرنا من الاملاك ، لعلمت أي صاب أذقناك ، كما كانت أبأؤك
مع أبائنا تتجرعه ، فلم تزل تذيبها من الحمام ، وضروب الآلام ،
شمر ما تراه وتسمعه ، وأداء المال تتوزعه ، وبسالامس كانت قسطيعة
المنصور(٤١) على سلفك اهداء ابنته اليه ، مع الذخائر التي كانت تفد
في كل عام عليه .

وأما نحن ، وإن قلت أعدادنا ، وعدم من المخلوقين استمدادنا ،
فما بيننا وبينك بحر نخوضه ، ولا صعب نروضه ، الا سيوفا تشهد
بحدتها رقاب قومك ، وجلادا تبصره في ليلك ويومك ، وبالله تعالى
وملائكته المسومين ، نتقوى عليك ، وذستعين ، ليس لنا سوى الله

مطلب ، ولا لنا الى غيره مهرب ، وما « تربصون بنا إلا إحدى
الحسنين(٤٢) » : نصر عليكم ، فيالها من نعمة ومنة ، أو شهادة في
سبيل الله ، فيالها من جنة ، وفي الله العوض مما به هددت ، وفرج
يبتر ما مددت ، ويقطع بك فيما أعددت •

رسالة المتوكل على الله بن الألفطس الى يوسف بن تاشفين يستنجد به

(من الحلال الموشيه ص ٣٤ - ٣٥)

لما كان نور الهدى - ايدك الله - دليلك ، وسبيل الخير سبيلك ،
ووضحت في الصلاح معالك ، ووقفت على الجهاد عزائمك ، وصح
العلم بأنك لدولة الاسلام اعز ناصر ، وعلى غزو الشرك اقدر قادر ،
وجب أن تستدعى لما أعضل الداء ، وتستغاث فيما أحاطت بالجزيرة
من البلاء.

فقد كانت طوائف العدو تطيف بها عند افراط تسلطها واعتدائها
وشدة ظلمها ، واستشرائها ، تلاطف بالاحتيال وتستنزل بالاموال
ويخرج لها من كل نخيرة ، وتسترضى بكل خطيرة .

ولم يزل دأبها التشطط والعناد ، ودأبنا الانزعان والاذقياد ، حتى
نفد الطارف والتلاد ، واتى على الظاهر والباطن الفساد ، وأيقنوا
الآن بضعف المنن ، وقويت أطماعهم في افتتاح المدن ، واضرمت في
كل جهة نارهم ، ورويت من دماء المسلمين أسنتهم وشفارهم ، ومن
أخطأه القتل منهم ، فإنما هم في أيديهم أسارى وسبايا يمتحنونهم
بأنواع المحن والبلايا ، وقد هموا بما أراؤوه من التوثب ، وأشرفوا
على ما أملوه من التغلب ، فيالله ، وبالله مسلمين ، أيسطو هكذا
بالحق الافك ، ويغلب التوحيد الشرك ، ويظهر على الايمان الكفر ،
ولا يكشف هذه البلية إلا النصر .

الا ناصرا لهذا الدين المهتضم ، الاحاميا لما استبيح من حمى
الحرم ؟ وانا لله على ما لحق عبیده من نكل ، وعزه من نل ، فإنها
الرزية التي ليس فيها عزاء ، والبلية التي ليس مثلها بلاء .

ومن قبل هذا ماكنت خاطبتك ، أعزك الله بالنازلة في مدينة قورية (٤٣) ، أعادها الله للإسلام ، وأنها مؤنثة للجزيرة بالخلاء ولن فيها من المسلمين بالجلء ، ثم مازال ذلك التخائل والتدبير يتزايد ، حتى تخلطت القضية ، وتضاعفت البلية ، وتحصلت بيد العدو مدينة سرية (٤٤) ، وعليها قلعة تجاوزت حد القلاع في التحصن والامتناع ، وهي من المدينة كنقطة الدائرة ، تدركها من جميع الجهات ، دائرة بنواحيها ، ويستوى في فء الأرض بها قاصيها ودانيها ، وما هو إلا نفس خافق ، ورمق زاهق ، استولى عليه عدو مشرك ، وطاغية منافق ، ان لم تدركوها بجماعتكم عجالا ، وتبادروا ركباناً ورجالا ، وتنفروا نحوها خفافا وثقالا ، وما احضكم على الجهاد بما في كتاب الله ، فانكم له اتلى ، ولا بما في حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فانكم الى معرفته اهدى ، وفي كتابي هذا (الذي يحمله اليكم) الشيخ الفقيه الواعظ (مسائل مجمل) يفصلها ويشرحها ، ومشتغل على نكت هو يبينها لكم ويوضحها فإنه - لما توجه نحوكم احتسابا ، وتكلف المشقة اليك طالبا ثوابا - عولت على بيانه ، ووثقت بفصاحة بيانه ، والسلام.

رسالة من الفونذسو السادس الى المعتمد بن عباد وجواب المعتمد عليها

(من الحلل الموشية ص ٣٨ - ٤١)

من الكنديطور ، ذي الملتين ، الملك الفاضل ، الأذفدش بن شانجه ،
الى المعتمد بالله سدد الله أراءه ، وبصره مقاصد الرشاد : سلام
عليك ، من مشيد ملك شرفته القنا ، ونبتت في ربعه المنى ، فاعتز
الرمح بعامله ، والسيف بساعد حامله ، وقد أبصرتم ما نزل بطلايلة
وأقطارها ، وما سار بأهلها حين حصارها ، فأسلمتم اخوانكم ،
وعطلتم بالدعة زمانكم ، والحذر من أيقظ باله ، قبل الوقوع في
الحباله ، ولولا عهد سلف بيننا ، نحفظ ذمامه ، ونسعى بنور الوفاء
امامه ، لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده ، ووصل رسول الغزو
ووارده ، لكن الانذار ، يقطع الأعذار ، ولا يعجل الا من يخاف الفت
فيما يرومه ، أو يخشى الغلبة على ما يسومه ، وقد حملنا الرسالة
اليكم القرمط البر هانس ، وعنده من التدسيد الذي يلقي به امثالك ،
والعقل الذي يدبر به بلادك ورجالك ، مما أوجب استنابته فيما يدق
ويجل ، وفيما يصلح لافيما يخل وأنت عندما تأتيه من أرائك ، والنظر
بعد هذا من ورائك ، والسلام عليك ، يسعى بيمينك وبين يديك .

ولما وصل هذا الكتاب الى المعتمد بن عباد ، جابو عنه بخطه من
نظمه ونثره ، بما نصه :

الذل تأباه الكرام وديننا

لك ما ندين به من البأساء

سمناك سلما ما أردت وبعد ذا

نغزوك في الاصباح والامساء

الله اعلى من صليبك فادرع
لكتيبة حطمتك في الهيجاء
سوداء غابت شمسها في غيمها
فجرت مدامعها بفيض دماء
ما بيننا الا النزال وفتنة
قدحت زناد الصبر في الغماء
فلتقدمن اذا لقيت اسنة
زرقا ترى بالوجنة الوجناء

في أبيات كثيرة.

وبعد ذلك : من المنصور بفضل الله ، المعتمد على الله ، محمد بن
المعتضد بالله ، أبى عمرو بن عباد ، الى الطاغية الباغية اذفنش بن
شانجة ، الذي لقب نفسه بملك الملوك ، وسماها بذى الملتين ، قطع
الله دعواه.

سلام على من اتبع الهدى ، اما بعد :

فإنه أول ما نبدأ به من دعواه ، أنه « ذو الملتين » والمسلمون أحق
بهذا الاسم ، لأن الذي تملكوه من أمصار البلاد ، وعظيم الاستعداد ،
ومجبى المملكة ، لا تملكه قدرتكم ، ولا تعرفه ملتكم ، وانما كانت سنة
سعد أيقظ منها مناديك ، واغفل عن النظر الاسديد جميل مباديك ،
فركبنا مركب عجز بنسخه الكيس ، وعاطيناك كؤوس دعة ، قلت في
اثنائها : ليس ، ولا تستحي أن تأمر بتسليم البلاد لرجالك ، وانا
لنعجب من استعمالك برأي لم تحكم انحاه ، ولا حسن انتحاه ،
واعجابك بصنع وافقتك فيه الاقدار ، واغتررت بنفسك أسوا
الاغترار ، اما تعلم أنا في العدد والعديد ، والنظر الاسديد ، ولدينا من
كمأة الفرسان ، وجيل الانسان ، وحمأة الشجعان ، يوم يلتقي
الجمعان ، رجال تدرعوا الصبر وكرهوا الكبر ، تسيل نفوسهم على
حد الشفار ، وتتغاهم الهام في القفار (٤٥) يديرون رحي المنون بحركات
العزائم ، ويشفون من خبط الجنون بخواتم العزائم (٤٦) قد أعدوا لك

ولقومك جلادا ، رتبه الاتفاق ، وشفارا حدادا ، شحذها الاصفاق ،
وقد يأتي المحبوب من المكروه ، والندم من عجلة الشرور ، نبهت من
غفلة طال زمانها ، وايقظت من نومه تجدد أمانها ، ومتى كانت
لأسلافك الاقدمين مع أسلافنا الاكرمين يد صاعدة ، أو وقفة
متساعدة ، الا ذل تعلم مقداره ، وتحقق مثاره ، والذي جراك على
طلب ما لا تدركه قوم كالدمر : « لا يقاتلونكم جميعا الا في قرى
محصنة أو من وراء جد ر (٤٧) » ، ظنوا المعامل تعقل ، والدول
لا تنتقل ، وكان بيننا وبينك من المسألة ، ما أوجب القعود عن
نصرتهم ، وتدبير أمرهم ، ونسأل الله سبحانه المغفرة فيما اتينا في
أنفسنا وفيهم ، من ترك الحزم ، وإسلامهم لأعدائهم ، والحمد لله
الذي جعل عقوبتنا توبيخك وتقريعك ، بما الموت دونه ، وبالله
نستعين عليك ، ولانستبطن في مسيرتنا اليك ، والله ينصر دينه
الكريم : « ولو كره الكافرون » (٤٨) ، والسلام على من علم الحق فاتبه
واجتنب الباطل وخدعه .

رسالتا استصراخ من المعتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين وجواب يوسف عليهما

(من الحلل الموشية ص ٤٥ - ٥٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم تسليما

الى حضرة الامام ، امير المسلمين ، وناصر الدين ، محيي دعوة
الخلافة ، الامام امير المسلمين ، ابي يعقوب يوسف بن تاشفين .

من القائم بعظيم اكبارها ، الشاكر لاجلالها ، المعظم لما عظم الله
من كريم مقدارها ، اللانذ بحرمتها ، المنقطع الى سمو مجدها ،
المستجير بالله ، وبطولها ، محمد بن عباد .

سلام الله الكريم يخص الحضرة العلية ، المعظمة السامية ،
ورحمة الله وبركاته .

وكتب المنقطع الى كريم سلطانها من اشبيلية غرة جمادى الاولى
سنة تسع وسبعين واربعمائة ، وانه ايد الله امير المسلمين ، ونصر
به الدين ، انا نحن العرب في هذه الاندلس ، قد تلفت قبائلنا ، وتفرق
جمعنا ، وتغيرت اذسابنا ، بقطع المادة عنا ممن مهيننا ، فصرنا
شعوبا لاقبائل ، واشتاتا لاقاربة ولا عشائر ، فقل ناصرنا ، وكثر
شامتنا ، وتوالى علينا هذا العدو المجرم اللعين اذفدش ، واناخ علينا
بكل كلة ، ووطننا بقدمه ، واسر المسلمين ، واخذ البلاد والقلاع
والحصون ، ونحن اهل هذه الاندلس ليس لاحد منا طاقة على نصره
جاره ، ولا اخيه ، ولو شاؤوا لفعلوا ، الا ان الهوان منعه عن ذلك ،

وقد ساءت الأحوال ، وانقطعت الآمال ، وأنت أيديك الله ، ملك المغرب أبيضه وأسوده ، وسيد حمير ، ومليكه الأكبر ، وأميرها وزعيمها (٤٩) ، ونزعت بهمتي اليك ، واستنصرت بالله ثم بك ، واستغثت بحرمكم ، لتجوزوا لجهاد هذا العدو الكافر ، وتحياوا شريعة الإسلام وتذبوا عن دين محمد عليه الصلاة والسلام ، ولكم بذلك عند الله الثواب الكريم ، والأجر الجسيم ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ، والسلام الكريم على حضرتكم السامية ، ورحمة الله تعالى وبركاته .

الى الملك المؤيد بفضل الله أمير المسلمين ، وناصر الدين ، وزعيم المرابطين ، أبي يعقوب بن تاشفين نور الله به الآفاق ، وجمع به الجيوش والرفاق.

من الملك المفضل بنعمة الله ، المستجير برحمة الله ، المعتمد على الله ، محمد بن عباد ، سلام على حضرة تجرد ايمانها ، واشتهر امانها ، أما بعد :

فإن الله سبحانه أيد دينه بالاتفاق والائتلاف ، وحرم مسالك الشتات ودواعي الاختلاف ، وأنعم على عباده بأمر جديد « وقوم أولى بأس شديد » (٥٠) وتطول علينا بمعلوم جدك ، ومشهور جدك ، وقد جعلك رحمة يحيي غيثها ربوع الشريعة ، وخلقك سلما الى الخير وذريعة ، وقد طرا على الإسلام حادث أنسى كل هم ، وهمت النكبات بوقوعه وهم ، وذلك عدو أطمعه في البلاد شتات وبين ، واختلاف سببه لم تطرف له في الدعة عين ، يقوى ونضعف ، ويتفق ونختلف ، وننام مطمئنين من أفات الزمان ، وتناسخ الأمان ، وقد جاءنا ابراقة وارعاده ، ووعده وايعاده ، لنسلم له المناير والصوامع ، والمحارب والجوامع ، ليقيم بها الصليبان ، ويستنيب بها الرهبان ، ومما يطمعه استمالته ايانا بالدعة ، واملأوه في الرحب والمتعة ، استجارا لما أبطنه ، واهجما علينا وطنه .

وقد وطد الله لك ملكا شكر الله عليه ، جهادك ، وقيامك بحقه

واجتهادك ، ولك من نصر الله خير باعث ، يبعثك الى نصر مناره ،
واقتبأس نوره وناره ، وعندك من جنود الله من يشتري الجنة بحياته
ويحضر الحرب بألأته ، فإن شئت الدنيا فقطوف دانية ، وجنات
عالية وعيون أنية وإن أردت الأخرى فجهاد لايفتر ، وجلاد يحز
الغلاصم ويبتر ، هذه الجنة ادخرها الله لظلال سيوفكم ، واجمال
معروفكم ، نستعين بالله و ملائكته ، وبكم على الكافرين ، كما قال
الله سبحانه ، وهو أكرم القائلين : « قاتلوهم يعذبهم الله بأيديكم
ويخزهم وينصركم عليهم ويشف صدور قوم مؤمنين (٥١) » .

والله يجمعنا على كلمة التوحيد ننصرها ، ونعمة الاسلام نشكرها
ورحمة الله نتحدث بها وننشرها ، والسلام الموصول الجزيل على
أمير المسلمين ، وناصر الدين ، ورحمة الله وبركاته .

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

من أمير المسلمين ، وناصر الدين ، محيي دعوة أمير المؤمنين .
الى الأمير الأكرم المؤيد بنصر الله ، المعتمد على الله ، أبي القاسم
ابن عباد ، أدام الله كرامته بتقواه ، ووفقه لما يرضاه .

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فانه وصل خطابكم المكرم ، فوقفنا على ما تضمنه من استدعائنا
لنصرتك ، وما ذكرته من كربتك ، وما كان من قلة حماية جيرانك ،
فنحن يمين لشمالك ، ومبادرون لنصرتك وحمايتك ، وواجب علينا
ذلك من الشرع ، وكتاب الله تعالى ، وإنه لا يمكننا الجواز الا أن
تسلم لنا الجزيرة الخضراء ، تكون لنا ، لكي يكون جوازنا اليك على
أيدينا متى شئنا ، فإن رأيت ذلك فأشهد به على نفسك ، وأبعث إلينا
بعقودها ، ونحن في اثر خطابك ، إن شاء الله ، والسلام عليكم
ورحمة الله تعالى وبركاته.

رسالة الفونزو السادس الى يوسف بن تاشفين ورد يوسف عليها قبل وقوع معركة الزلاقة

(من كتاب أعمال الأعلام للسان الدين ابن الخطيب
ج ٣ ص ٢٣٩ - ٢٤٠)

من امير النصرانية اذفونش بن فرلند إلى يوسف بن تاشفين ، اما
بعد فانك اليوم امير المسلمين ببلاذ المغرب وسمسلطانهم ، واهل
الأندلس قد ضعفوا عن مقاومتي ومقابلتي ، وقد اذلتهم بأخذ الجزية
منهم وبالقتل والأسر والذل والقهر ، وأنا لا أقنع إلا بأخذ البلاد وقد
وجب عليك نصرهم لأنهم اهل ملتك ، فأما أن تجوز إلي ، وأما أن
ترسل إلي المراكب أجوز اليك ، فإن غلبتني كان ملك الأندلس
والمغرب اليك ، وان غلبتك انقطع طمع الأندلس من نصرك اياهم فان
نفوسهم متعلقة بنصرتك لهم « فلما وصل اليه كتابه امر أن يكتب له
على ظهر كتابه » من امير المسلمين يوسف إلى اذفونش ، اما بعد
فان الجواب ما تراه بعينك لا ما تسمعه باذنك ، والسلام على من
اتبع الهدى ، واردف الكاتب بيت أبي الطيب :

ولا كتب إلا المشرفية والقنا
ولا رسل إلا الخميس العرمم

رسالة من الفوذسو السادس الى يوسف بن تاشفين

(حسب رواية صاحب الحلل الموشية ص ٤٢ - ٤٣)

من أمير الملتين أذفدش بن شانجة بن فراندة إلى الأمير يوسف بن تاشفين ، أما بعد :

فلا خفاء على ذي عينين أنك أمير المسلمين ، بل الملة المسلمة ، كما أنا أمير الملة النصرانية ، ولم يخف عليك ما عليه رؤساؤكم بالأندلس من التخائل ، والتواكل ، والاهمال للرعية ، والاخلال الى الراحة ، وأنا أسومهم الخسف ، فأخرب الديار ، واهتك الأستار ، وأقتل الشبان ، وأسر الولدان ، ولا عذر لك في التخلف عن نصرهم ، ان أمكنتك فرصة هذا ، وانتم تعتقدون أن الله تبارك وتعالى ، فرض على كل واحد منكم قتال عشرة منا ، وأن قتلاك في الجنة ، وقتلنا في النار ، ونحن نعتقد أن الله أظفرنا بكم ، وأعاننا عليكم ، ولا تقدرين دفاعا ، ولا تستطيعون امتناعا ، وبلغنا عنك أنك في الاحتفال ، على نية الاقبال فلا أدري أكان الجبن يبسط بك ، أم الكذب بما أنزل اليك ، فان كنت لا تستطيع الجواز ، فابعث إلي ما عندك من المراكب لأجوز اليك ، وأنا أقاتلك في أحب البقاع إليك ، فإن غلبتني فتلك غنيمة جلبت اليك ونعمة مثلت بين يديك ، وان غلبتك كانت لي اليد العليا ، واستكملت الامارة ، والله يتم الارادة .

فأمر أمير المؤمنين يوسف بن تاشفين ، أن يكتب اليه على ظهر كتابه : جوابك يا أذفدش ما تراه لا ما تسمعه ، ان شاء الله ، وأردف الكتاب ببيت أبي الطيب المتنبّي :

ولا كتب الا المشرفية والقنا

ولا رسل الا الخميس العرمرم (٥٢)

رسالتنا بشارة بنصر الزلاقة من المعتمد بن عباد الى اهل اشبيلية

(من الحلال الموشية ص ٦٣ - ٦٦)

لما فرغ الناس من القتال في الزلاقة ، تناول ابن عباد اضبارة كاغد ،
على عرض الأصبع وكتب فيها سطرين : «الى ابني الرشيد وفقه الله
اعلم انه التقت جموع المسلمين بالطاغية أذفدش اللعين ، ففتح الله
للمسلمين ، وهزم على ايديهم المشركين ، والحمد لله رب العالمين ،
فاعلم بذلك من قبلك من اخواننا المسلمين ، والسلام .

وكان ذلك عند الزوال من الجمعة ، وعلق الاضبارة في جناح حمام
كان احتمله معه لهذا الحال ، فكان الناس باشبيلية أقنط ما كان في
ذلك اليوم ، فوصل الحمام من يومه ، وقرئت على الناس بمسجد
اشبيلية ، فعم السرور ، وكثر الدعاء.....

ولما كان يوم الجمعة الثاني عشر لرجب سنة تسع وسبعين
وأربعمائة ، سنى الله امرا يسر اسبابه ، وفتح لنا الى الفرج
والفتوح بابه ، وعطف علينا القابل للتوب ، الغافر للذنوب ، والتقينا
مع الطاغية الباغية ، الذي اجاب الموت داعيه وأخزى التوفيق
مساعيه ، بعد غدر ابداه ، وجرى فيه مداه ، وكان تواعدنا معه
لنلتقى في سواه ، فأتى والنقض يجزر ذيل مخزاه ، والغيب يشهد
عليه بما ارداه ، والغدر يعلمنا انه طعمة من نواه ، فاستبشرنا انه
ابتدا بالغدر الذي يرديه ، وتعجل سلوك طريق لا تهديه ، وتحققنا
انها مقدمة فتح سبقت ، ونواسم سعد عبقت ، والنصر لا تخفى
لدلائله ، واليمن لا تستتره غلائله ، فتدارك اخواننا المسلمون
بالانصاف ، وتصافحوا بالاعتراف والانصاف ، وجرت البسائط

ذبول الزرد وشكرت الشفار فعل الصقيل الفرند ، ولما احلوك ليل الحرب واغطش ، وغار ماء ثبجها فأعطش ، طلع فجر السعادة فانجح ، ونادى من كتب السلامة : اصبح ، اصبح ، وعن قريب طلعت شمسها تشرق ، وتهلك الكافرين وتحرق ، وليس دونها حجاب يستر شعاعها ، ويحجب لماعها ، ولما تسامت الرؤوس ، واحدق الرئيس بالمرؤوس ، ظللنا نرتب الجماجم ، وكأنها من أعجب احلام نائم ، ولما صعد المؤذنون أكواما بنتها أيدي الأيد من هاماتهم وحصدتها بواتر قطعتها بلاماتهم ، أعلنوا بكلمة الاخلاص فوق أذان وعت ، ماكانت عنه صمت ، وأدمغة أنزلها الندم على ماكانت به همت ، وقرت العيون وانشرحت الصدور ، « وأشرق الأرض »^(٥٣) كلها بهذا النور ، وهذا وفقكم الله فتح الفتوح ، أنذر بين يدي نجواه^(٥٤) ، بنصر يعجز عنه الحصر .

وقد كان في أول اللقاء جولة على المسلمين ، قضى الله بالشهادة فيها ، لمن اهتم بأمانيتها ، ثم أنزل سكينته ، فخطبت نصال المسلمين ، رقاب الكافرين ، فانكحتها أبكارا ، صاننتها حجال المغافر ، وحجبتها ستور الطوارق عن عيون البواتر ، ولا مهر الا ما نووه من كرم نفوس ، جادت متطوعة ، ومشيت الى الخيرات مسرعة فنفلهم الله أنفالا ، ووعدهم بالنصر ، فأوفى لهم .

فتلقوا رحمكم الله هذه النعم بالشكر ، كما تلقينا ، وقولوا الحمد لله رب العالمين على نعم اصبحتنا فيها ، وامسينا ، والله يصلها بالتأييد ، ويتبعها بالتوفيق والتسديد ، والسلام .

ولما قضى الله بهذا الفتح الجليل ، والصنع الجميل ، اقام المسلمون في جمع اسلابهم ، وضم عددهم مدة أيام ، فامتلات أيديهم بالغنائم الوافرة ، والسبي الكثير ، واكتسبت الناس فيها من الات الحروب ، والأموال ، وسيوف الحلى ، ومناطق الذهب والفضة ما أغناهم .

وكان يوما لم يسمع بمثله من يوم اليرموك والقادسية ، فياله من فتح ما كان أعظمه ، ويوم كبير ما كان أكرمه ، فيوم الزلاقة ثبت قدم

الدين بعد زلاقتها ، وعادت ظلمة الحق الى اشراقها ، نفست مخنق
الجزيرة بعض التنفس ، واعتز بها رؤوساء الأنداس ، فجزى الله
أمير المسلمين ، وناصر الدين ، أبا يعقوب يوسف بن تاشفين ،
أفضل الجزاء ، بما بل من أرماق ، ونفس من خناق ، وصل لنصر
هذه الجزيرة من حبل ، وتجشم الى تلبية دعائها ، واستبقاء
ذمائها (٥٥) ، من حزن وسهل ، حتى هزم على يده اعداء الله
المشركون . وظهر أمر الله وهم كارهون .

رسالتا بشارة بنصر الزلاقة ارسلتا الى اشبيلية

(من النخيرة لابن بسام ق ٢ ج ١ ص ٢٤١)

كتبت صبيحة يوم السبت الثالث عشر من رجب ، وقد أعز الله الدين
وأظهر المسلمين ، وفتح لهم بفضلته على يدي مسعانا الفتح المبين ،
بما يسر الله في أمسه وسناه ، وقدره سبحانه وقضاه ، من هزيمة
أنفوذش بن فرزند ، أصلاه الله - إن كان طالع الجديم ، ولا أعدمه
- إن كان أمهل - العيش الذميم كما قنعه الخزي العظيم ، واتيان
القتل على أكابر رجاله وحماته ، وأخذ النهب في سائر اليوم واللييلة
المتصلة به الى جميع محلاته ، وحضور العدد الوافر بين يدي
رؤوسهم ، ولم يحتز منها إلا ما قرب ، وامتلاء الأيدي مما قبض
ونهب ، واتخذ الناس هاماتهم صوامع يؤذنون عليها ، ويشكرون
الله تعالى على ما صنع فيها ، والتتبع بعد آثارهم ، وتمادي الطلب
من وراء فرارهم ، والذي لا مرية فيه أن الناجي منهم قليل ، والمفلت
من سيوف الهند بسيفوف الجوع والبعد مقتول ولم يصبني بحمد الله
إلا جرح أشوى ، وعنت رغب حسن المال عندي وزكى ، فلا يشتغل
لك بال ، ولا تتوهم فيه غير ما أشرت اليه ، والحمد لله على ما صنع
حق حمده ، وهو أهل المزيد الذي لا يرجى الا من عنده.

وقد علم ما كنا عليه قبل مع عدو الله أنفوذش بن فرزند قصمه
الله ، من تطاطؤنا واستعلائه ، وتقامننا وانتخائه ، وانا لم نجد لدائه
دواء ، ولا لبلائه انقضاء ، ولا لمدة الامتحان به فناء ، إلى أن سنى
الله تعالى من استصراخ امير المسلمين وناصر الدين ، أبي يعقوب
يوسف بن تاشفين ، معقلي الأحمى - أيده الله - ما سنى ، وأدنى
من نأى دياره وشبخط مزاره ما أدنى فلم أزل أصل بيني وبينه
الأسباب ، واستفتح إلى ما كنت أتخيل من نصره الأبواب ، الى أن

ارتفعت الموانع قبله ، وانتهجت السبيل القصية له ، ثم أجاز - على
بركة الله وعونه - يريش ويبري ، وصار بعد قدما يخلق ويفري ،
ويتتبع وجوه الحزامة كيفما اتجهت ويستقري ، وأنا أنجده بوسعي
واسعده على حسب ما يطيقه ذرعي ، الى أن صرنا معشر الحلفاء
بببليوس - حرسها الله - واتفق رأينا بعد تشاور على قصد
قورية - حرسها الله - وسمع العدو - لعنه الله - بذلك فصمد
من محدشه اليها في جيوش تملأ الفضاء ، وتسد الهواء ، وتمنع أن
تقع على ما تحت راياته نكاء ، قد تحصنوا بالحديد من قرونهم إلى
أقدامهم ، واتخذوا من السلاح ما يزيد في جرأتهم وأقدامهم ، ولما
أشرف على جنابها ، ولسنا بها ، ودنا من أعلامها ، ولم يتجه لنا بعد
ما أردنا من المامها ، دعاه تعاظمه إلى مواجهة سبيلنا ، وحمله نفجه
وتهوره على السلوك في مدرج سيولنا .

وفي فصل منها : فدنونا اليه بمحلاتنا - نصرها الله - ثم
اضطربناها بإزائه ، وأطللنا عليه براياتنا حتى كدنا نركزها بفنائها
- لعنه الله - ما اعتمدناه من إصغاره وإخزائه ، فأجمع مضطرا
على اللقاء ، وقدم بعض أخبيته دهشا في الرقعة التي كانت بيننا على
صغرها من بساطة الفضاء ، وقد تيقن أنه إن أخذ المسلمون
مصافهم ، ورتبوا في مواقعهم كوافهم ، اضطلم عن آخره جمعه ،
و اجث أصله وفرعه ، فاهتبل فيما قدره غرة ، وحمل ولم يكن -
بحمد الله - ما استشعره مرة ، فتنادى المسلمون بشعارهم
المنصور ، واقبلوا عليه وعلى من معه في حال مؤذنة بالظهور و
الوفور ، فتواقف قليلا الجمعان ، وتجول مليا الفريقان ولاسيوف
حكما ، ومن الحتوف حدها المفهوم ورسمها ، ثم صدق أمير
المسلمين وناصر الدين - أيده الله - الحملة ، وصدى في جمع لم
يكثر عدد الجملة ، فلم يلبث أعداء الله أن ولوا الأدبار ،
واستصرخوا الفرار ، واتبعهم خيل المسلمين - نصرهم الله -
بقية اليوم والليلة ، تقتلهم في كل غور ونجد وتقتضي أرواحهم على
حالين من كاليء ونقد ، ولم يخلص منهم على أيدي المتبعين -
أجرهم الله - إلا من سيلتهمه البعد ، ويأتي على حشاشته الجهد ،

و اما محلّتهم فانتهبت في اول وهلة ، وشربت بأسرها في نهلة .
وفي فصل منهما :

ولم يصب بحمد الله من المسلمين - وفرهم الله - على هول
المقام ، وشدة الاقتحام ، كثير ، ولا مات من أعلامهم تحت تلك
الجولة إلا عدد يسير ، فإن كان أذفوذش - لعنه الله - لم يمت
تحت السيوف بددا فسيموت لا محاله أسفا وكمدا ، ونحمد الله على
مايسره من هذا الفتح الجليل وسناه ، ومنحه من هذا الصنع
الجميل وأولا ه .

رسالة تهنئة من أبي عبيد البكري الى المعتمد بن عباد بعد نصر الزلاقة

(من الذخيرة لابن بسام ق ٢ ج ١ ب ٢٣٧)

اطال الله بقاء سيدي ومولاي الجليل القدر ، الجميل الذكر ، ذي
الأيادي الغر ، والنعيم الزهر ، وهنأ ما منحه من فتح
ونصر ، واعتلاء وقهر ، بطابع السعد يا مولاي أبت ، وبسانح
اليمن عدت ، وبكذف الحرز عدت ، وفي سبيل الظفر سرت ، وبقدم
البر سعيت ، وبجنة العصمة أتيت ، وبسهم السداد رميت
وأصميت ، صدر عن أكرم المقاصد ، وأشرف المشاهد وعود بأجل
ما ناله عائد ، وأب به وارد ، فتوح أضحكت مبسم الدهر ، وسفرت
عن صفحة البشر ، وردت ماضي العمر ، وأكبت واري
الكفر ، وهزت أعطاف الأيام طربا ، وسقت أقداح السرور
نخبا ، وثنت آمال الشرك كذبا ، وطوت أحشاء الطاغية
رهبا ، فذكرها زاد الراكب وراحة اللاغب ، ومتعة الحاضر ونقطة
المسافر :

بها تنفض الأحلاس في كل منزل
وتعقد أطراف الحبال وتطلق

شملت النعمة ، وجبرت الأمة ، وجلت الغمة ، وشفقت الملة ، وبردت
الغلة ، وكشفت العلة.

كان داء الاشتراك سيفك واشت
دت شكاة الهدى وكان طبيبا

فغدا الدين جديدا ، والاسلام سعيديا ، والزمان حميدا ، وعمود

الدين قائما ، وكتاب الله حاكما ، ودعوة الايمان منصورة ، وعين الملك قريرة فهذا الله مولانا وهنانا هــ هذه المنح البهية مطالعها ، الشهية مـواقعها المشهورة اثـارها ، الماثورة اخبارها ، ونصر الله اعلامه ففي البر تحل وتعقد ، وعضد حسامه ، فبالقسط يسـل ويغمد وايد مـذاهبه فبالتحزم تسدى وتلحم ، وآمد كتائبه ففي الله تسرج وتلجم.فكم فادح خطب كفاه ، وظلام كرب جللاه ، وميت حق احياء ، وحي باطل ارداه وكم جاحم ضلالة اطفأ ناره ، وناجم فتنة قلم اظفاره ، ومغلول اسنة ارهف شفاره ومستباح حرمة حمى نماره.

فلله هذه المساعي الكريمة ، والمنازع القويمة ، المتبلجة عن ميمون النقية ومحمود العزيمة ، فقد تمثل بها العهد الأول والقرن الأفضل الذي أخرج الناس يأـمرون بـالمعروف وينهـون عن المـنكر ، والذي سـطع هذا السراج ، وانتـهج هذا المنهاج ، فلا زالت الفتوح تتوالى عليه ، وصنائع الله تتصل لديه ، إدالة من مشاقيه وإزالة لمحاربيه ، وإبادة لمناوئيه ، وإن أجل هـذه النعم في الصدور ، وأحقها بالشكر الموفور ، ما من الله به سلامة مولاي التي هي جامعة لعز الدين ، وصلاح كافة المسلمين ، بعد أن صلى من الحرب نيرانها ، فكان أثبت أركانها ، وأصبر أقرانها :

وقفت وما في الموت شك لمواقف
كأنك في جفن الردى وهو نائم

تمر بك الأبطال كلـمى هزيمة
ووجهك وضاح وثغرك باسم

فلله الحمد والابداع والالهام ، وله المنة وعلينا متسابعة الشكر والدوام ، وفازت الكف الكليم ، بأعلى قداح المكـلوم لدى المقام الكريم ، وإنها لـهي التالية للأصـبع الدامية ، في المنزلة العالـية :

بصرت بالراحة العليا فلم ترها
تنال إلا على جسر من التعب

الخطاب الذي بعث به يوسف بن تاشفين الى اشياع المغرب حول معركة الزلاقة (نقلا عن روض القرطاس المنسوب لابن ابي زرع)

« اما بعد حمدا لله تعالى المتكفل بنصر أهل دينه الذي ارتضاه ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد افضل رسله واكرم خلقه واسراه ، فإن العدو الطاغية لعنه الله لما قربنا من حماه وتواقفنا بإزائه ، لقناه الدعوة وخيرناه بين الاسلام والجزية والحرب ، فاخترار الحرب ، فوقع الاتفاق بيننا وبينه على الملاقاة في يوم الاثنين الرابع عشر لرجب ، وقال : الجمعة عيد المسلمين والسبت عيد اليهود وفي عسكرينا منهم خلق كثير ، والأحد عيدنا نحن ، فتفرقنا على ذلك ، واضمر اللعين خـلافا مـما شرطناه ، وعلمنا أنهم أهل خـدع ونقض عهد ، فأخذنا أهبة الحرب لهم ، وجعلنا عليهم العيون ليرفعوا إلينا أحوالهم ، فأتتنا الأنباء في سحر يوم الجمعة (الحادي) الثاني عشر من رجب المذكور بأن العدو قد قصد بجيوشه نحو المسلمين ، يرى أنه قد اغتنم فرصته في ذلك الحين ، فانتدبت إليه أبطال المسلمين وفرسان المجاهدين ، فتعشمته قبل أن يتعشماها وتغدته قبل أن يتغداها ، وانقضت جيوش المسلمين في جيوشهم انقضاض العقاب على عقيرته ، ووثبت عليهم وثوب الأسد على فريسته ، وقصدنا برايتنا السعيدة المنصورة ، في سائر المشاهد المشهورة ، في جيوش لتونة نحو الفنز ، فلمّا أبصر النصارى رايتنا المشتته المنتشرة ، ونظروا إلى مراكبنا المنتظمة المظفرة ، وغشيتهم فروق الصفيح ، واظلتهم سحائب الرماح ، وزلزلت حوافر خيولهم رعود الطبول بذلك الفياح ، التحم النصارى بطاغيتهم الفنز ، وحملوا على المسلمين حملة منكرة ، فتلقاه المرابطون بنية صادقة

خالصة ، وهمم عالية ، فعصفت ريح الحرب ، ووكفت ديم السيوف
والرماح بالطعن والضرب ، وطاحت المهج ، وأقبل سيل الدماء في
هوج ، ونزل من سماء الله على أوليائه النضر العزيز
والفرج ، وولى الفدش مطعوناً في إحدى ركبتيه طعنة أفقدته إحدى
ساقيه في خمسمائة فارس من مائة وثمانين ألف فارس ومائتي ألف
راجل ، قادهم الله إلى المصارع والحتف العاجل ، وتخلص لعنه
الله إلى جبل هنالك ، ونظر النهب والذيران في محلاته من كل
جانب ، وهو من أعلى الجبل ينظرها شزراً ، لم يجد عنها
صبراً ، ولا يستطيع عنها دفاعاً ولا لها نصراً ، فأخذ يدعو بالتبور
والويل ، ويرجو النجاة في ظلام الليل ، وأمير المسلمين بحمد الله قد
ثبت في وسط مراكبه المظفرة ، تحت ظلال بنوده المنتشرة ، منصور
الجهاد مدفوع الأعداء ، يشكر الله تعالى على ما منحه من نيل
السؤال والمراد ، وقد سرح الغارات في محلاتهم تهدم بناءها وتستلم
نخائرها وأسبابها وتريه رأي العين دمارها ونهابها ، والفدش
ينظر إليها نظر المغشى عليه ، ويعض غيضاً واسفاً على أنامل
كفيه ، وحين تمت الهزيمة وتتابع الفرار ، عاد رؤساء الأندلس
المنهزمون نحو بطليوس والغار ، وتراجعوا حذراً من العار ، ولم
يتبت منهم غير زعيم الرؤساء والقواعد ، أبو القاسم المعتمد بن
عباد ، فأتى إلى أمير المسلمين وهو مهيب الجناح ، مريض عناء
وجراح ، فهناه بالفتح الجميل ، والصنع الجليل ، وتسلسل الفدش
تحت الظلام ، فاراً لا يهدأ ولا ينام ، ومات من الخمسمائة فارس
الذين كانوا معه بالطريق أربعمائة ، فلم يدخل طليطلة إلا في مائة
فارس ، والحمد لله على ذلك كثيراً ، وكانت هذه النعمة
العظيمة ، والمنة الجسيمة ، يوم الجمعة الثاني عشر لرجب سنة
تسع وسبعين وأربعمائة.

رسالة يوسف بن تاشفين الى الزيريين في افريقية

سنة ٤٧٩ هـ - ١٠٨٣

حول الجواز الى الأندلس ومعركة الزلاقة (من مخطوط
الاسكوريال رقم ٤٨٨ - ٤٩ و - ٥٣ ظ)

« الحمد لله الذي من علينا بالاسلام ، وفضلنا بمحمد نبيه عليه
السلام ، أحمده حمدا يوجب المزيد من الآله والسبوغ من سرايله
ونعمائه ، كان من قضائه - جل ثناؤه وتقديست أسماؤه - لما أراد
قمع المردة الطغاة من زناتة وغيرهم في بلاد المغرب سبب لنا اليهم
المطلب فقفونا آثارهم وأخلينا منهم ديارهم ، وكذلك نفعل بالقوم
الظالمين ، فقومنا الدين ، ومهدناها للمسلمين ، فصفت لنا
ضمايرهم ، وخلصت الى الله تعالى نياتهم وسرائرهم حتى وصلنا
طنجة الركاب ، واذقنا برغواطة سوم العذاب ، ففتح الله لنا
وبنا ، وهو خير الفاتحين واسرع الحاسبين لآله غيره وهو أرحم
الراحمين .

ولما بلغنا من استحواز النصرارى دمرهم الله - على بلاد
الأندلس ومعاقليها ، وإلزام الجزية لرؤسائها واستئصال
أقاليمها ، وإيطانهم البلاد دارا دارا لا يتخوفون عسكريا يخرج
اليهم ، فيبدد جمعهم ، ويفل حدهم ، وهم مع ذلك كله يقتلون
الشيب والشبان ، ويأسرون النساء والصبيان ، فخطبنا على
الجواز الى الأندلس من جميع الأحواز ، المرة بعد المرة ، والوينا
الأعذار الى وقت الأقدار ، ولم نجد للجواز بابا ، وللدخول البحر
أسبابا ، فانضم لنا منهم الرئيس الأجل المعتمد على الله ، المولى
بنصر الله ، أحسن الله في كل الأمور عونه ، وأقر بكل صالحة عينه -
فعزمتنا على الغزو وجوزنا للعدو أسودا ضارية وسباعا عادية

وشيبا وشباننا ، بسواعد قوية ، وقلوب في سبيل الله نقية ، قد عرفوا الحروب وجربوها ، فهي أهمهم وهم بنوها ، يتلمظون تلمظ الفهود ، ويزارون اليها زئير الأسود ، فشحننا بهم القوارب ، وأوسعناهم على ظهور المراكب ، فخرجنا في مرسى الجزيرة الخضراء من دياره ، وفقه الله ، ففزع الناس من كل أفق اليهم ، ووفدوا من كل قطر اليهم ، متعجبين من هياتهم محققين لزيهم ونغماتهم ، لا يروعههم منهم حاشى الخيل والدرق ، وهم مع ذلك لا ينالون الا بعد جف الريق ومسح العرق ، وقدروا أنهم طعم للسيوف وغرض للحتوف وسعد للأرماح ونهب للأسلح فكل استصغروهم ، والجميع منهم احتقرهم ، وتبلغ الينا اخبارهم وأقوالهم وتنتهي اليها أفعالهم ، ثم أتبعناهم جيشا بعد جيش بخيول كالفحول ، عليها الكهول ، وعدد من كل أمرد ، على أجرد يتسابقون الى اللقاء في الفضاء ، تسابق الحين والقضاء ، ومع هذا كله فان أهل الأندلس مستبشرون بنصرهم على أيدينا وازاحة غيبتهم بسببنا ، وعساكرنا تتزايد ، وجوازنا يتأكد ، وكان آخر من جاز منا ومعنا قطعة من صنهاجة بني عسي ، فعسر البحر حينئذ للجواز ، واضطربت فيه الأمواج ، فاستخرنا الباري تعالى جده ، وعظم اسمه ، إن كان في جوازنا خيرة للمسلمين أن يسهل علينا ، فما استكملت من كلامي حتى سهل الله المركب وقرب المطلب ، فخرجنا من الحين في مرسى الجزيرة الخضراء المذكورة والتأم شعبنا مع من جاز من عساكرنا ، فعملنا على السير ، وكان قد تقدم اليها بالعدوة من قبل الأذفونش أمير النصرارى رسالة يخاطبنا فيها بالجواز اليها اذ عجزنا عنه ، وفرقنا منه - نعطوه - المراكب ونسلموا - اليه الشواني والقوارب ليرد علينا ويقاثلنا في مأمنا ، فلم نلتفت اليه ، ولا عرجنا عليه . ووصلنا أيدينا بالرئيس الأجل المعتمد على الله المؤيد بنصر الله ، واستوثقنا منه غاية استيثاق ، وبنيينا معه على اللحاق بهم ، والورود عليهم ، ونحن في ذلك كله لما نقل اليها ، وورد علينا من رؤساء الأندلس ، مستبطلين سريرة المختبين لابسين كسوة

الصالحين ، وقلوبنا شتى ، حتى لحقنا إشبيلية حضرة عمرت ببقائه ، وقد تجمع له من جنوده أعداد ، ومن حشمه وعبيده وخيله ورجله أجناد ، فصرنا الى مدينة بطليوس ، وأقمنا بها أياما منتظرين لوفد الرؤساء من جميع قطار اللاندلس ، فأخبرنا وصح عذدنا أن كل واحد منهم مشغل مع قطعة كثيرة من النصارى ، قد تغلبوهم على حصونهم ، وأذلوهم في بلادهم وأضعفوهم وشجعوهم على مرادهم ، فحمدنا الله تعالى ، ودعونا بتيسير المراد واستنقاذ العباد ، فجمعنا عساكرنا وسرنا اليه ، وصرنا الى قفل قورية من بلاد المسلمين ، صرفها الله ، فسمع بنا وقصد قصدنا وورد ورودنا ، واحتل بفنائها منتظرا لنا فبعثنا اليه نحضه على الاسلام ، ودخوله في ملة محمد عليه السلام ، أو ضرب الجزية عليه وإسلام ما كان من المال والبيوت لديه ، كما أمرنا الله تعالى وبين لنا في كتابه ، من إعطاء الجزية عن يد وهم صاغرون فأبى وتمرد ، وكفر ونخر وعمل على الاقبال علينا ، وحث في الورود علينا فلحقنا وبيدنا وبينه فراسخ فلما كان بعد ذلك ، برزنا عليه أياما ، فلم يجبنا ، فبقينا وبقوا ، ونحن نخرج الطلائع اليه ، ونتابع الوثوب عليه ، وبيدنا على لقائه يوم الخميس لحدى عشرة ليلة خلت لرجب سنة تسع وسبعين وأربعمائة فلما كان يوم الجمعة ثانية ورد علينا بكتائب قد ملأت الأفاق ، وتقلبت تقلب الحتوف للأحداق قد استلموا الدروع للكفاح ، وربطوا سوقهم الألواح ، وبطونهم ملأى من الخمور يقدر أن الدائرة علينا تدور ، ونحن في أخبيتنا صبيحة اليوم المذكور ، كل مناساه وجميعنا لاه ، فقصد أشدهم شوكة ، وأصلبهم عودا ، وأنجدهم عديدا محلة المعتمد على الله المؤيد بنصر الله وفقه الله ، عماد رؤساء الأندلس وقطبهم لا يقدر أن يسكروا إلا عسكره ، ولا رجالاته إلا رجاله ، ولا عديدا إلا عديده ، وداود من أصحابنا منا الى إزائه ، فهبطوا اليه لفيفا واحدا ، كهبوط السيل ، بسوابق الخيل فلما راهم من كان معه من جنده ومن جميع الطبقات ، الذين كانوا ينخرون من قبله الأموال والضياع ، استكت أذانهم واضطربت

أضلاعهم ودهشت أيديهم ، وزلزلت أقدامهم وطارت
قلوبهم ، وصاروا كركب الحمير ، فروا يطلبون معقلا يعصمهم
ولا عصم إلا الله ، ولا هاربا منه إلا إليه ، فلقوا من بطليوس
بالكرمات ، لما عاينوا من الأمور المعضلات ، وأسلموه - أيده الله
- وحده في طرف الأخبية مع عدد كثير من الرجالة والرماة ، قد
استسلموا للقضاء فوثبوا عليه وثب الأسد على الفرائس ، يعظمون
الكنائس ، فحبسهم حيناً وحده مع من إليه ممن ذكرناه ، وبسطوا
منهم الأرض ، ولم يبق من الكل إلا البعض ولجأ في الأخبية ، بعد
أن عاين المنية ، وتخلصه الله بنيته في المسلمين وبلغ أمنيته ، بعد
أن وقف وقفة بطل مثله ، لا أحد يرد عليه ، ولا فارس من فرسانه
وعبيده يرجع إليه ، لا يروعه أحد منهم فيهزم ، ولا يهاجم فيسأ ثم
قصدت كتيبة سوداء كالجبل العظيم أو الليل البهيم عسكر داود
وأخبيته فجالوا فيها جولاناً ، وقتلوا من الخلق الوانا ، واستشهد
الكل بحمد الله ، وصاروا إلى رضوان الله ، ونحن في ذلك كله
غافلون ، حتى ورد علينا وارد ، وقصد إلينا قاصد ، فخرجنا من
 وراء الشعب ، كقطع الذهب ، بجميع من معنا ، على الخيل المسومة
العراب ، يتسابقن الطعن والضرب ، فلما رأونا ، وقعت أعينهم
علينا ظنوا أن الدائرة فينا ولدينا ، وأنا طعم أسيافهم ، وإلقاء
رماحهم ، فكبرنا وكبر الكل معنا ، مبتهلين لله وحده لاشريك
له ، ونهضنا للمنون الذي لا بد منه ولا مديص لأحد عنه ، وقلنا هذا
آخر يومنا من الدنيا فلنموتوا شهداء ، فحملوا علينا
كالسهام ، فثبتت الله أقدامنا ، وقوى أفئدتنا ، والملائكة
معنا ، والله تعالى ولي النصر لنا ، فولوا هاربين ، وفروا
ذاهلين ، وتساقط أكثرهم بقدر الله تعالى دون طعنة تلحقه ولاضربة
تثخنه ، وأضعف الرعب أيديهم ، فطعنناهم بالسهمرية دون الوخز
بالابر ، وضاق بهم الأرض بما رحبت حتى أن هاربهم لا يرى غير
شي إلا ظنه رجلاً ، وفتكت فيهم السيوف ، على رغم
الأنوف ، فو الله لقد كانت تقع على الدروع فتفريها وعلى البيضات
فتبريها ، وزرقوا الرجالة منا على خيلهم الرماح ، فشكوهم بها

فرمحت بهم ، فما كنت ترى منهم فارسا الا وفرسه واقف على رأسه لا يستطيع الفرار ، الكل يجبر عنانه ، كأنه معقل بعقالة ، ونحن راكبون على الجواد الميمون العربي المصون ، السابق اللاحق المعد للحقائق وما منا الا من له جرابان فيه سيفان وبيدنا الثالث عسى أن يحدث من حادث ، فصاروا في الأرض مجدلين ، موتى معفرين ، وقد تراجع الناس بعد الفرار ، وأمنوا من العثار ، وتضافروا مع عسكرنا وغيرهم ، يقطعون رؤوسهم ، وينقلونها بإزاء المحلات حتى علت كالجبال الراسيات ، عدد لا يقدر ، ومدد لا يحزر ، والتجريد فيهم والأيدي متعاودة لبطونهم ، واستأصلنا أكابرهم ، وحلنا دون أباطيلهم وأمانيتهم ، وما ربك بغافل عما يعمل الظالمون ، وانقطع من عسكرهم نحو الفي رجل أو أقل ، والأنفوذ فيهم على ما أخبرنا ، قد اتخذوا جراحا بإزاء محلاتهم ، يرتادون الظلام للهروب في المقام ، ووالله لقد كان الفرسان والرجالة يدخلون محلتهم ، ويعثرون في أخبيتهم ، وينتهبون أزودتهم ، وهم ينظرون شزرا نظر التيوس الى سفار الجزارين الى ان جن الليل وأرخی سدوله ، ولوا هاربين ، وأسلموا رحايلهم صاغرين ، فكم من دلاص على البقاع ساقطة ، وخيول على النقاغ رائضة . ولقد ارتبط كل فارس منا الخمسة الأفراس أو أزيد ، وأما البغال والحمير فأكثر من ذلك ، وأما الثياب والمتاع فناهيك ، والأسرة بأوطية الحرير ، والثياب والأوبار عدد ليلهم ولا يكون من الانتقال ، ولا يسأمون من تشريط الأموال ، ولحقوا (قورية) ومنها حيث رحلها أم قشعهم فصححنا ضمائرنا ، وأخلصنا للمعتمد على الله نيائنا وسرايرنا ، ورجعنا بجمد الله غانمين منصوريين ولم يستشهد منا الا الفرقة التي قدر الله عليها بذلك ، وقدرنا أن الكل منهم هلك لقلة معرفتهم وجهالتهم بقتال النصارى ، وتراهم للشهادة ، قدس الله أرواحهم ، وكرم مثواهم وضريحهم ، وجعل الجنة ميعادا بيننا وبينهم ، وفقدنا من أكابرنا نحو عشرين رجلا ممن اشتهرت نجدته في المغرب ، وانقلب خير منقلب ، ولحقنا

اشبيلية حضرته عمرت ببقائه ، واقمنا عنده أياما ، ورفعنا عنه مودعين لاتوديع قاطع ، ولايمنعنا منه متى أحب مانع ، ولحقنا الجزيرة الخضراء ، ونحن نريد أشياء أسأل الله تمامها وإنجازها وأن يسهل المراد ويوفقنا للأسداد ، ومتى تنفس منهم متنفس ، أو رجع الى أحدهم نفس ، يذكرون مآلقوا ، ويتذكرون ما بقوا ، و(سندسدرجهم من حيث لايعلمون ، وأملني لهم إن كيدي متين . (٥٦) حتى لايبقى على أديم الأرض منهم حي ، ولايحدس منهم أنس ، والحمد لله رب العالمين على ما قضى وخول وأعطى. وهذا كله منا منه علينا لامنا منا عليه ، وصلى الله على محمد خاتم النبيين وقائد الغر المحجلين الى جنات الله النعيم ، وآله الطيبين وسلام تسليما ، والسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته .

رسالة من يوسف بن تاشفين الى المستعين بالله أحمد ابن يوسف بن هود صاحب الثغر الأعلى

(من الحلال الموشية ص ٧٥)

من أمير المسلمين ، وناصر الدين يوسف بن تاشفين ، إلى المستعين بالله أحمد بن هود ، أدام الله تأييده ، من حضرة مراکش ، حيث آيات شرفك ، ومآثر سلفك ، ونحن نحمد الله بجميع المحامد ، ونستهديه أحسن الموارد ، ونسأله أتم الفوائد ، وأنجح المقاصد ، ونصلي على سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم صفوة أوليائه ، وخاتم أنبيائه ، وأما الذي عندنا - أيك الله - لجانبك الكريم ، وبحرك الطامي ، ومجدك الصميم ، ومهلك المعلوم فود صريح ، وعقد - في ذات الله تعالى - صحيح ، ووردنا نشأة السيادة والنبل والنباهة والفضل ، أبو مروان عبد الملك ، ابنك ولادة وتنسبا ، وابننا ودادا وتقربا ، زاد الله به عينك قررة ، ونفسك مسرة ، ومعه خاصتك الوزيران : أبو الأصمغ ، وأبو عامر ، أكرمهما الله بتقواه ، وكلا وفيناه حق نصابه ، واتيناه بره من بابه ، وأديا إلينا كتابك الجليل الخطير المقبول المبرور ، فوقفنا منه على وجه شخوصهما ، وأصغينا في تفصيل جملته إلى تخليصهما ، فألقينا إليهما مراجعة في ذلك ما لقنوه ، وسفرنا إليهما عن وجه قصدنا فيه حتى استبانوه ، وجملته الوفاق ، وجماعة الانتظام في سلك ما يرضي الله تعالى والاتساق ، إن شاء الله تعالى ، والسلام .

رسالة البابا غريغوار السابع الى صاحب قلعة بني حماد

(عن تاريخ المغرب الدبلوماسي لعبد الهادي التازي
ج ٥ ص ١٩٤ - ١٩٥)

من عند الراهب غريغوار ،خادم عباد الله ،إلى الناصر ملك
موريطانيا من إقليم ستيف بإفريقيا .. تحية وبركة بابوية .

لقد تفضلت فخامتكم بالكتابة إلينا في هذه السنة طالبين منا أن
نرسم كاهنا وذلك حسب القوانين التي تفرضها علينا
المسيحية ،فبادرنا باختيار الأسقف سرفان لأن طلبكم هذا كان
صادبا . وبعثتم لنا في نفس الوقت بهدايا ،كما أنكم احتراما
لبيتر - أمير الرسل - وحبنا لنا قد حررتم الأسرى المسيحيين
ووعدتكم أيضا بالعفو عن الآخرين الذين قد يوجدون عنكم .

إن الله خالق كل شيء والذي بدونه لا نستطيع شيئا ، قد الهمكم
الطيبة وهياكم لهذا العمل النبيل .

إن الله العلي القدير الذي يحب السلام لكل الناس ولا يريد أن
يهلك احدا ، لا شيء أحب إليه تعالى أكثر من حبنا لبعضنا ،بعد حبنا
له سبحانه وكذلك من التمعن في هذا المبدأ : « عامل غيرك بما تحب
أن تعامل به »

فينبغي لنا أن نمارس فضيلة المحبة هذه أكثر من غيرنا من
الشعوب . فنحن جميعا ،على أوجه مختلفة ، نعبد إلها واحدا ، وإننا
كل يوم نسبح بحمده ونجل فيه خالق العصور ورب العالمين .
فعندما أخبرنا شرفاء مدينة روما بالصنيع الذي الهمكم الله إياه ،قد
عجبوا بسمو قلبكم وأذاعوا مدحككم ، وإن اثنين من بينهم هما

اللذان يشاركانا الأكل والشراب عادة ،البيرك وسنسيون ،وقد تربيا معنا في قصر روما منذ كانا في سن المراهقة .

وهما يودان ،بحمية ،أن يربطنا معكم صداقة ومودة ، وسيكونان سعيدين بإرضائكم في هذه البلاد .سيبعثان لكم ببعض رجالهم ليبرهنوا لكم على مدى تقدير اسيادهم لخبرتكم ولعظمتكم وليظهروا لكم رغبتهم في خدمتكم هنا .

وإننا نوصي جلالتكم بهم ونطلب منكم أن تكونوا لهم الحب والوفاء مثل الحب والتفاني الذي سنخصصكم دائما به وبأي أمير يعينكم . إن الله العلي القدير يعلم أن عبادته تلهم الصداقة التي محضناكم بها .

وكم نتمنى لكم السلامة والنصر في هذه الدنيا وفي الآخرة ، وإننا نتوسل إليه تعالى من أعماق قلوبنا أن لا يأخذكم إليه إلا بعد عمر طويل ، إلى صدر ونعيم سيدنا ابراهيم عليه السلام .

رسالة يوسف بن تاشفين الى صاحب قلعة بني حماد يقرعه فيها على تعامله مع البابوية

(من النخيرة لابن يسام ق ٢ ج ٢ ص ٢٥٧)

ورد كتابك الذي أنفذته من وادي منى منصرفك من الوجهة التي
استظهرت عليها بأضدادك ، واجدفت فيها بطارفك وتلادك ، واخفقت
من مطلبك ومرادك ، فوقفنا على معانيه ، وعرفنا المصرح به والمشار
إليه فيه ، ووجدناك تتجنى وتثرب على من لم يستوجب
التثريب ، وتجعل سينك حسنا ، ومنكرك معروفا ، وخطاك صوابا
بيننا ، وتقضي لنفسك بفلج/الخصام ، وتوليها الحجة البالغة في جميع
الأحكام ، ولم تتأول أن وراء كل حجة أدلتها ما يدحضها ، وإزاء كل
دعوى أبرمتها ما ينقضها ، وتلقاء كل شكوى صححتها ما
يموضها ، ولولا استنكاف الجدل ، واجتناب تردد القيل والقال ،
لنصصنا فصول ما يبطله ، ويخجل من ينتحله ، حتى لا يدفع لصحته
دافع ولا ينبو عن قبول أدلته راء ولا سامع ، ولا يختلف اعترافا به
دان ولا شاسع .

وفي فصل منها : وننشدك الله الذي ماتقوم السماء والأرض إلا
بأمره ، ألم نكن عندما نزع الشيطان بينك وبين أبي عبد الله محمد
ابن يوسف رحمه الله ، وتفاقم الشنان ، قد توفرننا على ماكان
بالحال من إقلاق ، وتأخرنا عما كانت النصبية تستقدم من بدار أو
سباق ، ولم نمد الجهة حق إمدادها ولاكثرنا فوق ما كان يلزم من
جماهير اعدادها ولاعدلنا عن جهاد المشركين ، ولا أقبلنا إلا على
مايحوط حرب المسلمين ، رجاء أن يثوب استبصار ، أو يقع
إقصار ، وأنت خلال ذلك تحتفل وتحشد ، وتقوم بحمية وتقعّد ،

وتبرق غضبا وترعد ، وتستدعي نؤبان العرب وصعاليكهم من مبتعد ومقترب ، فتعطيهم ما في خزائنك جزافا ، وتنفق عليهم من كنزه أولئك إسرافا ، وتمنح أهل العشرات مئين وأهل المئين آلافا كل ذلك تعتضد بهم ، وتعتمد على تعصبهم لك وتآلبهم ، وتعتقد أنهم جنتك من المحاذير وحماك دون المقادير ، وتذهل عما في الغيب من أحكام العزيز القدير .

ونحن أثناء ما فعلت ، وخلال ما عقدت وحللت ، نؤم العدو - قصمه الله - فنجبهه ونكافحه ، ونقعه ونناطحه ، ونتحيفه من اقطاره ونغزوه بدءا وتعقيبا في عقر داره إلى أن استجمعت أخيرا واستجشت وتراجعت إلى عرفانك وأجهشت ولولا ماؤك الذي تمدوه ، وشارفوا إلى أن يستنفدوه ، ما أووا لشكواك ، ولزادوك ضغنا على إبالة بلواك ، وإنك لمتداو منهم بسم ، ومستريح إلى غم ، فبلغت معهم ما بلغت ، وأرغت بهم ما أرغت ، واستقبلتنا بما أثبت عن العدو ولقد أخذناه بمخنقه ، واضفنا انشوطة وهق الهزي على عنقه ، واشفى على انقطاع زمانه ورقمه ، ففرجت عنه كربة لم يظنها تنفرج ، ونهجت له منها وجه مخلص لم يحسبه ينتهج ، وأخلت وجهه لأذى المسلمين يبدئه ويعيده وبسطت فيهم يده وكانت في جامعة تقصره عما يريده ، ولو أن صاحب رومة المشتمل معه بعباءه الكفر والشرك المنتحل ما ينتحل من كلمة الزور والافك ، يكون مكانك جوارنا ، ويصاقب كما صاقبت قاصية دارنا ، ما أتى من نصره فوق ما أتيت ولاتولى من انتشاله ، والسعي في استقلاله ، إلا بعض ما توليت ، ولا أنحى على المسلمين من مضاره إلا بدون ما أنحيت ، ولا بغاهم خبالا بأكثر مما بغيت .

وما في تلك الجزيرة - عصمها الله - من صالح ولاطالح إلا ما يعرضك على الله تعالى ويرفع إليه فيك عقيرته بالشكوى ، وكل ما سفك من دم ، وانتك من محرم واستهلك من ذمم ، فأليك مذسوب ، وعليك محسوب ، وفي صحيفتك مکتوب وموعد الجزاء غدا وإنه لقريب فانظر ما أنجح أثرك ، وأربح متجرك ، وأصلح موردك ومصدرك ... » .

عهد من الخليفة العباسي القائم بأمر الله ليوسف بن تاشفين

وهذه نسخة « الرسالة البرنامج » بعد البسملة الشريفة (٥٧) :
هذا ما عهد به عبد الله ووليه ، عبد الله القائم بأمر الله أمير
المؤمنين ، إلى فلان حين انتهى إليه ما هو عليه من ادراع جلابيب
الرشاد ، في الاصدار والاياد . وأتباع سنن من أبدى وأعاد ، فيما
يجمع خير العاجلة والمعاد : والتخصيص من حميد الأنحاء
والمذاهب ، بما يستمد منه أصناف الآلاء والمواهب والتحلي من
السداد الكامل ، بما فاز فيه بامتطاء الغارب من الجمال والكاهل
واتضح ما هو متشبه به من صحة الدين واليقين ، والمواظبة من
اكتساب رضا الله تعالى على ما هو أقوى الظهير والمعين : في ضمن
ما طوى عليه ضلوعه . وأدام لهجه به وولوعه : من موالاة لأمر
المؤمنين يدين لله تعالى بها ، ويرجو النجاة من كل مخوف
بإستحكام سعيها : ومشايعة لدولته ساوى فيهما بين ما أظهر
وأسر ، وأمل في اجتناء ثمرها كل ما أبهج وسر ، فوالاه الصلاة

بأعمال المغرب ، والمعاون ، والأحداث ، والخراج ، والضياح ، والجهذة
والصدقات ، والجوالي ، وسائر وجوه الجبايات ، والعرض ، والعطاء
والنفقة في الأولياء ، والمظالم ، وأسواق الرقيق ، والعيار في دور
الضرب ، والطرز ، والحسبة ، ببلاد كذا وكذا : سكونا الى استقلاله
بأعباء ما استكفاه آياه ، واستقباله النعمة عليه في ذلك بكل ما ينشر
ذكره ويطيب رياه ، وثيقة بكونه للصنيعة أهلا ، وبأفياء الطاعة
الامامية مستظلا ، وتوفره على مايزيده بحضرة أمير المؤمنين حظوة
ترد باع الخطوب عنه قصيرا ، وتمد مقاصده من التوفيق بما يضحى
له في كل حالة نصيرا ، وعلمنا بما في اصطناعه من مصلحة تستنير

أهلتها ، وتستنير من شبه الغي شواهدا وأدلتها ، والله تعالى يصل
مرامي أمير المؤمنين بالأصابة ويعينه على ما يقر كل امرئ في حقه
ويحله نصابه ، ويحسن له الخطرة في كل ما يغدو له ممضيا ، ولطايا
الاجتهاد في فعله منضيا وما توفيق أمير المؤمنين إلا بالله ، عليه
يتوكل واليه يذنب .

وامره باعتماد تقوى الله تعالى في الاعلان والاسرار ، وباعتقاد
الواجب من الازعان بفضلها والاقرار ، وأن يأوي منها إلى امنع
المعاقل وأحصنها ، ويلوي عنان الهدى فيها إلى أجمل المقاصد
وأحسنها ، ويجعلها عمدته يوم تعدم الأنصار ، وتشخص
الابصار ، ليجتني من ثمرها ما يقيه مصارع الخجل ، ويجتلي من
مطالعها ما يؤمنه من طوارق الوجل ، ويرد بها من رضا الله تعالى
أصفى المشارب ويجد فيها من ضوال المنى أنفاس المواهب ، فإنها
أبقى الزاد ، وأدعى في كل أمر إلى وري الزناد ، وقد خص الله بها
المؤمنين من عباده ، وحض منها على ما هو أفضل عدة المرء
وعتاده ، فقال تعالى : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا
تموتن إلا وأنتم مسلمون) (٥٨) .

وامره أن يأتي بكتاب الله تعالى مستضيئا بمصباحه ، مسضيا
لسلطان الغي بالوقوف عند محظوره ومباحه ، ويقصد الاستبصار
بمواظبه وحكمه والاستدرار لصوب التوفيق في الرجوع إلى متقنه
ومحكمه ، ويجعله أميرا على هواه مطاعا وسميرا لا يرى أن يكشف
عنه قناعا ، دليلا إلى النجاة من كل ما يخاف إثماته وسببها إلى
الفوز في اليوم الذي يسفر عن فصل الحساب لإثامه ، ويتحقق موقع
الحظ في إدامة درسه ، وصلة يومه في التأمل باسمه ، فإنه يبدي
طريق الرشيد لكل مبدئ في العمل به معيد : (وإنه لكتاب عزيز لا
يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد) (٥٩)
وامره أن يحافظ على الصلوات قائما بشروطها
وحودها ، وشائنا بروق التوفيق في أداء فروضها
وحقوقها ، ومسارعا إليها في أوقاتها بنية عانقة مناهل الكدر

والرنق ، عارفة بما في إخلاصها من نصره الهدى وطاعة الحق ، وموفرا عليها من ذهنه ، ما الحظ كامن في طيه وضمينه ، وموفيا لها من الركوع والسجود ، ما الرشاد فيه صادق الدلائل والشهود ، متجنباً أن يلهيه عنها من هواجس الأفكار ووساوس القلب العون منها والابكار ، وما يقف فيه موقف المقصر الغالط ، وينزل فيه منزلة الجاحد للنعم الغامط ، وقد أمر الله تعالى بها وفرضها على المؤمنين وأوجبها وحث من إقامتها ، على المساجد ما يفضي إلى صلاح المقاصد واستقامتها ، فقال عز من قائل : (فأقيموا الصلاة إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً) (٦٠) .

وأمره بالسعي في أيام الجمع إلى المساجد الجامعة ، وفي الأعياد إلى المصليات الضاحية ، بعد أن يتقدم في عمارتها ، وإعداد الكسوة لها ، بما يؤدي إلى كمال حلاها ، ويحظى من حسن الذكر بأعذب الموارد وأحلاها ، ويوعز بالاستكثار من المكبرين فيها والقوام ، وترتيب المصاييح العائدة على شمل جمالها بالاتساق والانتظام ، فإنها بيوت الله تعالى التي تتلى بها آياته ، وتعلو فيها أعلام الشرع وراياتـه . وأن يقيم الدعوة على منابرـها لأمير المؤمنين ، أدام الله تعالى به الامتاع ، وأحسن عن سباحته الدفاع ، ثم لنفسه جارياً في ذلك على ما ألف من مثله ، وسالكاً منه أقوم مسالك الاهتداء وسبله ، وقد بين الله تعالى ما في عمارتها من دلائل الايمان ، والفوز بما يعطي من سخط الله تعالى أوثق الأمان في قوله سبحانه : (إنما يعمر مساجد الله من آمن بالله واليوم الآخر وأقام الصلاة وآتى الزكاة ولم يخش إلا الله فعسى أولئك أن يكونوا من المهتدين) (٦١) وقال في الحث على السعي إلى الجوامع التي يذكر فيها اسمه ، ويظهر عليها منار الاسلام ورسمه (يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله) (٦٢) .

وأمره أن يعتمد في إخراج الزكاة ما أمر الله تعالى به ، وهدى منه ارشاد فعل وأصوبه ، ويقوم بذلك القيام الذي يحيط به بجميل

الذكر ، وجزيل الأجر ، ويشهد بزكاء المغرس وطيب النجر ، ويقصد في أداء الواجب منه ما يصل أمسه في التوفيق بيومه ، ويطلق الألسنة بحمده ويكفها عن لومه ، متجنباً من إخلال بما نص عليه في هذا الباب ، أو إهمال فيه لما يليق بذوي الديانة وأولي الألباب ، ومتوخياً في المسارعة إليه ما يتطهر به من الأدناس ، ويتوفر به حسن الأحدثه عنه بين الناس ، فقد جعل الله تعالى الزكاة من الفروض التي لا سبيل إلى المحيد عنها ، ولا دليل في الفوز أوفى منها ، وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم بأخذها من آمنه ، وأبان عن كونها مما يجتنى كل مرغوب فيه من ثمرته ، ووصل له في ذلك بما يوجب فضل المسابقة إلى قبوله : لما فيه من الحظ الكامل في استنارة غرره وحجولة ، في قوله سبحانه : (خذ من أموالهم صدقة تكفيهم بها وصل عليهم إن صلاتك سكن لهم والله سميع عليم) (٦٣) .

وأمره أن يهذب من الدنس خلاله ، ويصل بأقواله في الخير أفعاله ، ويمتنع من تلبية داعي الهوى المضل ، ويتبع سنن المتقي بالهدى المستظل ، ويقبض يده عن كل محرم توثق أشراكه وتوبق غوائله ، وتؤذن بسوء المنقلب شواهد ودلائله ، ويجعل له من نهاره رقيباً على نفسه يصونها عن مراتع الغي ومطارحه ، وأميناً يصد عن مسارب الآثم ومسارحه ، فإنها لا تزال أماراً بالسوء إن لم تعد إلى جدد الرشيد ، وتقم لها سوق من الوعظ فيها أقصى الغاية والأمر فالسعيد من أضحى لها عند سورة الغضب وأزعا ، وأنحى عليها بلوم يغدو معه عن كل ما يسخط الله تعالى نازعا ، وأن يتنزه عن النهي لما هوله مرتكب والأمر بما هو له مجتذب إذ كان ذلك بالهجنة خالياً وبين المرء وبين مقاصد هديه حائلاً ، قال الله تعالى : (اتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون) (٦٤) .

وأمر أن يضفي على من قبله من أولياء أمير المؤمنين وجنوده ، أصناف جلابيب الاحسان وبروده ، ويخصهم من جزيل

حباؤه بما يصلون منه إلى أبعد المدى ويملكون به نواصي الآمال ويدركون قواصي المنى ، ويميز من أدى واجبه في الطاعة وفرضه وأبدى صفحته في الغناء بين يديه بمزيد من الاشتغال يرهق بصيرة كل منهم في التوفر في ما وافقه ، ووصل بأنفه في التقرب إليه سابقه ، ويدعو المقصر إلى الاستبصار في اعتماد ما يلحق فيه رتبة من فازت في الحظوة قداحه ، وفاتت الوصف غرره في الزلفة وأوضاحه ، ليمرح به في الاغذاء بلبان النعمة ، كما انتهج بها مسترشدا ، وطالبا ضوال الرأي الثاقب ومشددا وقد بين الله فضل المشورة التي جعلها لقاحا ، وفي حنادس الشكوك مصباحا ، حيث أمر رسوله صلى الله عليه وسلم بها ، وبعثه منها على أسد الأفعال وأصوبها ، فقال تعالى : (وشاورهم في الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله) (٦٥) .

وأمره أن يعدل في الرعايا قله ، ويحلهم من الأمن هضابه وقلله ، ويمنحهم من الاشتغال ، ما يحمي به أمورهم من الاختلال ، ويحوي به طيب الذكر بحسب ما اكتسب من رضى الأنحاء والخلال ، ويضفي على المسلم منهم والمعاهد من ظل رعايته ما يساوي فيه بين القوي والضعيف ، ويلحق التليد منهم بالطريف : ليكون الكل وادعين في كنف الصون ، راجعين إلى الله تعالى في إمدادهم بالتوفيق وحسن الطاعة والعون . وأن ينظر في مظالمهم نظرا ينصر الحق فيه ، وينشر علم العدل في مطاويه ، وينصف معه بعضهم من بعض ، وينصب به بهم من اهتمامه أسنى قسم وحظ ، ملينا لهم في ذلك جانبه ، ومبين ما يظل به كاسب الأجر وجالبه ، ويزيل عنهم ما شرعه ظلمة الغلمان بتلك الأعمال . ويبدل من تلك الحال باستئناف ما يوطنهم كواهل الآمال ، جامعا لهم بين الدليل والبرهان ، قال الله تعالى : (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون) (٦٦) .

وأمره بأن يكون بالمعروف أمرا ، وعن المنكر زاجرا ، والله تعالى

في إحياء الحق وإماتة الباطل متاجرا . وأن يشد من الساعين في ذلك والداعين إليه ، ويعد القيام بهذه الحال من أفضل ما يتقرب به الى الله تعالى يوم العرض عليه . ويتقدم بتعطيل ما في أعماله من المواخير وبحضها ، وإزالة آثارها ومحوها ، فإنها مواطن بالمخازي أهله ، ومن مشارب المعاصي ناهله ، وقد أسست على غير التقوى مبادئها ، وأخلت من كل ما يرضي الله تعالى مغانيها ، وقد أبان الله تعالى عن فضل الطائفة التي ظلت بالمعروف أمرة وعن المذكر ناهية ، وضنت بما ترى فيه عن مقاصد الخير ذاهلة لاهية ، فقال : (كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله) (٦٧) .

وأمره أن يرتب لحماية الطرقات من يجمع الى الصرامة والشهامة ، سلوك محاج الرشاد والاستقامة ، ويجعل التعفف عن زميم المراتع شاهدا بتوفيق الله إياه ، وعائدا عليه بما تحمد مغبته وعقباه ، ويأمر بحفظ السابلية ، واختصاصهم بالحراسة السابغة الشاملة ، وحماية القوافل واردة وصادرة ، واعتمادها بما تغدو به الى السلامة مفضية صائرة : لتحرس الدماء مما يبيحها

ويريقها ، والأموال مما يقصد فيه سبيل الاضاعة وطريقها وأن يخوفهم نتائج التقصير ، ويعرفهم مناهج التبصير ، وأن عليهم رقباء يلاحظون أمورهم ويوضحونها : ليكون ذلك داعيا الى التحوط والتحرز ، واعتماد الميل الى جانب الصحة والتحيز . ويوجب لهم من بعد ما يكفي أمثالهم مثله ، وكيف أيديهم عن الامتداد الى ماتزم سبيله فإن أخل أحدهم بما حد له ، أو مزج بالسوء عمله جزاه بحسب ذلك وموجبه . قال الله تعالى : (من يعمل سوءا يجز به) (٦٨) وأمره أن يتقدم الى نوابه في الأعمال بوضع الرصد على من يجتاز بها من العبيد الأباقي والاستظهار عليهم بحسب العدل والاستحقاق ، واستعلام أماكنهم التي فصلوا عنها ، ومواطنهم التي بعدوا منها ، فإذا وضحت أحوالهم وبيانت ، وانحسمت الشكوك في بابهم وزالت ، أعادوهم الى مواليتهم أبوا أم شاءوا . وأن يقصدوا انشاد الضوال ، ويجتهدوا من

اظهار امرها بما يغدو جمال الذكر به في الظلال ، ويتجنبوا ان يمتطوا ظهورها بحال ، او يمدوا ايديهم الى منافعها في اسرار وإعلان ، حتى اذا حضر أربابها سلمت اليهم بالنعوت والأوصاف ، وأجري الأمر في ذلك على ما يضحى به علم العدل عالي المنار حالي الأعطاف ، فقد أمر الله تعالى بأداء الأمانات الى أهلها وهدى من ذلك الى أوضح محاج الصحة وسبلها فقال : (إن الله يأمركم ان تؤدوا الأمانات الى أهلها واذا حكمتكم بين الناس أن تحكموا بالعدل) (٦٩) .

وامره ان يختار للنظر في المعاون والأجلاّب من يرجع الى دين يحميه من مهاوي الزلل والصلف ، عن مد اليد الى أسباب المطامع ، وكلف بما تعود على ما كلف إياه بصلاح مشرق المطالع : ومعرفة بما وكل اليه كافية وافية ، ولما يوجب الاستزادة له ما حية نافية : ويوعز اليهم بالتشمير في طلب الذعار ، من جميع الأماكن والأقطار ، وحسب مواد العار في بابهم والمضار ، وأن يمشوا فيهم حكم الله بحسب مقاصدهم في الضلال ، وتجري أمورهم على قانون الشرع المنير في حنادس الظلام ، ممتنعين ان يراقبوا من لم يراقب الله تعالى في فعله ، ويجانبوا الصواب بقبول الشفاعة فيمن شهدت آثاره بزميم سبيله : وإذا وقع الظفر بجان قد كشف في الغي قناعه ، وأظهرت مساعيه إبادة من إجابة داعي الرشد وامتناعه ، أقيم حد الله تعالى فيه من غير تعد للواجب ، ولاتعر من ملابس السالكين للجدد اللاحب (ومن يتعد حدود الله فأولئك هم الظالمون) (٧٠) .

وامره ان يوعز الى اصحاب المعاون بأن يشدوا من القضاة والحكام ، ويجدوا في إجراء أمورهم على أوفى شروط الضبط والاقدام ، ويأمرهم بحضور مجالسهم لتنفيذ أحكامهم وإمضائها ، والمسارة الى حث مطايا التشمير في ذلك وانضائها ، والتصرف على أمثلتهم في إحضار الخصوم اذا امتنعوا ، وسوقهم الى الواجب اذا زاغوا عنه وانحرفوا ، وان يتقدم بإمداد عمال الخراج بما يؤدي الى قوة أيديهم في استيفاء مال الفيء واجتباؤه ، واعتماد ما

ينصر الحقوق في مطاويه واثنائه ، اذ كان في ذلك من الصلاح الجامع وكف المضار وحسم المطامع ، ما المعونة عليه واجبة ، وللتوفيق مقارنة مصاحبة ، قال الله تعالى : (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان واتقوا الله ان الله شديد العقاب) (٧١) وامره بعرض من تضمنه الحبوس من اهل الجرائم والجرائر ، وتأمل احوالهم في الموارد والمصادر والرجوع الى متولي الشرطة في ذكر صورة كل منهم والسبب في حبسه والتعيين من ذلك على ما يعرف به صحة الامر من لبسه ، فمن الفسي منهم للذنوب الفا ، وعن سنن الصواب منحرفا ، ترك بحاله ، وكف بإطالة اعتقاله عن مجاله في ميادين ضلاله ، وان وجد منهم من وجب عليه الحد ، أقيم فيه بحسب ما يقتضي الحق ، ومن اعترضت في بابه شبهة تجوز اسقاط الحد عنه ودرأه ، اعتمد الحاقه في ذلك بمن اتصل اليه صوب الاحسان ودره، ومن لم يكن له جرم وتظهر صحة شاهده ودليله ، قدم الامر في إطلاقه وتخليه سبيله ، وان غدا لأحدهم سعي في الفساد واضح وبان ، وغوى به في محاربة الحق وخان قوبل بما امر الله تعالى به في كتابه حيث يقول : (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فسادا ان يقتلوا او يصلبوا او تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف او ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) (٧٢) .

وامره باختيار المرتب للعرض والعطاء ، والنفقة في الاولياء من ذوي المعرفة والبصيرة ، والمشهورين في العفة بتساوي العلانية والسريرة ، ومن تحلى بالأمانة جيدة ، واعتضد بطريقه في الرشاد تليده وكان بما يسند اليه قيما ، وفي الكفاية ثاويا مخيما وإن يتقدم اليه بضبط حلى الرجال وشيات الخيول ، وان يقصد في كل وقت من تجديد العرض ما يشهد بالاحتياط السابغ الأهداب والذبول ، فإذا وضع وجه الاطلاق ، وسلم مال الاستحقاق ، كانت التعرفة على قدر المنازل في التقديم والتأخير ، وبحسب الجرائد التي تدل على الصغير من ذلك والكبير ، ومتى طرق أحدهم ماهو محتوم على خلقه ، أعاد على بيت المال من رزقه بقدر قسطه وحقه ، وان يلزمهم

إحضار جياد الخيول وخيار الشكك ، ويأخذهم من ذلك بأوضح ما نهج المرء الطريق فيه وسلك. فإن أخل أحدهم بما يلزمه البروز فيه يوم العرض ، أو قصر في القيام بالواجب عليه الفرض ، حاسبه بذلك من الثابت باسمه ، والمطلق برسمه ، تنبيهها له على تلافي الفارط ، وتبصيرا في البعد عن مقام المخطي الغالط ، اذ كان في قوتهم وكمال عدتهم ارهاب الأعداء والأضداد والأمداد ، قال الله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم) (٧٣) .

وأمره باختيار عمال الخراج ، والضيايع ، والأعشار ، والجهيذة والصدقات ، والجوالي وأن يكونوا محتضنين من الأمانة والكفاية بما يقع الاشتراك في علمه ، ومتفحصين من ملابس العفة ما تحمد العواقب في ضمنه ، ومتميزين بما يغنيهم عن الأفكار بنتائج الاتعاظ والاعتبار ، ويغريهم بالاستمرار على السنن المنجى لهم من مواقف التنصل والاعتذار . وإن يأمر عمال الخراج بجباية الأموال ، على أجمل الوجوه والأحوال ، سالكين في ذلك جددا وسطا ، يحمي من مقام من ضعف في الاستخراج أوسطا ، و(إن يتقدم) الى الناظرين في الضيايع بتوفية العمارة حقها والزراعة حدها ، والتوفير من حفظ الغلات الحاصلة على ما يقتضي فيه أرشد المذاهب وأسدها ، متحرزين من أمر ينسبون فيه الى العجز والخيانة ، فكل من الحاليين مجز في وضوح أدلة الفساد ومخز ، والى الجهابذة بقصد الصحة في القبض والتقبيض وحفظ النقد ومن التدليس والتلبيس ، أداء للأمانة في ذلك ، واهتداء فيه الى اقوم المسالك ، والى سعاة الصدقات بأخذ الفرائض من مواشي المسلمين السائمة دون العاملة والجزى في ذلك على السنة الكاسبة للمحمدة الوافية الكاملة ، متجنبين من أخذ فحل الابل وأكولة الراعي ، وعقائل الأموال المحظورة على سائر الأسباب والدواعي ، فإذا استوفيت على المحدود من حقها ، أخرجت في المنصوص عليه من وجهها وسبلها ، والى جباة جماجم أهل الذمة بأخذ الجزية منهم في كل سنة ، على قدرات ذات ايديهم في الضيق

والسعة ، وبحسب العادة المألوفة المتبعة ، ممتنعين من مطالبة
الذسوان ومن لم يبلغ الحلم من الرجال ومن علت سننه على
الاكتساب وتبتل من الرهبان ، ومن غدا فقره واضح الدليل والبرهان ،
وفاء بالعهد المسؤول ، وتلقيا لأمر الله تعالى بالقبول حيث يقول :
وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسؤولاً (٧٤) .

وأمره أن يرد أمر المظالم وأسواق الرقيق ودور الضرب والطرز
والحسبة الى من عضد بالظلف الورع ، وانتظم له شمل الهدى
واجتمع : فكان ذا معرفة بما يحرم ويحل ، وبصيرة يتفيا بها من
عوارض الشبه ويستظل ، وأن يكون النظر في ذلك مضاهيا للحكم
ملائما ، ولن يقوم به الا من لا يرى عاذلا له في فعله لائما . وأن
يتقدم الى من يلي المظالم بتسهيل الانزول للخصوم في الدخول
عليه ، وتمكين كل منهم من استيفاء الحجة بين يديه ، والتوصل
الى فصل ما بينهم بحسب ما يقود الحق اليه ، وأن يقصد فيما وقع
الخلف معهم فيه ، والكشف الذي يقوم به ويستوفيه ، فان وضع له
الحق أنفذه وقطع به ، والا ردهم الى مجالس القضاء لامضاء ذلك
على مقتضى الشرع وموجبه والى المرتبين في أسواق الرقيق بالتحفظ
فيما يبتاع ويبيع ، وأن يستعمل في ذلك الاقتفاء لاسنن الجميل
والاتباع : ليؤمن اختلاط الحر بالعبد ، وتحرس الانساب من القدح
والفروج من الغضب ، في ضمن حفظ الأموال ، والمنع من مزج
الحرام بالحلال ، والى ولاية العيار بتصفية عين الدرهم والدينار
من الغش والاذغال ، وصون السكك من تداول الأيدي الغريبة لها
بحال من الأحوال متحذرين من الاغترار بما ربما وضغ الفساد
فيه عند الاعتبار ، ومانعين التجار المخصوصين بالايثار من كل قول
مخالف للايثار في الصحة والمراد ، ومعتدين اجراء الأمر فيما يطبع
على القانون بمدينة السلام ، من غير خلاف لمستقر القاعدة في ذلك
ومتسق النظام ، وأن يثبت ذكر أمير المؤمنين ، وولى عهده في المسلمين
على ما يضرب من الصنفين معا ، والمسارعة في ذلك الى الافضل
مابادر اليه المرء وسعى ، والى المستخدمين في الطرز بملاحظة احوال

المناسج والأشراف عليها ، وأخذ الصناعات بالتجويد على العادة التي يجب الانتهاء إليها ، وأثبت اسم أمير المؤمنين على ما ينسج من الكسما والفروشن والأعلام والبنود ، جريا في ذلك على السنن المرضي والمنهاج المحمود والى من يراعي الحسبة الشريفة بالكشف عن أحوال العوام في الأسواق ، والانتهاء في ذلك الى ما ينتهي به من شمل الصلاح الى الانتظام والاتساق ، وان يتقدم اليهم بما يوجب من تعيير ما يختص بهم من المكاييل والموازين ، وحملها على قانون الصحة الواضحة الدلائل والبراهين ، وان يقصد تبصيرهم مواضع الحظ في الاستقالة ، ويحذرهم مواقع الانتقام الذي لاتنفذ فيه أسباب الاستصفاح والاستقالة ، فان عرف من أحد منهم اقداما على ادغال فيما يزن أو يكيل ، قوبل من التأديب بما هو الطريق الى ارتداعه والسبيل ، قال الله تعالى : (ويل للمطففين الذين اذا اکتالوا على الناس يستوفون واذا كالوهم أو وزنوهم يخسرون) (٧٥) .

وامره ان يعرف قدر النعمة التي ضفت عليه برودها ، وحلت جيدة عقودها ، وزفت منه الى اوفى اكفائها ، وحفت بجزيل القسم من جميع اكفافها وارجائها ، وان يقابلها بالاخلاص في الطاعة يساوي فيه بين ما يبدي ويسر ، وسعي في الخدمة يوفي على كل مجاز ومبرر ، ويبدا امام مايتوخاه بأخذ البيعة لأمير المؤمنين وولى عهده على نفسه وولده ، وكافة الأجناد والرعايا في بلده ، عن نية صفت من الكدر والقذى ووفت للتوفيق بما ضمننت من خذلان البغي ونصرة الهدى ، ويتبع ذلك بالحقوق في كل خدمة ترضى ، والوقوف عند الأوامر الامامية في كل مايؤدي الى الوفاق ويفضي ، وان يحمل الى حضرة أمير المؤمنين من الفسي والغنائم ما أوجبته الله تعالى وفرضه ، من غير تأخير لما يجب تقديمه من ذلك ولا تقصير منه فيما يقتضي التلافي والاستدراك : ليأمر أمير المؤمنين بصرفه في سبيله المشار اليها ، ووجوه المنصوص عليها ، قال الله تعالى : (واعلموا انما غنمتم من شيء فإن لله خمسة وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) (٧٦) .

ثم إن أمير المؤمنين أثر أن يضاعف له من الاحسان ، ما يقتضيه مقال له من وجيه الرتبة والمكان ، وشرفه بما يرفل من حلاه في حلل الجمال ، وتكفل له علاه ببلوغ منتهى الآمال ؛ وأبواه بما اولاه محلا تقصر عن الوصول إليه الأقدام ، وتعجز عن حل عراه الأيام ، ولقبه بكذا ، واذن له في تكذيبه عن حضرته ، وتأهيله من ذلك لما يتجاوز قدر أمنيته ؛ إنافة به على من هو في مساجلته من الاقران طالع ، وإضافة للنعمة في ذاك إلى ما أقترن بها فيما هو لشملة الفخر عنده جامع ، وأنفذ لواء يلوي به الى الطاعة ابسي الاعناق ، ويحوي به من العز ما انواره وافية الاشراق .

فتلق يافلان هذه الصنيعة الغراء ، والمنحة التي اكسبت زنادك الايراء ؛ بالاستبشار التام ، والاعتراف فيها بسايب الطول والانعام ؛ وأشع ذكر ذلك عند كل أحد ، وأنته في الابانة عنه إلى ابعد امد ؛ واعتمد مكاتبة حضرة أمير المؤمنين متسميا ، ومن عداه متلقبا متذكيا ؛ وتوفر على شكر تستدر به صوب المزيد ، وتستحق به إلحاق الطريف من الاحسان بالتلبد ، والله تعالى يقول : (لئن شكرتم لأزيدنكم) (٧٧) .

هذا عهد أمير المؤمنين إليك ، والحجة لك وعليك ؛ قد أوضح لك (فيه) الصواب ، وأذل به الجوامح الصعاب ؛ وحباك منه بموهبة كفيلة بخيري البدء والمعاد ، وفيه فيها المنى بسابق الضمان والميعاد ؛ وضمنه من مواعظه ما هدى به الى كل ما الجني ثمره ، وغدا محظيا بما تروق اوضاحه في المجد وغرره ؛ ولم يالك فيه تجملا يكسبك الفخر النامي ، ويجعل ذكرك زينة المحفل والنادي ؛ وتقديما ينيء عما خصصت به من المنح المشرقة اللالي ، واکراما يبقى صيته على تقضي الايام والليالي ، وتبصيرا يقي من فلتات القول والعمل ويرتقي المستضيء بانواره الى نرى الامن من دواعي العثار والزلل ، فاصغ الى ما حواه ، اصغاء الفائز بأوفى الحظ ، وتدبر فحواه ، الناطق بفضل الحث على الهدى والحض ، وكن لأوامر أمير المؤمنين فيه محتذيا ، ومن تجاوز محدوده في مطاويه

محتميا ، وبمواظبه الصادقة معتبرا وفي العمل بما قارن الحق
مستبصرا ، تفز بالغنم الاكبر وبالسلامة في المورد والمصدر ، واياك
واعتماد ما تزم فيه مكاسبك ، فان لك بين يدي الله تعالى موقفا
يناقشك فيه ويحاسبك .

واعلم ان امير المؤمنين قد قللك جسيما وخولك جزيلا عظيما ،
فلا تنسى نصيبك من الله تعالى غدا ، ولا تجعل لسلطان الهوى
المضلل عليك يدا ، وان خفي عليك الصواب في بعض ما انت
بصدده ، او اعترض فيه من الشبه ما يحول بينك وبين طريق الرشاد
وجده ؛ فطالع حضرة امير المؤمنين به ، واستنجد الله في ذلك بأسد
رأي و أصو به ، يبدلك من الشك يقينا ، ويبد لك ما يغدو لكل خير
ضمينا ؛ ان شاء الله تعالى .

نص المذكرة التي رفعها ابن العربي الى الخليفة
المستظهر بالله العباسي (٤٨٧ - ٥١٢ هـ / ١٠١٤ -
١١١٨ م) يلتمس تقليدا خلافا ليوסף بن تاشفين ،
والرد الخلافي مع رد الوزير ابن جهير (٧٨)

الخادم بالأدعية ، تقبلها الله ، ابن العربي الأندلسي .
بسم الله الرحمن الرحيم عليه توكلني :

أسعد الله الدنيا وأهلها بدوام انوار المواقف المقدسة النبوية
الامامية المستظهرية ، وضاعف مددها ولاأرى المسلمين أمدّها
بغرائب مجد تبدها حوادث أيام تذلّ صعابها ، ومستأنف سعاد
تحرس جنابها ، ولا زالت الأيام التي هي لأيامها غرر ، وفي إكليل
الخلافة درر للدهر تمانم ، وفي المحل غنائم ، والحمد لله الذي جعل
للمواقف المقدسة النبوية الامامية المستظهرية شرائط
السواد ، وخصمها بالمجد المؤثل المطول بالانتساب ، كابرا عن كابر
الى أعلى خندف فهي أعلاها عمادا ، وأوراها في مواقف الفضل
زنادا ، أورمة الرسالة ، وجرثومة الخلافة ، اليها ينزع
هاشم ، وعنها أخذت المكارم ، مفاخر شهد لها الكتاب
المنزل ، وعهد بتخليدها مخبرا عن الوحي في اله وعقبه النبي
المرسل قد أمنت بعصمة الله من الغير ، وتحققت أواخرها على سنن
أولها في هداية البشر بحسن السير ، أوزعنا الله الشكر على مامن
به من توفيقنا للتمسك بعراها الوثيقة ، والاهتداء بهداها الى
واضح الطريقة ، فهم في الدين أمتنا ويوم الدين وسيلتنا ، استعملنا
الله من طاعته وطاعتهم بما يؤدي الى مرضاته ومرضاتهم ، انه
الموفق الهادي لأرب غيره .

وإن الخادم بالأدعية المتقبلة للمواقف المقدسة النبوية الامامية المستظهرية ، الهمة الله منها لما يسمع فيرفع بمنه لما علم بموجب الشرع ان بيعة الامام العادل من أركان الديانة ، ومما يتعين ما يحتمل من رعاية الأمانة هاجر الى ذلك بنفسه وبابنه المسترق القن من أقصى المغرب ، معتقدا أن عمله فضل القرب والרגائب ، واحتمل برد الهواء وظمأ الهواجر ، واقتحم دون ذلك مسالك بلغت فيها القلوب الحناجر ، ولم يثنه بحر يزخر ولا فقر يذعر ، يحتسب في ذلك أثره ، ويرجو أن يقلل الله يوم الجزاء عثره ، الى أن انتهى هو وابنه الى مدينة السلام ، لازالت محروسة من غير عاصمة لمن التجأ اليه من مهتضمي الأنام .

ولم يزل الخادم بالأدعية المتقبلة بحول الله يتوسل بهجرته ، ويتقرب بخلوص علانيته ، ويسأل تشریف رقاعه ، بملاحظتها ، والنظر من انقطاعه رغبة في الحظ الجسيم ، الى ان وصل الى المجلس السامي ، وخدم البساط العالي ، زاده الله تشريفا وتعظيما ، وأنهى أغراض وفادته ومقاصد ارادته ، فنفذت الأوامر الشريفة ادام الله سموها وتشریفها واضفى على الجميع ستر سلطانها وكنف احسانها بقبول وسائله والحاح مطالبه ، وافاضة الاحسان عليه .

ولما بسط له في الأمل ، كان هو وابنه في محل الكرامة والجدل ، بدأ بعرض ما هو عليه ناصر الدين ، وجامع كلمة المسلمين ، القائم بدعوة مولانا امير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين ، الأمير أبو يعقوب يوسف بن تاشفين المتحرك بالجهاد ، المتجهز الى المسلمين باستئصال فئة العناد ، ولمة الفساد ، قام بدعوة الامامة العباسية والناس اشياح وقد غلب عليهم قوم دعوا الى انفسهم ليسوا من الرهط الكريم ، ولا من شعبة الطاهر الصميم ، فذبه جميع من كان في أفق قيامه بالدعوة الامامية العباسية ، وقا تل من توقف عنها منذ أربعين عاما الى ان صار جميع من في جهة المغرب على سمعتها وامتدادها له

طاعة ، واجتمعت بحمد الله على دعوته الموفقة الجماعة ، فيخطب الآن للخلافة ، بسط الله أنوارها ، وأعلى منارها على أكثر من ألفي منبر وخمسمائة منبر ، فإن طاعته ، ضاعفها الله من أول بلاد الله الأفرنج ، استأصل الله شأفتهم ، ودمر جملتهم إلى آخر بلاد السوس مما يلي بلاد الله غانة وهي بلاد معادن الذهب ، والمسافة بين الحدين المذكورين مسيرة خمسة أشهر ، وله وقائع في جميع أصناف الشرك من الأفرنج وغيرهم قد قللت غربتهم وقللت حزبهم وألقت جموعه حروبهم ، وهو مستمر على مجاهدتهم ، ومضايقتهم في كل أفق وعلى كل الطرق وقد استرجع كثيرا من المعازل التي استباحها الروم من أمور المسلمين وسببت أهلها قبل حصول تلك الجهات في حكم سلطانه وكانت تغور المسلمين بها مستضامة ، وقد أعادها جده بحمد الله إلى أولها ، واحترمت لحرمة المسلمين والإسلام ، وعز سلطانه ، وهذا دأبه وهجيره الذي لا عمل له سواه .

وعدة جيوشه إذا جمعها لحركته ستون ألف فارس ، وكان أمله مواصلة حماية دين المسلمين ، وإقباله على مجاهدة المشركين ، إلا أن الحائل المانع دون ذلك لاتفاقه ، ولم يزل محافظا على ما هو عليه من إقامة الدعوة السعيدة ، الاعتراف بجمل النعم الوافدة العديدة بفضل الله . ولقد وصل إلى ديار المشرق في هذا العام قاض من قضاة المغرب يعرف بابن القاسم ، وذكر من حال هذا الأمير ما يؤكد ما ذكرته ، ويؤيد ما شرحتة ، وأشاع القاضي المذكور ذلك بمكة ، وصل الله تشریفها وتعظيمها ، وذكر لي أن الروم على شفا جرف من تضيقه عليهم ، وحصاره لهم ، وقد تكرر اعلام الخادم بذلك لما تلزمه من طاعة أولي الأمر لاسيما هذا الأمير ، وقد خص بفضائل منها الدين المتين ، والعدل المستتبين ، وطاعة الامام ، وابتدأ جهاده بالمحاربة على اظهار دعوته ، وجمع المسلمين على طاعته ، والارتباط بحماية تغور المسلمين ، وهو ممن يقسم بالسوية ، ويعدل في الرعية والله ما في طاعته مع سعتها دان منه ، ولاناء عنه من البلاد ما يجري فيه على أحد من المسلمين رسم

مكس ، وسبل المسلمين أمنة ، ونقوده من الذهب والفضة سليمة من الشرب ، مطرزة باسم الخلافة ، ضاعف الله تعظيمها وجلالها .

هذه حقيقة حالة ، والله يعلم أني ما أسهبت ولالغوت ، بل لعلي أغفلت أو قصرت ، ولمولانا أمير المؤمنين المستظهر بالله ، صلوات الله عليه وعلى أبائه الطاهرين ، الطول العميم في الأمر ، تشريفه بقبول تأميله ، وفي الإشارة إليه بما يقوي أمره ، ويشد أزره ، ويؤيد سلطانه ، ويعلي شأنه ، مجريا له على السنن الكريم المطول العميم . فوالله ما في الأمراء ولا في شيع النصحاء الأولياء من يجوز في الولاء وصحة الانتماء سبقه ، ولا يلبس من النصيحة طريقه ، والله يمنحه من الخلافة المقدسة المبنية على الطرق النبوية ما يصل يده ويقوي أيديه ويشد عضده بمنه وطوله .

وضراعة الخادم بالأدعية المتقبلة لنفسه ولأبنه المسترق القن بعد الامتنان بإباحة الصدر لهما إلى الوطن ، فقد بعدا عنه سبعة أعوام وأقاما في الجناح المخصب الظليل والكنف الرحب المأهول مدة عامين ، يستدران النعم الحافلة جملا بعد جملة ، ويكرعان في المشارب الجملة العذبة عللا بعد نهل ، فلله الهام الشريعة التي مسحت على شكايتهما من عدوان الأيام بيد شيم الكرام ، فأزاحت عنهما جميع الشكايات والآلام وهذه نبذة من الصنائع المشكورة وفلذة من جزيل الأجر عبقة بأرج النشر ، وإن الشكر ليقل في جانبها ويقصر عن أنزر لازمها فانها ضمنت حياة نفسين وأشرت دفيني رسمين ، فكانها قد أجبت ضعف الوري ونشرت أمثل المستودعين في الثرى فمن أحيا النفس الواحدة (فكأنما أحيا الناس جميعا) (٧٩) وعند الله تعالى كفاء ما أولاه مولانا الامام المستظهر بالله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى أبائه الأكرمين من جميل الفعل وجزيل ما أتاه في سبيل الفضل ، والخادم العامر القلب هو وعقبه بالمحبة الناصفة والطاعة الخالصة صادر في جملة الحامدين ويرجو أن لا يكون مقصرا عن درجة السابقين ويضرع في اسمه ووسم المملوك

ابنه عين التشريف السامي ، لازال القمم (٨٠) الكرام تيجانا على قسماتهم العز والكرامة عنوانا ليعيد حيث جلا الى النباهة ذكرهما ، والي البر والكرامة قدرهما ، ويظهر مزية وفادتهما ورعاية هجرتهما ويثبت لهما من المفاخر ما يحبذ عليه البر الموازر ، ويتضااعل له الحسود المكاشر ، ويبقى للشرعية على مر الأيام ، ويضرع ان يتضمن التشريف العزيز بثبوت اسمه في الديوان الشريف ضاعف الله علاه ونماه بما خص به والمملوك ايسر من الكرامات والنعمة ، وانه متى وفد هو او ابنه المملوك كان للوافد منهما تجدا على مر الأيام مؤكدا مخلدا حسب العادة الكريمة له ولسلفه الأكرمين رضي الله عنهم أنهم متى أنعموا بنعمة ، أو خصوا بكرامة ومنة ثبتت مؤبدة ، وجددت مخلدة ، وليمتش بالأمر العالي والتشريف السامي فيهما جميع من يردان عليه في كل الأفاق من جميع الأطباق وامتثالنا يعد لهما من الاكرام واحتمالا على ماتأصل بجذبتيهما من التنويه والانعام ، وان ذلك يرثه الخلف منا عن السلف وتكون لنا مزية التشرف بالوصول إلى مهاد العز المأمول ، لأعدم الله مولانا الامام المستظهر بالله امير المؤمنين ، صلوات الله عليه وعلى آبائه المنتجبين مبرة تتضااعف بها المعالي ، وسعادة تحرز أسنى الأمانى ، وكفاية يستمد بها حرية الأيام والليالي ، فذلك بيده وغير معجزه ، وهو المنعم الجواد ، وكل خير من طوله مستفاد ، لاشريك له ، ولاتوفيق إلا به والحمد لله حق حمده ، وصلواته على سيد المرسلين رسوله وعبداه وعلى آله الطيبين ، وعترته المنتجبين الراشدين ، آباء امير المؤمنين صلوات الله عليهم أجمعين إلى يوم الدين ، (وحسبى الله ونعم الوكيل) (٨١) .

رد الخلافة

فراجعته عنه على ظهره بتوقيع عزيز أعدد أسطره سبعة وثلاثون سطرا بخط فسيح كتابي مليح بين الأسطر الأول منه والثاني منه العلامة العزيزة بخط أمير المؤمنين بالقلم الغليظ بمداد ممسك المستظهر بالله:

عرضت هذه القصة بمفاوز العز والعصمة، ومواقف الامامة المطهرة المكرمة ، زاد الله في جلالها وسبوغ ظلالها ، فخرجت المراسم الشريفة بأن ذلك الولي الذي أضحى بحبل الاخلاص معتصما وشرطه ملتزما ، وإلى أداء فروضه مسابقا ، وكل فعله فيهما هو بصده للتوفيق مساوقا ، لاربية في اعتقاده ، ولاشك في تقلده من الولاء ، طويل نجاهه ، إذ كان من غدا بالدين تمسكه ، وفي الزيادة عنه مسلكه ، حقيقيا بأن يستتب صلاح النظام على يده ، ويستشف من يومه حسن العقبي في غده ، وأفضل ما نحاه ، وعليه من الاجتهاد دار رحاه ، جهاد من يليه من الكفار وإتيان ما يقضي عليهم بالاجتياح والبوار ، اتباعا لقوله تعالى : (الذين يلونكم من الكفار) (٨٢) فهذا هو الواجب اعتماده ، الذي يقوم به الشرع عماده ، وأن يؤلف شمل من في جملة من الأجناد على الطاعة الامامية التي هي العروة الوثقى والنخر الأبقى ، واستقراء قوله تعالى والعمل به ، والبدار إلى التشبث بسببه (يا أيها الذين آمنوا اطيعوا الله واطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (٨٣) .

وليكن دأبه الجهاد فيما يكسب عند الله تعالى الزلفى ، ويمنحه من رضاه القسم الأكمل الأوفى ، « يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا » (٨٤) . وأن يختص رافعها وولده بالارعاء الذي يصفو عليهما برده ، ويصفو لهما ورده ، ليظهر عليهما من المهاجرة جميل الأثر ، ويؤول أمرهما فيما يرجو أنهما إلى استقامة النظام وضم النثر ،

فليقابل الامر الاسنى في ذلك بامتثال واحتذاء مطاع المثال إن شاء
الله .
وكتب في رجب سنة إحدى وتسعين وأربعمائة .

من الوزير الأجل السيد الأعدل ، عميد الدولة بهذه الملة ، شرف
الامة ، ولي النعمة ، خلاصة أمير المؤمنين محمد بن محمد بن
جهير ، إلى أمير المسلمين ، ومناصر الدين ، القائم بدعوة أمير
المؤمنين ، أزكى الرغائب بأرض المغرب ، أبي يعقوب يوسف بن
تاشفين ، أطال الله بقاءه ، ومدته ، وضاعف بسطته ، وكبت
اعداءه ، وحسدته ، أمين .

بسم الله الرحمن الرحيم

كتابي من حضرة مولانا أمير المؤمنين ، أبي العباس ، المستظهر
بالله ، ادام الله أيامها ، وأوضح أعلامها ، وأعز أنصارها ، وأعلى
منارها ، الأحوال مستقيمة بإقبال دولته ، منتظمة بيمين تدبيره
وسياسته ، تجري على أفضل ما عودها الله تعالى من نفاذ الأمر ،
ومضائه ، وانبساط السلطان واعتلائه ، ونحن مقابلون نعمته
بالشكر ، والاعتراف ، مستديمون مددها بالعدل ، والانصاف ،
متحققون إجابة رغبتنا في توفيق أولياء مولانا المخلصين ، وأهل
الطاعة من كافة المسلمين لما يقرب من طاعته ، ويوزع شكر نعمته ،
السابغة عليهم بولايته ، فلقد استخلف عليهم عنه أكرم مستخلف
وعطف عليهم بولايته أفضل مستعطف ، فأصبح وقد أطاعته الأمة
العاصية وأمكنته الغايات فذلل الصعب ورأب الشعب ، وقرب
النازح ، وأرضى الجامح ، وقوم المائد وأصلح الفاسد ، وأعاد معالم
الحق عامرة بعد دثورها ، ومشاربه صافية بعد ركودها وبضائع
الخير نافقة بعد كسادها وأحوال الأمة صالحة بعد فسادها ، مبتغيا
فيما أتاه الله مصلحة أخراه ، غير ناس نصيبه من دنياه ، طامحا
بطرفه إلى أعلى الدرجات ، في تربيته ، أخذا بأفضل الاقبال في
حالیه ، فلباس التقوى شعاره ، والعمل الصالح دثاره ، نهارة
مقسوم بين تلاوة القرآن وإقامة إحسان ، وغوث مكروب ، وفك
عار محروب ، وسد ثغر ، وصلاح أمر ، وتدبير شرق وغرب ، وبر
وبحر ، فأعين الرعية قائمة بشهادته ، وأنفس البرية مستريحة

باجتهاده ، ولاجرم أن الله يصلح باله ويحسن ماله تصديقا لما قال جل جلاله : (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما) (٨٥) وحقيق لمن جمعت فيه هذه الأخلاق الطاهرة ونطق القرآن بأمانته الباهرة فإن الله تعالى (وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدونني لا يشركون بي شيئا) (٨٦) فالحمد لله الذي أنجز لأمر المؤمنين ما وعده وحقق له التمكن وأيده وأمن السبل بخلافته ، وأقام الحق بإمامته ، وسخر له من أوليائه من تنفذ بطاعته وأمره ، ويؤازره على فعل الخيرات ويضافره وينشر رحمته ودعوته ، ويظهر سعده وكلمته ، وينتهي إلى ما فرض سبحانه عليه من طاعة ولاة الأمر المقتربة بطاعته وطاعة رسوله صلى الله عليه وسلم إذ يقول تعالى : (يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم) (٨٧) ، استمناحا لنعم الله التي لاتحد ، واستمدادا من عوارفه التي لاتنفذ ، ولما كان الأمير اطلال الله بقاءه ، وأدام تمكينه ورفعته وسموه وسلطته ، وكبت عدوه وحسدته ممن صح عنده خلوص عقد ولايته ولزوم طاعته لأمر المؤمنين والعزوف عن أعدائه وإظهار العدل في الرعية ، فخرأ بارائه وتمسكا بما أمر الله تعالى به من مجاهدة أعدائه وتحريض عساكر الاسلام على مجاهدة عدوهم وبذل نفوسهم ومشاركته لهم في نعيمهم وبؤسهم ، وما فتح الله لأمر المؤمنين على يده من ثغور الاسلام بجزيرة الأندلس وما جاورها مما كان العدو قد تغلب عليه واستباحه ، واستأصل شافته واجتاحه عند اختلاف الخوارج بها وتباين مقاصدهم وعدولهم عن الواجب في مصادرهم ومواردهم ، أنهت إلى المواقف المقدسة العلية الشريفة النبوية المستظهرية زاد الله في جلالها وامتداد ظلالها هذه الجملة فخرج من الشكر للأمير اطلال الله بقاءه وأعلاه وأحمد طرائقه وحسن سيرته وجميل مقاصده والدعاء بمثابرتة على جهاد عدو المسلمين وتصديق ما جاء به عن سيد المرسلين « لا يزال أهل الغرب

على الحق ظاهرين « وذلك لنصوع عقائدهم في خلوص اليقين
واقترار مذهبهم على صحة الدين ، على يد الشيخ الفقيه أبي محمد
عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي وابنه الفقيه أبي بكر محمد
أدام الله عزتهما ما يزهني به الغافر وتتأرجح به سطور الدفاتر
وتنتعش به جدود العوثر ، ولقد بالغ هذا الفقيه وولده في الثناء على
الأمير وأطنبا في وصف ما يعتمد منه من لزوم قـوانين العدل
والانصاف ،

ومجانبية طرق العسف والاعتساف ، ولما كان رأينا في هذه الطائفة
التي تأخذ في الحدود الشرعية بقولها وتستوصي في السياسة
السلطانية برأيها ، جميلا ، وتميزنا بالبر لمن انسنا منه الطريقة
القويمة وجنودنا إلى من عرفناه بصدق العزيمة ، شكرنا للأمير
المؤمنين أطل الله بقاءه ، اقتداء بهذه الطائفة في أرائه ورجوعا إلى
قولهم في الحالة ، أخذا براء المواقف المقدسة زادها الله مضاء
وامتثالا لقصدها ، وكذلك هذا الفقيه وولده المقدم ذكرهما مما
شاهدنا من خلالهما وحسن هديهما بما يقتضى تقريبهما وأدناهما ،
فرايناهما واعتمدنا برهما وإكرامهما وأصدرنا هذه الجملة القاضية
باحلال الأمير محله المنيف على استحقاقه الاجلال والتشريف نظرا
لمقالهما وإحسانا ، وتعطفا عليهما وامتنانا ، فليعتمد الأمير أطل
الله بقاءه مصالح أمورهما ، وليتوخ ما تعود باستقامة شؤونهما
وليولهما حسن موقع النيابة عنه وليبدلها صفحة الاقبال بمنه ،
وليولزم تقوى الله فيما يجري من الأمور على يديه وليراقبه تعالى
فيما فرض من أحوال الرعية إليه ، وليعلم أن المصير والمرجع إليه
في عشر من رجب سنة إحدى وتسعين وأربعمائة والحمد لله وحده
وصلواته على سيدنا محمد نبيه وسلامه وحسبنا الله ونعم الوكيل .

الخطاب الذي وجهه ابن عربي الى حجة الاسلام
الامام الغزالي ورد الغزالي عليه ، مع رسالة بعث بها
الغزالي الى يوسف بن تاشفين (٨٨)

قال ابن العربي .
وكان من أشهر من لقينا من العلماء في الأفاق ، ومن سارت
بذكره الرفاق ، لطول باعه في العلم ورحب ذراعه ، الامام أبو حامد
ابن محمد الطوسي الغزالي ، فاستدعينا منه فتيا وكتبنا ، اختصرت
لفظ الفتيا لوقت ضاق عن تقييدها ، لكن أنبه على معناها وهو
في علم الامام ماذكر في وصف خلال أمير المسلمين وناصر الدين أبي
يعقوب يوسف بن تاشفين أمير المغربين الأندلس والعدوة ، وما
أوضحت لديه من إعزاز الدين ، والذب عن المسلمين وهو حميري
الذنب وقبيله المرابطون ، قد وقفوا أنفسهم على الجهاد . وقد كانت
جزيرة الأندلس قد تملكها من تاريخ ابتداء الفتنة سنة أربع مائة ،
عدة ثوار تسوروا على البلاد وضعف أهلها عن مدافعتهم ، وتلقبوا
بألقاب الخلفاء ، وخطبوا لأنفسهم ، وضربوا النقود بأسمائهم ،
وآثروا الفتنة بينهم لرغبة كل واحد منهم في الاستيلاء على
صاحبه ، واستنابوا الفساق من الأرقاء ، والصنائع الطلقاء في
محاربة بعضهم بعضا واستنجدوا بالنصارى عندما اعتقد كل واحد
منهم أنه أحق من صاحبه ، وعند زهاب شوكة المسلمين ، وحينما
انكشف للنصارى ضعف المسلمين ، وعلموا المداخل والمخارج إلى
بلاد المسلمين . طلبوا المعازل وأخذوا بالحرب كثيرا منها من غير
مؤونة ولا مشقة ، ثم لجأ الباقي من المسلمين إلى المرابطين
واستصرخوهم فلجأهم أمير المسلمين ووصل إلى البحر ، فاستوقف
بعض الرؤساء وفاء للمشركين ، وحذقا على المسلمين في
استدعائهم له ، ووصل الأمير إلى غرب الأندلس فمنحه الله النصر ،

والجم الكفار السيف ثم عاود الجواز في العام الثالث من هذا الفتح ، فتهيبه العدو ، وتحصن منه ، ولم يخرج للقاءه مع تتأقل الرؤساء عنه ، وعثر لأحدهم على خطاب يشجع العدو على اللقاء ، واستولى على من قدر عليه من الرؤساء عن البلاد والمعقل وبقيت طائفة من رؤساء الثغر الشرقي من جزيرة الأندلس ، حالفوا النصاري أو صاروا معهم إلبا ، ودعاهم أمير المسلمين إلى الجهاد ، والدخول في بيعة الجمهور ، فقالوا لاجهاد إلا مع إمام من قريش ، ولست به ، أو مع نائبه عن إمام وما أنت ذلك ، فقال أنا خادم الامام العباسي ، فقالوا له أظهر لنا تقديمه إليك ، فقال: أليس الخطبة في جميع بلادي له ؟ فقالوا ذلك احتيال ، ومردوا على النفاق . فهل يجب قتالهم ؟ وإذا ظفر بهم كيف الحكم في أموالهم ؟ وهل على مسلم حرج في قتالهم ؟ وهل على الامام العباسي أن يبعث له بمنشور يتضمن تقديمه له على جهادهم ، فإنهم إنما خرجوا عليه بأن الأمير خادمه وهو يخطب له على أكثر من ألفي منبر ، وتضرب السكة باسمه إلى غير ذلك . ومتى وصف نفسه قال : لست مستبدا ، وإنما أنا خادم أمير المؤمنين المستظهر ، وهذا أشهر من أن يؤكد بالتحلية ، وأظهر من أن يجدد بالتركية .

فللشيخ الامام الأجل الزاهد الأوحى أبي حامد أتم الأجر ، وأعم الشكر في الانعام بالمراجعة في هذا السؤال إن شاء الله فأجاب الامام الغزالي رضوان الله عليه :

لقد سمعت من لسانه وهو الموثوق به الذي يستغنى مع شهادته عن غيره ، وعن طبقة من ثقافة المغرب الفقهاء وغيرهم ، من سيرة هذا الأمير أكثر الله في الأمراء أمثاله ، ما أوجب الدعاء لأمثاله . أصاب الحق في إظهار الشعار الامامي المستظهري ، حرس الله على المستظهرين ظلالة ، وهذا هو الواجب على كل ملك استولى على قطر من اقطار المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، فعليهم تزيين منابرهم بالدعاء للامام الحق . وإن لم يكن قد بلغهم صريح التقليد من الامام أو تأخر عنهم ذلك لعائق . وإذا نادى الملك المستولي

بشعار الخلافة العباسية ، وجب على كل الرعايا والرؤساء الانزعان والانقياد ، ولزمهم السمع والطاعة وعليهم أن يعتقدوا أن طاعته هي طاعة الامام ، ومخالفته مخالفة الامام وكل من تمرد واستعصى وسل يده عن الطاعة ، فحكمه حكم الباغي ، وقد قال الله تعالى : (وإن طائفتان من المؤمنين اقاتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله) (٨٩) والفبيئة إلى أمر الله ، الرجوع إلى السلطان العادل المتمسك بولاء الامام الحق المنتسب إلى الخلافة العباسية فكل متمرد على الحق ، فإنه مردود بالسيف إلى الحق ، فيجب على الأمير وأشياعه قتال هؤلاء المتمردة عن طاعته ، لاسيما وقد استنجدوا بالانصارى المشركين اوليائهم ، وهم أعداء الله في مقابلة المسلمين الذين هم اولياء الله ، فمن أعظم القربات قتالهم إلى أن يعودوا إلى طاعة الأمير العادل المتمسك بطاعة الخلافة العباسية .

ومهما تركوا المخالفة ، وجب الكف عنهم ، وإذا قاتلوا ، لم يجز أن يتتبع مدبرهم ، ولأن يذفف على جريحهم بل مهما سقطت شوكتهم وانهمزموا ، وجب الكف عنهم أعني عن المسلمين منهم دون الانصارى الذين لايبقى لهم عهد مع التشاغل بقتال المسلمين . وأما ما يظفر به من أموالهم فمردود عليهم أو على وريثهم ، وما يؤخذ من ذسائهم وذراريهم في القتال مهدرة لاضمان فيها ، وحكمهم بالجملة في البغي على الأمير المتمسك بطاعة الخلافة ، المستولي على المنابر والبلاد بقوة الشوكة ، حكم الباغي على نائب الامام .

فإنه وإن تأخر عنه صريح التقليد لاعتراض العوائق المانعة من وصول المذشور بالتقليد فهو نائب بحكم قرينة الحال ، إذ يجب على إمام المصر أن يأنن لكل إمام عادل استولى على قطر من أقطار الأرض ، في أن يخطب عليه ، وينادي بشعاره ، ويحمل الخلق على العدل والنصفة ، ولاينبغي أن يظن بالامام توقف في الرضا بذلك والاذن فيه .

وإن توقف في كتبه المذشور ، فالكتب قد يعوق عن إنشائها

وإيصالها المعاذير ، وأما الآن والرضى بعدما ظهر حال الأمير في العدل والسياسة وابتغاء المصلحة للتفويض والتعيين ، فلا رخصة في تركه وقد ظهر حال هذا الأمير بالاستفاضة ظهوراً لا يشك فيه وإن لم يكن عن إيصال الكتاب وإنشائه عائق ، وكانت هذه الفتنة لا تنطفئ إلا بأن يصل إليهم صريح الآن والتقليد بمنشور مقرون بما جرت العادة بمثله في تقليد الأمراء ، فيجب على حضرة الخلافة بذل ذلك . فإن الإمام الحق عاقلة أهل الإسلام ، ولا يحل له أن يترك في أقطار الأرض فتنة ثائرة إلا ويسعى في إطفائها بكل ممكن . قال عمر رضي الله عنه « لو تركت جرباء على ضفة الفرات لم تطل بالهناء ، فأنا المسؤول عنها يوم القيامة » . وقال سليمان بن عبد الملك يوماً وقد أهدق به الناس : « قد كثر الناس » . فقال عمر بن عبد العزيز « خصمأوك يا أمير المؤمنين » ، يعني أنك مسؤول عن كل واحد منهم إن ضيعت حق الله فيهم أو أقمته . فلا رخصة في التوقف عن إطفاء الفتنة في قرية تحوى عشرة . فكيف في أقاليم وأقاليم إلا أن يعوق عن ذلك عائق ، ويمنع منه مانع المواقف القدسية الامامية المستظهيرية حرس الله جلالها أبصر بها . ونحن نعلم أن لا نستجيز التوقف على إطفاء هذه الفتنة إلا لعذر ظاهر وجب على أهل الغرب أن لا يعتقدوا في حضرة الخلافة إلا ذلك ، فإن المسافة إذا بعدت وتخللها المارقون عن ربة الحق ، لم يبعد أن يقتضي الرأي الشريف صيانة الأوامر الشريفة عن أن تمد إليها أعين أعداء الدولة فضلاً عن أيديهم .

وأما من يستجيز التوقف فيها عن غير عذر عن التقليد لأمر قد ظهرت شوكته وعرفت سياسته ، وتناطقت الألسن بعدله ، ولم يعرف في ذلك القطر من يجري مجراه . ويسد في هذا الحال مسده ، فهذا اعتقاد فاسد في حضرة الخلافة حاشاها من أن تنسب إلى قصور ، أو تقتضي في نصرة أهل العدل المتمسكين بخدمتها ، والمعتصمين بعروتها ، القائمين في أقطار الأرض بإنفاذ شعائرها وأوامرها المعلومة بقرائن الأحوال ، فهذا حكم كل أمير عادل في أقطار الأرض وحكم من بغى عليه ، والله أعلم .

رسالة الغزالي الى يوسف بن تاشفين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة على سيد المرسلين وسائر النبيين وعلى آله وأصحابه أجمعين ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « ليوم من سلطان عادل خير من عباده سبعين سنة » ... وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «سبعة يظلهم الله بظله يوم لا ظل إلا ظله»، وعد الامام العادل أولهم ، ونحن نرجو أن يكون الأمير جامع كلمة الاسلام وناصر الدين ظهير أمير المؤمنين من المستظلين بظل عرشه يوم لا ظل إلا ظله فإنه منصب لا ينال إلا بالعدل في السلطنة ، وقد اتاه الله السلطان وزينه بالعدل والاحسان ولقد استطارت في الأفاق محامد سيره ومحاسن أخلاقه على الاجمال حتى ورد الشيخ الفقيه الوجيه أبو محمد عبد الله بن عمر بن العربي الأندلسي الاشبيلي حرس الله توفيقه فأورد من شرح ذلك وتفصيله ما عطر به أرجاء العراق ، فانه لما وصل إلى مدينة السلام وحضرة الخلافة لم يزل يطنب في ذكر ما كان عليه المسلمون في جزيرة الاندلس من الذل والصفار والحرب والاستصغار بسبب استيلاء أهل الشرك وامتداد أيديهم إلى الاسلام بالسبي والقتل والنهب ، وتطرقهم إلى اهتضام أهل الاسلام بما حدث بينهم من تفرق الكلمة واختلاف آراء الثوار المحاولين للاستبداد بالامارة ، وتقاتلهم على ذلك حتى اختطف من بينهم حماة الرجال بطول القتال والمحاربة والمنافسة ، وأفضى الأمر بهم إلى الاستنجاد بالانصارى حرصا على الانتقام إلى أن اوطنوهم بيضة الاسلام، وكشفوا إليهم الأسرار حتى أشرفوا على التهائم والأغوار فرتبوا عليهم الجزاء وجزوهم شر الجزاء ، ولما استنفدوا من عندهم الأموال أخذوا في نهب المناهل وتحصيل المعاقل ،

واستصرخ المسلمون عند ذلك بالأمير ناصر الدين وجامع كلمة المسلمين ظهير أمير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين صلوات الله عليه وعليهم أجمعين ، واستصرخه معهم بعض الثوار المذكورين ليأسهم عن مداراة المشركين ، فلبى دعوتهم ، وأسرع نصرتهم وأجاز البحر بنفسه ورجاله وماله ، وجاهد في الله حق جهاده ، ومنحه الله تعالى استئصال شافة المشركين والافراج عن حوزة المسلمين جزاه الله تعالى أفضل جزاء وأمدّه بالنصر والتمكين ، وذكر متابعتة العدو إلى جهة أخرى بعد ثلاثة أعوام من هذه الغزوة المشهورة ، وقتل كل من ظهر من النصارى بالجزيرة المذكورة من الخارجين لأمداد ملوكها على عادتهم أو من سراياهم في أي جهة يمموا من جهات المسلمين وقذف الله الرعب في قلوب المشركين حتى أغناه ذلك عن جر العساكر والجنود وعقد الألوية والبنود ، وذكر أن أولئك الثوار لما أيقنوا قوة الأمير ناصر الدين وغلبته لحزب المشركين وسألهم رفع المظالم عن المسلمين التي كانت مرتبة عليهم لجزية المشركين وإمدادهم بها لهم مداراة لبقاء إمرتهم عادوا إلى ممالة المشركين وألقوا إليهم القول في جهة الأمير وجراؤهم على لقائه وصح ذلك عنده وعند المسلمين ، فسمّاه المسلمون عند ذلك إنزال هؤلاء الثوار عن البلاد وتداركها ومن فيها من المسلمين قبل أن يسري الفساد ، ففعل ذلك ، ولما تملكها ورفع المظالم وأظهر فيها من الدين المعالم وبدد المفسدين واستبدل بهم الصالحين ورتب الجهاد وقطع مواد الفساد ، ثم أضاف إلى ذكر ذلك ما شاهده من تلك السجية الكريمة في إكرام أهل العلم وتوقيره لهم ، وتزيينه بإسمهم واتباعه لما يفتون إليه من أحكام الله تعالى وأوامره ونواهيه وحمله عماله على السمع والطاعة ، وتزيين منابر المملكة الجديدة والقديمة بالخطبة لأمير المؤمنين أعز الله أنصاره ، وإلزامه للمسلمين البيعة ، وكانوا من قبل منكبين عن البيعة ، والنداء بشعار الخليفة إلى غير ذلك مما شرحه من عجائب سيرته ومحاسن أحواله ومكارم أخلاقه ، وكان منصبه في غزارة العلم ورصانة العقل ومتانة الدين تقتضي التصديق له في روايته ، والقبول لكل ما يورده من صدق كلمته ، وما أفاضه من هذه الفضائل إلى حضرة الخلافة أعز الله أنصارها ،

فوقع ذلك موقع الاحماد ، ثم ذكر مع ذلك توقف طائفة من الثوار الباقين في شرق الأندلس عن مشايعة الأمير ناصر الدين ومتابعته ، وأنهم حالفوا النصارى واستنجدوا بهم فأعلن المسلمون بالدعاء عليهم والتبرؤ منهم ليتوب عليهم أو ليقطع شافتهم •

وكتب هذا الشيخ سؤالاً على سبيل الاستفتاء ، وافتيت فيه بما اقتضاه الحق وأوجبه الدين وأعجلني المسير الى سفر الحجاز وتركته مشمرا عن ساق الجد في طلب خطاب شريف من حضرة الخلافة يتضمن شكر صنيع الأمير ناصر الدين في حمايته لثغور المسلمين ويشتمل على تسليم جميع بلاد المغرب اليه ليكون رئيسهم ورؤوسهم تحت طاعته ، وأن من خالف أمره فقد خالف أمر أمير المؤمنين ابن عم سيد المرسلين ، ويتعين جهاده على كافة المسلمين ولم يبالغ احد في بث مناقب قوم مبالغة الشيخ الفقيه ابي محمد في بث مناقب الأمير واشياعه المرابطين ، ولقد شاع دعاؤه في المشاهد الكريمة بمكة حرسها الله لحضرة الأمير وجماعة المرابطين ، ولم يقنعه ما فعله بنفسه الى ان كلف جميع من رجا بركة دعائهم الدعاء في تلك المشاهد الكريمة ، والمناسك العظيمة وأعلن بالدعاء لأمر بلده الأمير الاجل ابي محمد سير بن ابي بكر وفقه الله تعالى وذكر من فضله وحسن سيرته وتلطفه بالمسلمين ورفع جميع النوائب عنهم ما جهر به الى النفوس. ولقد دعي الشيخ الفقيه الى المقام ببغداد على البر والكرامة والاتصال باسباب تشرف بها من حضرة الخلافة فأبى الا الرجوع الى ذلك الثغر يلزمه للجهاد مع الامراء وفقهم الله تعالى. ولو اقام لفاز بالخط الاوفى من التوقير والاكرام ، وما اجدر مثله بأن يوفي حظه من الاحترام وولده الشيخ الامام ابو بكر قد احرز من العلم في وقت ترده علي ما لم يحرز مع طول الامد ، وذلك لما خص به من نقاية الذهن ، وذكاء الحس واتقاد القريحة ، وما يخرج من العراق الا وهو مستقل بنفسه حائز منصب السبق بين اقرانه ومثل هذا الوالد والولد قمن بالاكرام في الوطن ، وقد تميز بمزايا التوفيق من الاعيان في الغربية ، والله يحفظ من حفظهما ويرعى من رعاهما ، فرعاية امثالهما من اداب الدين المعينة على أمير المسلمين

وقد قال المحسنون : فليستوص من ظفر بهم منهم خيرا ، وكم دخل قبلهما العراق ويدخل بعدهما من تلك البلاد النائية وما يذكر محاسنهما ولا يدفع مساويهما . وقد انتهى الشيخ الفقيه من ذلك الى ما لا يمكن ان يلحق ثناؤه فضلا عن ان يزداد عليه والله تعالى يعمر بهما اوطانهما ويصلح شأنهما ويوفق الامير ناصر المسلمين ليتوسل الى الله تعالى في القيامة باكرام اهل العلم فهي اعظم وسيلة عند رب العالمين. ونسأل الله ان يخلد ملك الامير ويؤيده تخليدا لا ينقطع أبد الدهر، ولعل القلوب تنفر عن هذا الدعاء وتستمطر لملك العباد التأييد والبقاء، وليس كذلك فان ملك الدنيا اذا تزين بالعدل فهو شبكة الاخرة ، فالسلطان العادل اذا انتقل من الدنيا انتقل من سرير الى سرير اعظم منه ومن ملك الى ملك اجل وارفع منه (واذا رأيت ملكا ثم رأيت نعيما وملكاً كبيراً) (٩٠) مهما وفي العدل في الرعية والنصفة في القضية فقد خلد ملكه وايد سلطانه ، وقد وفق له بحمد الله ومنه. والحمد لله رب العالمين وصلوات على سيدنا محمد خاتم النبيين واله اجمعين.

رسالة من الامام الطرطوشي صاحب كتاب سراج الملوك الى يوسف بن تاشفين (٩١)

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد بن الوليد الطرطوشي الى الامير ابي يعقوب بن تاشفين
سلام عليك

اما بعد ، فاني احمد الله اليك الذي لاله لا هو ، وأشكره لديك
كثيرا كما هو اهله ، وأخصك من مواعظه وحكمه ما إن أخذت به
نجوت من عظيم ما ركبت إن شاء الله تعالى ، ولا حول ولا قوة إلا
بالله العلي العظيم ، وحسبنا الله ونعم الوكيل.

قال الله سبحانه «ياداوود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم
بين الناس بالحق» ، (٩٢) ، الى قوله «يوم الحساب» ، قال سلمان
الفارسي رضي الله عنه: أتعلمون من الخليفة؟ الخليفة هو الذي يقضي
بكتاب الله ، ويشفق على الرعية شفقة الرجل على اهله.

وقال سبحانه وتعالى: «الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا
الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر» (٩٣) الخ ، فمن
مكنه الله في الأرض ، وآتاه الله سلطانا ولم يفعل ما أمر الله تعالى
به في هذه الآية ، خفنا أن لا يكون من اهله ، لأن الله تعالى وصف
هذه الأمة ، اذا فتح الله تعالى عليهم الأرض واهلك عدوهم ، باقامة
الصلاة وايتاء الزكاة وأمر بالمعروف ونهي عن المنكر .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما من أحد يلي عملا-او
قال سلطانا-إلا اهتز به الصراط حين يركبه حتى يزول كل عظم عن

حقه ، فإن كان محسنا نجا ، وإن كان مسيئا هوى سبعين خريفا ، فلما بلغ ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال . ومن يرغب في العمل بعد هذا ؟ قال له أبو ذر رضي الله عنه : من سلب الله أنفه وأصعر خده .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله تعالى عليه الجنة . وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال للعباس عمه لما قال له أمرني على إمارة ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : يا عباس ياعم رسول الله ، نفس تحييها خير من إمارة لاتحصيلها ، إن الإمارة حسرة وندامة يوم القيامة ، فإن استطعت أن لاتكون أميرا فافعل .

وروي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : الا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، والرجل راع على أهل بيته ومسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية على أهل بيت زوجها وولدها وهي مسؤولة عنهم ، وعبد الرجل راع على مال سيده وهو مسؤول عنه ، الا فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته ، ولقد بلغ هذا من نفوس الصحابة والخلفاء الراشدين والأئمة المهتدين مبلغا نهلت له عقولهم وطاشت حلومهم ، فروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر بطريق مكة فأبصر راعيا يرعى بمكان جذب فناداه : أيا راع ، قد رايت مكانا هو أخصب من مكانك فالحق به ، ثم قال : كل راع مسؤول عن رعيته .

وقال علي رايت عمر بن الخطاب يغدو على قتب فقلت : الى أين ؟ فقال : بغير من ابل الصدقة قد ند وأنا اطلبه ، فقلت : اذلت الخلفاء بعدك يا أمير المؤمنين ، فقال : لاتلمني يا أبا الحسن ، فوالذي بعث محمدا بالنبوة لو أن سخلة ذهب بشاطئ الفرات لأجد بها حسرة يوم القيامة ، ألا إنه لاحرمة لوال ضيع المسلمين .

يا أبا يعقوب ، لقد بليت بأمر لو حملته السموات لانفطرت ، ولو حملته النجوم لانكدرت ، ولو حملته الأرض والجبال لتزلزلت

وتدكدكت ، إنك حملت الأمانة التي عرضت (على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها) (٩٤) .

فروي أن آدم صلوات الله عليه ، لما استخلفه الله تعالى في الأرض على ذريته وما فيها من الأنعام ، وعهد اليه عهداً أمره فيها ونهاه ، فقام فيها بأمر الله سبحانه إلى أن حضرته الوفاة ، فسأل الله سبحانه أن يعلمه من يستخلفه ويقلده من الأمانة ما قلده ، فأمر أن يعرض ذلك على السموات بالشرط الذي أخذ عليه من الثواب إن أطاع ، ومن العقاب إن عصا ، فأبين أن يقبلنه شفقا من عقابه ، ثم أمره أن يعرضه على الجبال والأرض فأبينه أيضاً ، ثم أمره أن يعرضه على ولده فقبله ولده على شرط أن له الثواب إن أطاع ، والعقاب إن عصا ، فوبخه الله تعالى على مسارعته إلى قبول ذلك ، فقال: « وحملها الإنسان إنه كان ظلوما جهولا » (٩٥) بعقابه وماتقلد لربه وكان الغرض تخييراً لا إيجاباً.

وروي أن عمر بن عبد العزيز لما أفضت إليه الخلافة ، سمعوا في منزله بكاء عالياً ، فسئل عن البكاء فقيل : إن عمر خير جواريه ، وقال : قد نزل بي أمر شغلني عنكم ، فمن أحببت أن اعتقها عتقتها ومن أحببت أن أمسكها لم يكن لها نصيب مني ، قال : فبكين يأسأ منه ، ثم دعا أفاضل المسلمين في زمانه ، وعلماءهم في وقته : سالم بن عبد الله ومحمد بن كعب ورجاء بن حيوة ، فقال لهم : اني قد ابتليت بهذا الأمر فأشيروا علي ، فعد الخلافة بلاء ، وانت ونظراؤك تعدون هذا البلاء نعمة ، فقال له سالم بن عبد الله : يا أمير المؤمنين ، إن أردت النجاة من عذابها فصم عن الدنيا ، وليكن افطارك فيها الموت ، وقال محمد بن كعب : إن أردت النجاة من عذاب الله فليكن كبير المسلمين لك أباً وأوسطهم عندك أخاً وأصغرهم ولدك ، فوقر أباك وأرحم أخاك وتحنن على ولدك ، وقال له رجاء بن حيوة : إن أردت النجاة من عذاب الله أحب للمسلمين ما تحب لنفسك ، وأكره لهم ما تكره لنفسك ، ثم مت متى شئت .

واني لأخاف عليك أشد الخوف ، فاتق الله يا أبا يعقوب في أمة

محمد الله ، فإن لك مع الله تعالى موقفا يسائك فيه عنهم شخصا
شخصا ،ذكرا وانثى ، صغيرا وكبيرا ، حرا وعيدا ، مسلما وذنميا ،
فأعد لذلك المقام كلاما ، ولذلك السؤال جوابا ، فالذي نفسي بيده إن
ذلك (لحق مثل ما انكم تنطقون) (٩٦) .

روى عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
ما منكم من أحد إلا ويخلو بربه ليس بينه وبينه ترجمان ، ولا نزول
قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن خمسة : عن عمره فيما أفناه ،
وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ،
وماذا عمل بما علم .

واعلم يا أبا يعقوب أنه لا يزني فرج في ولايتك ومدى سلطانتك
وطول عمرك إلا كنت المسؤول عنه والمرتهن بجريرته ، وكذلك
لا يشرب فيها نقطة مسكر إلا وأنت المسؤول عنها ، ولا تنتهك فيها
عرض امرئ مسلم إلا وأنت المطالب به ، ولا تعامل فيها بالربى إلا
وأنت المأخوذ به ، وكذلك سائر المظالم ، وكل حرمة انتهكت من
حرمات الله تعالى فعدها عليك ، لأنك قادر على تغييرها ، فأما ما
خفي من ذلك ولم يكن ظاهرا يراه المسلمون فأنت المبرأ منه إن شاء
الله تعالى ، ألا ترى الى عمر بن الخطاب كيف اشفق أن يطالبه الله
ببغير من إبل الصدقة ، وإنما هو البعير للمسلمين ، فركب على
بعيره وجعل يطلبه بنفسه ، ولا عذر لك عند الله تعالى أن تقول : لم
يبلغني فإنك إذا احتجبت عن المسلمين فكيف تعلمه وتراه ، قال الله
تعالى : "كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون" (٩٧)
من تركهم الانكار ، وإنما قاله لقوم سخط عليهم ، هذا بين الأكفاء
والنظرء ، فما ظنك بين الولاة والأمراء . قال الله سبحانه : "يا
ويلتنا ما لهذا الكتاب لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها ووجدوا
ما عملوا حاضرا ولا يظلم ربك أحدا" (٩٨) جاء في التفسير: الصغيرة
التبسم، والكبيرة الضحك.

ولقد بلغني أن عبد الله العمري لما حج لقي هارون الرشيد في
الطواف فقال : يا هارون فنظر إليه الرشيد فعرفه فقال : لبيك يا

عما ه ، فقال : كم ترى ها هنا من خلق ؟ قال : لا يحصيه إلا الله تعالى ، قال : فاعلم أيها الرجل أن كل واحد منهم يسأل عن خاصة نفسه وأنت وحدك تسأل عنهم كلهم ، فانظر كيف تكون ، فبكى هارون الرشيد بكاء شديدا فجعلوا يعطونه منديلا يمسح به دموعه ، قال له: والله يا هارون أن الرجل ليسرع في مال نفسه فيستحق الحجر عليه ، فكيف بمن يسرع في مال المسلمين؟

ولما دخل طاووس اليماني على سليمان بن عبد الملك قال . يا أمير المؤمنين هل تدري من أشد الناس عذابا يوم القيامة ؟ قال سليمان : قل فقال : أشد الناس عذابا يوم القيامة ، من أشركه الله في ملكه فجار في حكمه ، فاستلقى سليمان بن عبد الملك على سريره باكيا حتى قام عنه جلاساؤه.

وقال أبو بكر الصديق رضي الله عنه : إن الملك إذا ملك زهده الله في ماله ، ورغبة في مال غيره ، وأشرب قلبه الاشفاق من الفقر ، فهو يسخط على القليل ، ويحسده على الكثير ، حتى إذا قضى الله نحبه حاسبه بأشد حسابه وأقل عفوه.

فاحذر يا أبا يعقوب أن ترد على جنة عرضها السموات والأرض فلا يكون لك فيها موقف قدم ، عاذنا الله وإياك من هذا الموقف ، ولقد بلغني يا أبا يعقوب أنك احتجبت عن المسلمين بالحجارة والطين ، واتخذت دونهم حجابا ، وإن طالب الحاجة ليظل يومه ببابك فما يلقاك ، كأنك لم تسمع قول الله عز وجل : « ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق » (٩٩) قال الحسن : لا والله ما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم تغلق دونه الحجب ، ولا يغدى عليه بالجفان ولا يراح عليه بها ، ولكنه كان بارزا ، من أراد أن يلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم لقيه ، وكان يجلس بالأرض ويوضع طعامه في الأرض ، ويلبس الغليظ ، ويركب الحمار ، ويردف عليه عبده ، ويلق أصابعه ، وكان يقول : من رغب عن سنتي فليس مني ، قال الحسن : فما أكثر الراغبين عن سنته التاركين لها.

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يأخذ درتته ويمشي في

الأسواق ، ويتفقد أمور رعيته ، وكان يعس ليلا في سكك المدينة مع عبد الرحمن بن عوف وغيره من الصحابة رضي الله عنهم يحفظون عورات المسلمين ، فروي عنه أنه استعمل سعد بن أبي وقاص على الكوفة ، فبلغه أن سعدا اتخذ قصرا وجعل عليه بابا ، وقال انقطع التصويت ، فأرسل اليه محمد بن مسلمة وقال : اذا رأيت سعدا فأحرق عليه بابه ، فأتى الكوفة وأخرج زنده واستورى ناره ثم أحرق الباب ، فجعل سعد يعتذر ويحلف بالله ما قال ، فقال له محمد بن مسلمة : تفعل ما أمرتك به وتورى عنك القول .

يا أبا يعقوب ! ولقد بلغني أنك استأثرت على المسلمين بالحظ الوافر من حطام الدنيا وزخرفها ، فلمست الناعم ، وأكلت اللين ، وتمتعت بلذاتها وشهواتها كأنك لم تسمع قول الله عز وجل "أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها" (١٠٠) أو لم تسمع سبحانه يقول لنبي الله صلى الله عليه وسلم : "ولا تمدن عينيك الى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه" (١٠١) .

ولقد روت عائشة رضي الله عنها قالت : لقد كان يمر علينا الشهران والثلاثة ، ما توقد في بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم نار ، قيل فما كان عيشكم ؟ قالت : الأسودان ، التمر والماء .

ولقد روي أن فاطمة رضي الله عنها قالت : خبزنا من شعير فجئت منه بكسرة الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : ما هذا يا فاطمة ؟ فقلت : رغيف خبزته يا رسول الله ، ولم تطب نفسي أن أكله حتى أجيك بهذه الكسرة ، فقال : أما أنه أول طعام دخل جوف أبيك منذ ثلاثة أيام ، هذا لو شركوك في خفض العيش لنهيت عنه ، لأن الله تعالى أخذ على الأئمة مثل ما روي عن يوسف صلى الله عليه وسلم أنه كان يأكل الشعير ، ويطعم الخشكار ، ويطعم المسلمين الحواري ؟ وكان يجوع نفسه ، فقيل له : أتجوع وببكد خزائن الأرض ؟ فقال أخاف أن أشبع فأنسى الجائعين . وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، لما أفضت اليه الخلافة قال : إني أنزلت نفسي في مال الله سبحانه بمنزلة ولي اليتيم ، إن

استغذيت استعففت ، وإن افتقرت أكلت بالمعروف ، وروي عنه أنه قال : أخبركم بما يحل لي من مال الله سبحانه ، استحل منه حلتي ؛ حلة الشتاء ، وحلة القيظ ، وما أحج عليه وأعتمر ، وقوتي وقوت عيالي ، كقوت رجل من قريش لا من أغنيائهم ولا من فقرائهم ، ثم أنا بعد رجل من المسلمين يصيبني ما أصابهم ، فكيف والفقراء ببابك يتضاغون وذوو الحاجات يترددون ، وأهل الديون والغرم في السجون محبوسون مأسورون ، وأموال المسلمين تحت يديك ، وفي قبضتك ، أما سمعت أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك كلا فعلينا ، أما سمعت قول الله تعالى : (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) (١٠٢) الآية إلى قوله الغارمين

يا أبا يعقوب ! إنه قد كبرت السن وانحلت القوى (واشتعل الراس شيبا) (١٠٣) وأرتحلت الدنيا مدبرة ، وجاءت الآخرة مقبلة ، وحان الفراق ، والتفت الساق بالساق» (١٠٤) ، وجاءت سكرة الموت بالحق» (١٠٥) ، فالبدار البدار الى حياة لاموت فيها وشباب لاهرم معه ، وصحة لاسقم فيها. قال الله تعالى: «ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون» (١٠٦) الى قوله: « ومن فضله».

يروى عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : لما أصيب إخوانكم يوم أحد ، جعل الله أرواحهم في أجواف طير خضر ترد أنهار الجنة ، وتأكل من ثمارها وتسرح من الجنة حيث شاءت ، وتأوي إلى قناديل من ذهب تحت العرش ، فلما رأوا طيب مقيلهم ومطعمهم ومشربهم ، ورأوا ما أعد الله لهم من الكرامة ، قالوا : يا ليت قومنا يعلمون بما نحن فيه من النعيم ، وما صنع الله بنا ، كي يرغبوا في الجهاد ولا يذكلوا عنه . فقال الله تعالى : أنا مخبر عنكم ، ومبلغ اخوانكم ، ففرحوا بذلك واستبشروا ، فأنزل الله تعالى ولاتحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء) - الآية. وقال جل من قائل : (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة) (١٠٧) الى قوله: « الفوز العظيم » ، فما ظنك بتجارة الله مشتريها يوشك والله أن لا تبور.

وقال جل من قائل : (يا ايها الذين آمنوا هل ادلكم على تجارة تنجيكم من عذاب اليم) فلو قطع هنا لانقطعت الاعيان في البحث عن هذه ، لأن الله بفضله وكرمه بين مراده من ذلك ، فقال : "تؤمنون بالله ورسوله" الى قوله "إن كنتم تعلمون" (١٠٨) .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل المجاهد في سبيل الله كمثل الصائم القائم لا يفتر من صلاة ولا صيام حتى يرجع » .

وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « تكفل الله لمن جاهد في سبيل الله لا يخرج من بيته إلا الجهاد في سبيل الله وتصديق كلمته أن يدخله الله الجنة أو يرده الى مسكنه الذي خرج منه مع ما نال من أجر أو غزيمة » وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لولا أن أشق على أمتي لأحببت أن لا تخلف عن سرية تخرج في سبيل الله ، ولكني لأجد ما أحملهم عليه ، ويشق عليهم أن يتخلفوا بعدي ، والذي نفسي بيده لو ددت أن أقاتل في سبيل الله فأقتل ثم أحيا فأقتل ، ثم أحيا فأقتل ، والذي نفسي بيده لا يكلم أحد في سبيل الله ، والله أعلم بمن يكلم في سبيله ، إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثغب دما : اللون لون الدم والريح ريح المسك » .

وقال أنس بن مالك : استشهد عمي يوم أحد وكان قد غاب عن بدر فقال يا رسول الله : إن أشهدني الله قتال المشركين ليرين ما أصنع ، فلما كان يوم أحد قال : إني لأجد ريح الجنة من دون أحد ، قال : فما استطعت يا رسول الله ما أصنع ، فوجدنا بضعا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بالنبل ، ومثل به المشركون ، فنزل فيه وفي أمثاله : (من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا) (١٠٩) .

واعلم يا أبا يعقوب أن الله تعالى فرض الجهاد على كافة المسلمين ولا يردّه جور جائر ، ولا فسق فاسق الى أن تقوم الساعة ، قال الله تعالى : "قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر" (١١٠) الى قوله "صاغرون" ، فلم يرخص لهذه الأمة في ترك جهاد عدوهم إلا

باعطاء الجزية أو كلمة الاسلام ، وهذه الآية نسخت كل آية في كتاب الله تعالى تتضمن أعراض عن المشركين ، وروى أبو بكر الصديق رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما ترك قوم الجهاد إلا عمهم العذاب » .

فجهاد الكفار فرض عليك فيما يليك من ثغور بلاد الأندلس ، لأنك أقرب الملوك إليها ، وعندك الكراع والسلاح ولأمة الحرب والتهام وجيوش المسلمين وحماة البيضة طائعون لك ، وكذلك كل من بنواحيك وجنابات أعمالك من المجاهدين والمقاتلين وأولي البطش والقوة ، وانت في حرج من تضيق من في ثغور أرض الأندلس من جماعة المسلمين والحرم والذراري أفلا تأسيت بمن سافر إليها وأمضى المضي من أرض الحجاز من حماة المسلمين ومجاهديهم حتى استفتحوها وبثوا فيها كلمة الاسلام وشهادة التوحيد ، فكيف بمن يناسخها ويجاورها .

يا أبا يعقوب ! إذا أردت الظفر بالعدو ، فعليك بالعدل في الرعية ، فقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إن وفدا من الوفود قدم عليه بالفتوح فقال له عمر : متى لقيتم عدوكم ؟ فقال : من أول النهار قال : فمتى انهزموا ؟ فقال : من آخر النهار ، فقال عمر : إنا لله وإنا إليه راجعون ، وقام الشك للإيمان من أول النهار حتى اعتدل النهار ؟ والله إن كان هذا إلا عن ذنب أحد ثتموه بعدي أو أحدثه بعدكم ، ولقد استعملت يعلى بن أمية على اليمن استنصر لكم بصلاحه .

وكتب أبو بكر الصديق رضي الله عنه إلى جنده بالشام « وإنما يؤتي العشرة آلاف وأكثر ، إذا أتوا ، من تلقاء الذنوب ، فاحترسوا من الذنوب » .

ومما اتحفك به ، وهو خير لك من طلاع الأرض ذهباً ، لو انفقته في سبيل الله ، حديث رواه الأئمة الثقة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فروى مسلم في كتابه الصحيح (نقل العدل عن العدل)

عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لاتزال طائفة من اهل المغرب ظاهرين على الحق حتى يأتي أمر الله » ، والله اعلم هل ارادكم رسول الله صلى الله عليه وسلم معشر المرابطين او اراد بذلك جملة اهل المغرب ، وما هم عليه من التمسك بالسنة والجماعة وطهارتهم من البدع والاحداث في الدين والاقتفاء لأثار السلف الصالح رضي الله عنهم ، وإنا لنرجو أن تكون أولى مسابقيه ينهون عن الفساد في الأرض .

ولقد كنا في الأرض المقدسة جبر الله مصابها تترى علينا أخبارك وما قمت به من أداء فريضة الله تعالى في جهاد عدوه ، واعزاز دينه وكلمته ، وكان من هناك من العلماء والفقهاء وحماة الدين والعباد والزهاد والمنقطعين الى الله تعالى يدعون الله سبحانه في نصرك وتأيدك والفتح على يدك ، فلئن كنت تستنصر بجنود أهل الأرض ، فقد كنا نستنصر بجنود أهل السماء ، حتى قدم علينا الأرض المقدسة ، الفقيه أبو محمد عبد الله بن العربي وابنه الفقيه الحافظ أبو بكر محمد بن عبد الله فذكرا من سيرتك في جهاد العدو أهلكه الله تعالى في تلك الأندية والمحافل والخلق والمجالس ، وصبرك على مكافحة العدو ومصابرتك ، واعزازك للدين وأهله ، والعلم وحملته ، مازاد المسلمين بصيرة الدعاء لك ، وحسن الاعتقاد فيك ، حتى تمديننا أن نجاهد الكفار معك ، ونكثر سواد المسلمين بحدتك ، نسأل الله تعالى الذي يهب الجزيل من فضله أن يهبنا وإياك الشهادة في سبيله ، ثم اليه سبحانه نضرع أن يريك الحق حقا فتتبعه ، والباطل باطلا فتجتنبه ، فصلاح الرعية بصلاح الراعي .

والفقيه أبو بكر محمد بن عبد الله بن العربي ممن صحبنا أعواما يدارس العلم ويمارسه ، بلوناه وخبرناه ، وهو ممن جمع العلم ووعاه ، ثم تحقق به ورعاه ، وناظر فيه وجد حتى فاق أقرانه ونظرأه ، ثم رحل الى العراق فناظر العلماء وصحب الفقهاء ، وجمع من مذاهب العلم عيونها ، وكتب من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى صحيحه وثابته ، والله تعالى يؤتي الحكمة من

يشاء ، وهو وارد عليك بما يسرك ، فاشدد عليه يديك ، واحفظ فيه
وفي أمثاله وصية الله سبحانه لنبيه عليه السلام ، قال الله سبحانه
وهو أجل القائلين : ”واذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام
عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة“ (١١١) .

والحمد لله رب العالمين ، والسلام عليك ورحمة الله تعالى
وبركاته ، وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد خاتم النبيين وآله
الطيبين الطاهرين ، وسلم وشرف وكرم ، وأفضل وأنعم .

الحواشي والهوامش

الفصل الأول

من أجل دور السريان قبل الاسلام في بلدان الشرق الاقصى وغيرها ، انظر كتاب « ثقافة السريان في القرون الوسطى » ، تأليف نينا بيغ-وليفسكايا ، ترجمة عربية - ط . دمشق - ١٩٩٠
ص ٣٨ - ٤٦

٢ - انظر كتابي التاريخ عند العرب - ط . دمشق ١٩٧٤ ص ١٥٩ - ١٨٨ حيث عده نصوص مدروسة حول نشوء البحرية العربية وفتح جزيرة قبرص أيام الخليفة الراشدي عثمان بن عفان

٣ - ابن عبد الحكم ١٧١ - ١٧٣ تاريخ خليفة ١ / ١٤٩ - ١٥٠ رياض النفوس ٧ / ١ - ٩ جوليان ١ / ٢٧٩ - ٢٩٥ - ٣٢١ - ٣٤٠ البيان المغرب ١٠ / ٢٠١ . تاريخ المغرب العربي ٣ - ٩٤ المغرب عبر التاريخ ١٤ - ٨٧ قادة فتح المغرب العربي ١١ / ٤٨ - ٤٨

٤ - تاريخ خليفة ١ / ١٦٤ - ١٦٥ .
ابن عبد الحكم ١٨٣ - ١٨٧ . الكندي ١١ - ١٤ .
رياض النفوس ١ / ١٤ - ٢٧ البيان المغرب ١٠ / ٣ - ١٠ تاريخ المغرب العربي ٩٨ - ١٢١ .

المغرب عبر التاريخ ٩٢ - ٩٣ . قادة الفتح ١ / ٥٤ - ٧٤
٥ - تاريخ خليفة ١ / ٢٣٤ - ٢٣٨ . ابن عبد الحكم ١٨٠ - ١٨٣ . البلاذري ٢٢٧ - ٢٣١ .

الكندي ١٤ - ٣٤ . رياض النفوس ١ / ٢٨ - ٣٢ . البيان المغرب ١٠ / ١٠ - ١٣
تاريخ المغرب العربي ١٢ - ١٢٤ . المغرب عبر التاريخ ٩٢ - ٩٣
٦ - تاريخ خليفة ١ / ٢٤١ - ٢٤٤ . الطبري ٥ / ٢٢٩ . البلاذري ٢٢٩ . ابن عبد الحكم ١٩٢ - ١٩٤ . أبو العرب ٧١ - ٧٢ . رياض النفوس ١ / ٣٠ . الاستقصاء ١ / ٧٨ - ٧٥ البيان المغرب ١٠ / ١٠ - ١٥ . رحلة التجاني ٦٥ - ٦٨ . تاريخ المغرب العربي ١٢١ - ١٣٢ . المغرب عبر التاريخ ٩٣ - ١٩٤ . قادة الفتح ١ / ٧٥ - ٨٩ .
٧ - تاريخ خليفة ١ / ٢٤٧ - ٢٦٦ . الطبري ٥ / ٢٤٠ . ابن عبد الحكم ١٩٤ - ١٩٦ . أبو العرب ٥٦ - ٥٩ . البلاذري ٢٣٠ . الرقيق ٧ . رياض النفوس ١ / ٣١ - ٣٣ . الاستقصاء ١ / ٧٨ - ٨١ . البيان المغرب ١٠ / ١٣ - ١٦ . تاريخ المغرب العربي ١٤٢ - ١٥٠ . المغرب عبر التاريخ ٩٤ . قادة الفتح ١ / ٩٠ - ١٠٦ .
٨ - تاريخ خليفة ١ / ٢٦٩ - ٢٧٢ . الطبري ٥ / ٢٤٠ . البلاذري ٢٣٠ . ابن عبد الحكم ١٩٧ - ١٩٨ . أبو العرب : ٥٧ . الكندي ٣٨ - ٤٠ . رياض النفوس ٣٣ . البيان المغرب ١٠ / ١٧ . الاستقصاء ١ / ٨٠ - ٨١ . تاريخ المغرب العربي ١٤٩ - ١٥٢ . المغرب عبر التاريخ ٩٤

- ٩ - أبو العرب . ٥٦ - ٦٤ . الرقيق . ٧ - ١٧ . البلاذري . ٢٣٠ . ابن عبد الحكم
١٩٤ - ١٩٩ . رياض الذفوس . ٣٣ / ١ - ٤٤ . البيان المغرب . ١ / ١٧ / ١٩ . الاستقصا
١ / ٨١ - ٨٤ . تاريخ المغرب العربي . ١٥٣ - ١٦٩ . المغرب عبر التاريخ . ٩٥ - ٩٦ . قساة
الفتح . ١ / ٩٧ - ١٣٦ .
- ١٠ - ابن عبد الحكم . ٢٠٠ . البلاذري . ٢٣٠ - ٢٣١ . الرقيق . ١٧ - ٢٢ . رياض
الذفوس . ١ / ٤٦ - ٤٨ . البيان المغرب . ١٠ / ٢٠ - ٢٤ . تاريخ المغرب العربي
١٧٢ - ١٧٩ . المغرب عبر التاريخ : ٩٦ . قساة الفتح . ١٥٠ - ١٧٠ .
- ١١ - تاريخ خليفة . ١٠ / ٣٤٥ - ٣٩٢ . أبو العرب : ٨١ - ٨٢ . البلاذري . ٢٣١
ابن عبد الحكم : ٢٠٣ . الرقيق . ٢٣ - ٣٧ . رياض الذفوس . ١ / ٤٨ - ٥٧ . البيان المغرب .
١ / ٢٢ - ٣١ . الاستقصا . ١ / ٩٢ - ٩٥ . تاريخ المغرب العربي . ٢٠٦ - ٢١٧ . المغرب عبر
التاريخ . ٩٧ - ٩٩ . قساة الفتح : ١ / ٢٢١ - ٢٤٠ .
- ١٢ - تاريخ خليفة . ١ / ٣٩٢ ، ٣٩٧ ، ٤٠٠ . البلاذري . ٢٢٩ - ٢٣٢ . ابن عبد الحكم .
٢٠٣ - ٢٠٤ . الرقيق . ٣٨ - ٣٠ . البيان المغرب . ١ / ٣٢ - ٤٣ . الاستقصا
١ / ٩٥ - ٩٧ . تاريخ المغرب العربي : ٢٠٦ - ٢١٧ . المغرب عبر التاريخ . ٩٧ - ٩٩ . قساة
الفتح . ١ / ٢٢١ - ٢٤٠ .
- ١٣ - ط . دار رياض الريس - لندن ١٩٩١ .
- ١٤ - ابن عبد الحكم . ٢٠٤ - ٢١١ . تاريخ خليفة . ١٠ / ٤٠٤ - ٤٠٩ . الطبري
١ / ٤٦٨ - ٤٨١ . الأغاني . ١٧٠ / ٣٠٤ . ابن القوطية . ٢٨ - ٣٧ . أخبار مجموعة .
٢ - ١٩ . الرقيق . ٤١ - ٥٧ . البلاذري . ٢٣٢ . سراج الملوك . ٥٠٦ - ٥٠٧ . ابن عساكر
١٧ / ٢٠٥ - و ٢٠٨ . و . المعجب . ٩ - ١٢ . جذوة المقتبس . ٤ - ٦ . ابن الكردبوس
٤٢ - ٥٢ . ابن الشباط . ١٣١ - ١٣٥ . ذكر بلاد الأندلس . ٤٤ - و . ظ . البيان المغرب .
١ / ٣٦ - ٤٣ ، ٢ / ٥ - ٢٩ . ابن خلدون . ٦ / ٢٢٠ . دفع الطيب . ١ / ٢١٤ - ٢٥٩
الاستقصا . ١ / ٩٦ - ٩٧ . ب . رينو . ٣٩ - ٤٤ . أرسلان . ٢٨ - ٤٧ . جوليان .
١ / ٣٢١ - ٣٢٣ . دوني . ١٣١ - ١٣٤ . تاريخ المغرب العربي : ٢١٤ - ٢٢٧ .
- ١٥ - ابن عبد الحكم . ٢١١ - ٢١٥ . تاريخ خليفة . ١ / ٤٣٠ . العنزي . ٤ - ٧ . ابن
القوطية . ٣٧ - ٣٨ . أخبار مجموعة . ١٩ - ٢٢ . الرقيق . ٥٨ - ٦١ . البيان المغرب :
٢ / ٣٠ - ٣٢ . المعجب : ١٢ - ١٣ . جذوة المقتبس . ٦ . ذكر بلاد الأندلس . ٤٤ - ظ
الاستقصا . ١ / ١٠٠ . أرسلان . ٤٧ . رينو . ٤٤ . المسلمون في أوروبا . ٩٤ - ١٠١ . تاريخ
المغرب العربي . ٢٣٠ - ٢٣١ .
- ١٦ - ابن عبد الحكم . ١٢٦ - ٢١٧ . ابن القوطية : ٣٩ . أخبار مجموعة . ٢٢ - ٢٥ .
البيان المغرب . ٢٠ / ٣٣ - ٣٥ . المقرئ . ١ / ٢٢٠ . الاستقصا . ١٠ / ١٠٥ . رينو . ٥٠ - ٧٢ .
أرسلان : ٧١ - ١٠٤ . طرخان . ١٠٢ - ١١٦ . الحجى : ١٨٥ - ٢٠٣ .
- ١٧ - أخبار مجموعة . ٣٠ - ٦٧ . ابن القوطية : ٣٨ - ٤٦ . ابن عبد الحكم .
٢١٦ - ٢٢٥ . الرقيق - ط . أولى - ١٠٤ - ١٢٢ . البلاذري . ٢٢٣ . البيان المغرب .
١ / ٤٨ - ٦٤ ، ٢ / ٣٩ - ٥٥ . دفع الطيب . ١ / ٢٢٠ - ٢٢٣ . الاستقصا . ١ / ١١٨ .
رينو . ٧٢ - ٨٥ . دوني : ١٣٨ - ١٧٦ . أرسلان . ٧١ - ١١٣ . الحجى . ٢٠٣ - ٢٠٦ .
- ١٨ - ابن القوطية . ٤٥ - ٦٥ . العنزي . ١ ، ٢٥ - ٢٦ ، ١٠١ ، ١١٧ - ١٢٠ . أخبار
مجموعة : ٤٦ - ١٢١ . ابن الأبار : ١ / ٣٥ - ٤٢ . الرقيق : ١٢٣ - ١٤٨ . البيان المغرب .
١ / ٦٥ - ٧٨ ، ٢ / ٥٦ - ٩٠ . جذوة المقتبس . ٩ - ١٠ . ذكر بلاد الأندلس .
٤٥ - و . ٤٩ - و . ابن الكردبوس : ٥٥ - ٥٧ . الاستقصا : ١ / ١١٩ . المعجب :

- ١٦ - ١٨ . نفع الطيب ١٠ / ٣٠٦ - ٣١٣ . دوزي ١٦٨ - ٢٣٦ . أرسلان ١٢٠٠ - ١٢٣ . رينو ٨٦ - ١٠٧ . طرخان : ١٢٠ - ١٣٨ .
- ١٩ - ابن القوطية ٦٤ - ٦٧ . أخبار مجموعة ١٢٠ - ١٢٤ . العذري ٢٦٠ ، ٩٠ ، ٩١ . ١٠١ ، ١٥٣ ، ١٧١ . البيان المغرب ١ / ٢ - ٩١ - ١٠١ . جذوة المقتبس ١١ . ابن الأبار ١ / ٤٢ - ٤٣ . المعجب ١٩ . نفع الطيب ١ / ٣١٣ - ٣١٧ . أرسلان ١٢٦٠ - ١٢٩ . رينو ١٠٨ - ١١٤ . طرخان ١٣٩ - ١٤١ .
- ٢٠ - ابن القوطية ٦٧ - ٨٠ . أخبار مجموعة ١٢٤ - ١٣٥ . العذري ٢٧٠ ، ٩٣ ، ١٠٩ - ١١١ . جذوة المقتبس ١١٠ . ابن الأبار ١٠ / ٤٣ - ٥٠ . المعجب ١٩٠ - ٢٢٠ . نفع الطيب ٣١٧ - ٣٢٢ . البيان المغرب ٢ / ١٠٢ - ١٢٠ . أرسلان ١٣٢ - ١٤٦ . رينو ١١٥ - ١٣٢ .
- ٢١ - ابن القوطية : ٨٠ - ٩١ . أخبار مجموعة ١٣٥ - ١٤١ . المقتبس ١٦٣ - ٢٢٩ . العذري : ٥ - ٦ ، ٢٩ - ٣٠ ، ٩٣ ، ٩٨ - ١٠٠ . جذوة المقتبس ١١٠ . البيان المغرب ٢ / ١٢١ - ١٤٠ . ابن الأبار ١ / ١١٣ - ١١٩ . نفع الطيب ١ / ٣٢٢ - ٣٢٨ . أرسلان ١٣٩ - ١٥٩ . رينو ١٣١ - ١٣٨ .
- ٢٢ - ابن القوطية ٩٦ - ١٣٣ . أخبار مجموعة ١٤١ - ١٥٣ . العذري ٢٧ - ٣٩ ، ٤١ - ٤٩ - ٥٣ - ٦٥ . جذوة المقتبس ١١ - ١٢ . وصلنا جزء من المقتبس لابن حيان عن عهد الأمير عبد الله نشر في فرنسا ثم أعيد نشره في الدار البيضاء ١٩٩٠ . البيان المغرب ٢ / ١٤١ - ٢٣٤ . ابن الأبار : ١ / ١١٩ - ١٣٤ . نفع الطيب ١ / ٣٢٨ - ٣٢٩ . أرسلان ١٥٦ - ١٦٧ .
- ٢٣ - رينو : ١٤٥ - ١٩٩ . أرسلان ١٦٠ - ٢٠٣ . طرخان ١٥٢ - ١٥٨ .
- ٢٤ - خير التفاصيل عن الشطر الأكبر من عهد عبد الرحمن الناصر في الجزء الخامس من المقتبس لابن حيان - ط . مدريد ١٩٧٩ . أخبار مجموعة ١٥٣ - ١٦٥ . البيان المغرب ٢ / ٢٣٤ - ٣٤٧ . العذري ٩ - ١٥ ، ٣٩ ، ٤٥ ، ٦٧ - ٨٦ ، ١٠٦ ، ١١٢ ، ١٢٢ - ١٣٤ ، ١٧٥ ، البكري ٧٢ . ابن الأبار ١٠ / ١٩٧ - ٢٠٠ . جذوة المقتبس ١٣٠ . نفع الطيب ١ / ٣٣٠ - ٣٥٨ . أرسلان ١٦٨ - ١٨٢ . منخل إلى تاريخ الحروب الصليبية ٣٢١ - ٣٤٤ .
- ٢٥ - العذري ١٠٦ ، ١٢١ ، ١٢٣ . ابن حيان ط . بيروت ١٩٦٥ ١٩ - ٢٤٣ . جذوة المقتبس ١٣ - ١٧ . البيان المغرب ٢ / ٣٤٨ - ٣٧٦ . الحلة السرياء ١ / ٢٠٠ - ٢٠٦ . نفع الطيب : ١ / ٣٥٨ - ٣٧٢ . أرسلان ١٨٢ - ١٨٥ .
- ٢٦ - لسان الدين ابن الخطيب - أعمال الاعلام ١ / ١٤٤ .
- ٢٧ - المعجب ١٠١ - ١٠٢ .
- ٢٨ - النخبة لابن بسام : ق ٤ م ١ ص ١٤٧ - ١٤٩ .
- ٢٩ - الحلة السرياء ٢ / ٥٤ - ٧٠ . المعجب ٧٠ - ١٤٦ . دوزي - دول الطوائف . ٦ - ٣٨ . الحجي ٣٢٣ - ٣٩١ .

الفصل الثاني

- ١ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك للقاضي عياض - نشر دار الحياة بيروت ج ٤ ص ٧٠٢ .
- ٢ - بيوتات فاس الكبرى - ط . الرباط ١٩٧٢ ص ٤٤ - ٤٥ .
- ٣ - المدارك ج ٤ ص ٧٠٦ . مجلة البنية - العدد الثالث - الرباط تموز ١٩٦٢ ص ٦٧ .
- د بحث عبد القادر رزمادة عن أبي عمران الغفجومي ،
- ٤ - مجلة البنية . البحث نفسه ص ٦٧ ومن أجل اوضاع فاس في أيام أبي عمران انظر الانيس المطرب في روض القرطاس ، المذسوب لابن أبي زرع . ط . الرباط ١٩٧٣ ص ١٠٢ - ١١٨
- ٥ - اهتم بهذا الموضوع عدد كبير من المؤرخين العرب المتقدمين وكان مدار أبحاث عدد كبير من المستشرقين والعرب في عصرنا ، انظر من ذلك تاريخ ابن خلدون - ط . بيروت ١٩٥٨ ج ٤ ص ١٣٠ - ١٣٢ لسان اللين ابن الخطيب - أعمال الاعلام (نشر القسم الثالث منه باسم تاريخ المغرب في العصر الوسيط - الدار البيضاء ١٩٦٤) ص ٧٢ - ٧٦ عبد الواحد المراكشي - المغرب في تلخيص أخبار المغرب . ط . القاهرة ١٩٤٩ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ ابن ميسر - أخبار مصر - ط . القاهرة ١٩٨١ ص ١٧ ابن عذاري - البيان المغرب - ط . بيروت ١٩٨٠ ج ١ ص ٢٧٣ - ٣٧٤ - ٣٨٠ . حسن حسني عبد الوهاب - خلاصته تاريخ تونس - ط . تونس ١٩٦٨ ص ١١١ - ١١٣ شارل أندري جولييان - تاريخ افريقيا الشمالية - ترجمة عربية - ط . تونس ١٩٧٨ ج ٢ ص ٩٠ - ٩٩ . عفيفي محمود ابراهيم - بنو زيري وعلاقتهم السياسية بالقوى الاسلامية في حوض البحر المتوسط ط . القاهرة ١٩٨٩ ص ٨١ - ٨٥ .
- ٦ - روض القرطاس ص ١٢٢ - ١٢٣ .
- ٧ - بيوتات فاس الكبرى ص ٤٥ .
- ٨ - بيوتات فاس ص ٢٧ - ٢٨
- ٩ - مجهول الحلال الموشية في ذكر الاخبار المراكشية - ط . الدار البيضاء ١٩٧٨ ص ٢٣ .
- ١٠ - البكري ص ١٦٤ - ١٦٦ .
- ١١ - نهاية الأرب ج ٢٤ ، ط . القاهرة ١٩٨٣ ص ٢٥٣ - ٢٥٩
- ١٢ - الكامل لابن الاثير - ط . القاهرة (مطبعة الاستقامة) ج ٨ ص ٧٤ .
- ١٣ - الكامل ج ٨ ص ٧٥ .
- ١٤ - التشوف إلى رجال التصوف للتادلي - ط . الرباط ١٩٥٨ ص ٦٦ .
- ١٥ - بيوتات فاس ص ٢٨ .
- ١٦ - روض القرطاس ص ١٢٢ .
- ١٧ - روض القرطاس ص ١٢٤
- ١٨ - روض القرطاس ص ١٢٤ .
- ١٩ - روض القرطاس ص ١٢٢
- ٢٠ - روض القرطاس ص ١٢٤ - ١٢٥ .
- ٢١ - سورة آل عمران - الآية : ١٩٩ .
- ٢٢ - في كتاب رياض الدفوس للمالكي مائة ممتازة حول الحياة في الاربطة أحسن استغلالها وعرضها المرحوم حسن حسني عبد الوهاب في كتابه أوراق .

- ٢٣ - ابن خلدون ج ٦ ص ٣٧٤
 ٢٤ - روض القرطاس ص ١٢٥ - ١٢٦
 ٢٥ - روض القرطاس ص ١٢٦
 ٢٦ - روض القرطاس ص ١٢٦ .
 ٢٧ - انظر محمد عبد الهادي شعيرة - المرباطون - ط . القاهرة ١٩٦٩ ص ١٥ - ١٦
 الحبيب الجنحاني - المغرب الاسلامي - الحياة الاقتصادية والاجتماعية - ط - تونس ١٩٧٨
 ص ١٤٣ - ٢١٧ .
 ٢٨ - الشريف الادريسي - نزهة المشتاق في اختراق الافاق - ط . القاهرة ، مكتبة الثقافة
 اللبنيية ج ١ ص ٢٢٣ . البكري ص ١٦٤ . الحلل الموشية ص ١٧ . ابن خلدون ج ٦
 ص ٣٧٠ - ٣٧١ . الاستقصا للناصري ج ٢ ص ٣ . عبد الوهاب بن منصور - قبائل المغرب ،
 ط . الرباط ١٩٦٨ ص ٣٢٨ - ٣٣٥
 ٢٩ - نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .
 ٣٠ - البكري ص ١٦٤ - ١٦٦ .
 ٣١ - أبو عبد الله محمد بن أبي بكر الزهري - كتاب الجغرافية (نشر في دورية المعهد الفرنسي
 بدمشق العدد ٢١ سنة ١٩٦٨) ص ١٨٩
 ٣٢ - من المفيد العودة إلى دراسة ماك كول حول الروايات التاريخية عن تأسيس سجدماسا
 وغانة ، ترجمة عربية ، ط . الدار البيضاء ١٣٩٥ هـ . المغرب العربي للحبيب الجنحاني - ص
 ١٤٣ - ١٩٠
 ٣٣ - المغرب العربي للجنحاني ص ١٩٣ - ١٩٤ .
 ٣٤ - الادريسي ص ٢٢٦ . عصمت عبد اللطيف بندش - دور المرباطين في نشر الاسلام في
 غرب افريقيا - ط . بيروت ١٩٨٨ ص ٣٢ - ٣٦ .
 ٣٥ - روض القرطاس ص ١٢٦
 ٣٦ - روض القرطاس ص ١٢٦ أعمال الاعلام ص ٢٢٨ .
 ٣٧ - البكري ص ١٦٦ - ١٦٧ .
 ٣٨ - روض القرطاس ص ١٢٧ .
 ٣٩ - البكري ص ١٩٦٨ الجنحاني ص ٢٠٢ - ٢٠٣ روض القرطاس ص ١٢٧ .
 ٤٠ - روض القرطاس ص ١٢٧ - ١٢٨ أعمال الاعلام ص ٢٢٩ . البكري ص ١٦٧
 البيان المغرب ج ٤ ص ١٣ . ابن الاثير ج ٨ ص ٧٥ . نهاية الارب ج ٢٤ ص ١٣ . ابن الاثير
 ج ٨ ص ٧٥ . نهاية الارب ج ٤ ص ٢٦٠ الحلل الموشية ص ٢٢ . بيوتات فاس الكبرى
 ص ٢٩ . ابن خلدون ج ٦ ص ٣٧٥ .
 ٤١ - البكري ص ١٦٧ .
 ٤٢ - النويري ج ٢٤ ص ٢٦١ . البكري ١٦٧
 ٤٣ - البكري ص ١٦٧ - ١٦٨ .
 ٤٤ - صالح بن قربة - المسكوكات المغربية من الفتح الاسلامي إلى سقوط دولة بني
 حماد - ط . الجزائر ١٩٨٦ ص ٥٣٥ - ٥٣٨ .
 ٤٥ - نهاية الارب ج ٢٤ ص ٢٦١ . المسكوكات المغربية ص ٥٣٧ .
 ٤٦ - نهاية الارب ج ٢٤ ص ٢٥٩ - ٢٦٠ .
 ٤٧ - البكري ص ١٧٠ . روض القرطاس ص ١٣٤ . بيوتات فاس الكبرى ص ٢٩ . النويري
 ج ٢٤ ص ٢٥٩ - ٢٦١ أعمال الاعلام ص ٢٣٢ . ابن خلدون ج ٦ ص ٣٧٦ - ٣٧٧
 البيان المغرب ج ٤ ص ١٦ - الحلل الموشية ص ٢٣ . الاستقصاء ج ٢ ص ١٤ - ٢١ . قبائل
 المغرب ص ٣٢٢ - ٣٢٣ .
 محمود اسماعيل - مغربيات - ط . فاس ١٩٧٧ ص ١٥ - ٥٤ . رجب محمد عبد

- الحليم - دولة بني صالح في تادمنا - ط . القاهرة ١٩٩١ ص ١٠٠ - ١٠١ . محمد عبد الهادي شعيرة - المرابطون - ط . القاهرة ١٩٦٩ ص ٦٤ - ٦٥ . ندش ص ٨٨ - ١٠٣ . جولييان ج ٢ ص ١٠٦ - ١٠٨ .
- ٤٨ - روض القرطاس س ص ١٣٥ .
- ٤٩ - روض القرطاس ص ١٣٥ . ابن عذاري ح ٤ ص ٢٣ - ٢٤ . الحلل الموشية ص ٢٥ .
- ٥٠ - روض القرطاس ص ١٣٥ . ابن خلدون ج ٦ ص ٣٧٧ . أعمال الاعلام ص ٢٣٣ .
- الاستقصا ج ٢ ص ٢٢ . العباس بن ابراهيم - الاعلام بمن حل مراكيش وأغمات من الاعلام - ط . الرباط ١٩٧٤ ج ١ ص ٢٠٤ .
- ٥١ - المسكوكات المغربية ص ٣٥٧ - ٣٥٨ . قبر أبي بكر بن عمر في منطقة تكانت في ولاية تجكجا التي كانت تعرف باسم الولاية التاسعة في مورتيا .
- ٥٢ - الكامل لابن الأثير ج ٨ ص ٧٦ . نهاية الأرب ج ٢٤ ص ٢٦١

الفصل الثالث

- ١ - نزهة المشتاق ج ١ ص ٢٢٥ . روض القرطاس ص ١٣٦ . الحلل الموشية ص ٢٤ .
- ٢ - وفيات الاعيان لابن خلكان - ط . القاهرة . ١٣١ هـ ج ٢ ص ٣٦٥ .
- ٣ - الزمري - الجغرافية ص ١٩١ - ١٩٢ .
- ٤ - الحلل الموشية ص ١٥ - ١٦ .
- ٥ - الحلل الموشية ص ١٦ - ٢٣ .
- ٦ - روض القرطاس ١٣٨ - ١٣٩ .
- ٧ - مراکش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي - من منشورات جامعة القاضي عياض - ط . الدار البيضاء ص ١٥ - ١٩ (بحث الدكتور أحمد التوفيق) وص ٢١ - ٢٥ (بحث ليفي بروفسال) وص ٧١ (بحث الدكتور الكريم الصوهي مولاي ابراهيم) .
- ٨ - وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٦٥ - ٣٦٦ .
- ٩ - مراکش من التأسيس إلى آخر العصر الموحدي ص ٧٢ - ٧٣ .
- ١٠ - وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٧٠ . مراکش ص ٧٢ .
- ١١ - وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٦٥ .
- ١٢ - تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٤٣٤ .
- ١٣ - وصف إفريقيا اليوم الافريقي - ترجمة عربية - ط . الرياض ١٣٩٩ ص ٢٠٠ - ٢٠١ .
- ١٤ - البيان المغرب ٤٠ ص ٢٨ . الحلل الموشية ص ٢٨ .
- ١٥ - البكري ص ١٤١ .
- ١٦ - روض القرطاس ص ١٤١ .
- ١٧ - روض القرطاس ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- ١٨ - الحلل الموشية ص ٢٥ .
- ١٩ - البيان المغرب ٤٠ ص ٢٩ - ٣٠ .
- ٢٠ - جني زهرة الاس في بناء مدينة فاس لعلي الجزنائي - ط . الرباط ١٩٦٧ ص ٤٠ - ٤١ . روض القرطاس ص ١٤١ . الحلل الموشية ص ٢٨ . البيان المغرب ج ٤ ص ٢٨ . أعمال الاعلام ص ٢٣٥ . تاريخ ابن خلدون ج ٦ ص ٣٧٩ . الاستقصا ج ٢ ص ٢٧ - ٢٩ .
- ٢١ - روض القرطاس ص ١٤١ الجزنائي ص ٤١ .
- ٢٢ - الحلل الموشية ص ٢٨ - ٣٣ . روض القرطاس ص ١٤٠ - ١٤٣ . الاستقصا ج ٢ ص ٢٨ - ٣١ .
- ٢٣ - وفيات الاعيان ج ٢ ص ٣٦٦ .
- ٢٤ - روض القرطاس ص ١٤٢ .
- ٢٥ - الحلل الموشية ص ٢٩ . البيان المغرب ج ٤ ص ٢٧ - ٢٨ .
- ٢٦ - جذوة المقتبس للحميدي - ط . القاهرة ١٩٥٢ ص ٢٨ - ٢٩ ، ٧٣ .
- ٢٧ - النخبة لابن بسام ج ١ ، ط . القاهرة ١٩٣٠ ص ٤٢ .
- ٢٨ - أعمال الاعلام للسان الدين ابن الخطيب ج ١ ، ط . بيروت ١٩٥٦ ص ٥٩ .
- ٢٩ - ابن عذاري - البيان المغرب - ط . بيروت ١٩٨٠ ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٥٨ .
- ٣٠ - ابن بسام ج ٤ ص ١ ، ط . القاهرة ١٩٤٥ ص ٤٠ .

- ٣١ - ابن عذاري ج ٢ ص ٢٥٧ - ٢٦٠ .
- ٣٢ - ابن عذاري ج ٢ ص ٢٦٥ .
- ٣٣ - أعمال الاعلام ج ١ ص ٥٨ - ٦٦ . وامتلك في مكتبتي على نسخة مصدرة عن مخطوطة ذكر بلاد الأندلس .
- ٣٤ - البيان المغرب ج ٢ ص ٢٨١ - ٢٨٢ .
- ٣٥ - أعمال الاعلام ج ١ ص ٦٥ .
- ٣٦ - البيان المغرب ج ٢ ص ١٨١ - ٢٨٦ .
- ٣٧ - مطمح الأندلس ومسرح التانوس في ملح أهل الأندلس للفتح بن خاقان الاشبيلي - ط . بيروت ١٩٨٣ ص ٣٨٨ - ٣٨٩
- ٣٨ - مذكرات الأمير عبد الله - أو كتاب التبيان - ط . القاهرة ١٩٥٥ ص ١٦ - ١٨ .
- ٣٩ - مذكرات الأمير عبد الله ص ١٨ .
- ٤٠ - أعمال الاعلام ج ١ ص ٨٠ - ٨١ البيان المغرب ج ٢ ص ٢٩٣ ، ٣٠١ .
- ٤١ - البيان المغرب ج ٣ ص ٣ .
- ٤٢ - البيان المغرب ج ٣ ص ٣ .
- ٤٣ - البيان المغرب ج ٣ ص ٣ .
- ٤٤ - البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨ .
- ٤٥ - البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨ .
- ٤٦ - البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨ - ٣٩ .
- ٤٧ - البيان المغرب ج ٣ ص ٣٨ - ٥٠ .
- ٤٨ - أعمال الاعلام ج ١ ص ١٤٥ - ٢٣٠ .
- ٤٩ - المعجب ص ٧٠ - ٧٥ ، ٩٢ - ٩٣ .
- ٥٠ - تاريخ الأندلس لابن الكردبوس - ط . مدريد ١٩٧١ ص ٧٤ - ٧٦ .
- ٥١ - أزهار البساتين في أخبار الأندلس على عهد المرابطين والموحدين تأليف جان نجيروم طارو ، ترجمة عربية - ط . الرباط ١٣٤٩ هـ . ص ٢٣ .
- ٥٢ - الفخري في الآداب السلطانية - ط . القاهرة - مطبعة محمد علي صبيح - ص ٦٥
- ٥٣ - مذكرات الأمير عبد الله ص ٧٣ .
- ٥٤ - مذكرات الأمير عبد الله ص ٧٣ .
- ٥٥ - مذكرات الأمير عبد الله ص ٧٣ .
- ٥٦ - مذكرات الأمير عبد الله ص ٧٥
- ٥٧ - ملوك الطوائف للمستشرق دوزي - ترجمة عربية - ط . القاهرة (بلا تاريخ)
- ص ٥٠٦ - ٢٠٧ .
- ٥٨ - النخيرة لابن بسام (ط . بيروت) ق ٤ . ج ١ ص ١٦٥
- ٥٩ - ملوك الطوائف ص ٢٧٢ - ٢٧٣ .
- ٦٠ - ابن الكردبوس ص ٨٧ - ٨٩ .
- ٦١ - ابن الكردبوس ص ٧٦ - ٧٨ .
- ٦٢ - ابن الكردبوس ص ٨٩ .
- ٦٣ - الحلل الموشية ص ٤١ - ٤٢ .
- ٦٤ - ابن الكردبوس ص ٨٩ .
- ٦٥ - الحلل الموشية ص ٣٣ .
- ٦٦ - مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠١ - ١٠٢ .
- ٦٧ - ابن الكردبوس ص ٨٩ - ٩٠ .
- ٦٨ - مذكرات الأمير عبد الله ص ١٠٢ .

- ٦٩ - الحلل الموشية من ٤٢ - ٤٣ .
٧ - الحلل الموشية من ٣٣
٧١ - الحلل الموشية من ٣٨ .
٧٢ - الحلل الموشية من ٤٩ - ٥٠ .
٧٣ - الحلل الموشية من ٤٤ - ٤٥
٧٤ - الحلل الموشية من ٥١ .
٧٥ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٠٣ .
٧٦ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٠٢
٧٧ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٠٢ - ١٠٣
٧٨ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٠٣ .
٧٩ - الحلل الموشية من ٥١ .
٨٠ - لاتملك المملكة المغربية الآن أيا من الطرفين فهما مورعان بين ادكثرا واسبابيا
٨١ - روض القرطاس من ١٤٥ - ١٤٦
٨٢ - الحلل الموشية من ٥١ - ٥٢
٨٣ - من مدن الثغر الانسى قريية من مارة الروص المعطار
٨٤ - من مدن الثغر الأعلى
٨٥ - الحلل الموشية من ٣٤ - ٣٥
٨٦ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٠٤ .
٨٧ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٠٤
٨٨ - الحلل الموشية من ٥٦
٨٩ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٠٤ - ١٠٥
٩٠ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٠٥
٩١ - روض القرطاس من ١٤٦ .
٩٢ - الحلل الموشية من ٥٣ - ٥٤ .
٩٣ - الحلل الموشية من ٥٧
٩٤ - الحلل الموشية من ٥٩
٩٥ - الحلل الموشية من ٥٩ - ٦٠ .
٩٦ - ابن الكردبوس من ٩٤
٩٧ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٠٦
٩٨ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٠٦ روض القرطاس من ١٤٦ - ١٤٩ الحلل الموشية
من ٦٠ - ٦٢ الروص المعطار ، مائة رلاقه ،
٩٩ - الديكري من ١٦٦
١٠٠ - الحلل الموشية من ٦١ - ٦٢
١٠١ - الروص المعطار ، مائة رلاقه
١٠٢ - الحلل الموشية من ٦٥ - ٦٦
١٠٣ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٠٦ - ١٠٧
١٠٤ - الحلل الموشية من ٦٦
١٠٥ - روض القرطاس من ١٥١ - ١٥٢
١٠٦ - اطر الملاحق

الفصل الرابع

- ١ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٠٧
- ٢ - الحلل الموشية ص ٦٧ .
- ٣ - الحلل الموشية ص ٦٧ .
- ٤ - الحلل الموشية ص ٦٧ .
- د - الحلل الموشية ص ٦٧ .
- ٥ - روض القرطاس ص ١٥٢ .
- ٦ - الحلل الموشية ص ٦٧ - ٦٨ .
- ٧ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٠٨ .
- ٨ - روض القرطاس ص ١٥٢ .
- ٩ - الحلل الموشية ص ٦٩ - ٧٠ .
- ١٠ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٠٩ - ١١١ .
- ١١ - مذكرات الامير عبد الله ص ١١٦ - ١٢٩ .
- ١٢ - المعجب ص ١٣٨ - ١٣٩ .
- ١٣ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٢٦ .
- ١٤ - مذكرات الامير عبد الله ص ١١٦ - ١٢١ .
- ١٥ - المؤنس في اخبار إفريقية وتونس لابن أبي دينار - ط . تونس ١٩٦٧ ص ١٠٨ .
- ١٦ - الحلل الموشية ص ٧١ .
- ١٧ - سورة الاسراء - الآية : ٨١ .
- ١٨ - سورة الاسراء - الآية : ٨١ .
- ١٩ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٤٦ - ١٥٠ .
- ٢٠ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٤٩ - ١٥٠ .
- ٢١ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٥٠ - ١٦١ .
- ٢٢ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٢ - ١٦٣ .
- ٢٣ - الحلل الموشية ص ٧١ - ٧٢ .
- ٢٤ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٤ - ١٦٥ .
- ٢٥ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٥ - ١٦٧ .
- ٢٦ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٨ - ١٦٩ .
- ٢٧ - المعجب ص ١٣٩ .
- ٢٨ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٩ .
- ٢٩ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٩ - ١٧١ . المعجب ص ١٤٠ - ١٤٢ . الحلل الموشية ص ٧٢ - ٧٤ . روض القرطاس ص ١٥٤ - ١٥٥ . نهاية الاربع ٢٤ ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .
- ٣٠ - المعجب ص ١٤٣ - ١٤٤ .
- ٣١ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٧١ .
- ٣٢ - ازهار البساتين ص ٧١ - ٧٢ .
- ٣٣ - مذكرات الامير عبد الله ص ١٦٧ - ١٦٨ .
- ٣٤ - روض القرطاس ص ١٥٥ - ١٥٦ .

- ٣٥ - مذكرات الأمير ، الله من ١٧٢ .
٣٦ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٧٣ .
٣٧ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٧٣ - ١٧٤ .
٣٨ - مذكرات الأمير عبد الله من ١٧٥ .
٣٩ - الحلل الموشية من ٧٥ - ٧٦ .
٤٠ - الحلل الموشية من ٨١ - ٨٢ . وتم الاستيلاء على الثغر الأعلى من قبل المرابطين سنة ٥٠٣ هـ / ١١٠٩ م ، بعد وفاة يوسف بن تاشفين وولاية ابنه علي بن يوسف ، وبذلك غدت بيار الاندلس كلها ولاية مغربية .
٤١ - الحلل الموشية من ٧٧ - ٧٨ .
٤٢ - المعجب من ١٦٣ - ١٦٤ .
٤٣ - المعجب من ١٦٢ - ١٦٣ .
٤٤ - الحلل الموشية من ٨١ - ٨٣ .
٤٥ - ازهار البساتين من ٧٥ - ٧٦ .

الفصل الخامس

- ١ - انظر كتابي التاريخ عند العرب - ط . دمشق ١٩٧٤ ص ١٦٠ - ١٨٨
- ٢ - البحر المتوسط لأميل لودفيغ - ترجمة عربية ط . القاهرة ١٩٥٢ ص ٤٢٢ - ٤٢٤ .
- ٣ - ابن عذاري ج ١ ص ١٠٦١ . الدولة الاغلبية لحمد الطالبي - ترجمة عربية ، ط . بيروت ١٩٨٥ ص ٤٢٢ - ٤٢٥ . المسلمون في جزيرة صقلية لاحمد توفيق المنني - ط . الجزائر ١٣٦٥ ص ٥٢ - ٥٦ .
- ٤ - جمع المرحوم الاستاذ حسن حسني عبد الوهات مائة جيدة حول هذا الموضوع في كتابه أوراق فليراجع .
- ٥ - رياض النفوس للمالكي - ط . بيروت ١٩٨٣ ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٧٣ المقفى للمقرئزي - ط . بيروت ١٩٩١ ج ٢ ص ٥٩ - ٦٢ البيان المغرب ج ١ ص ١٠٢ - ١٠٣ .
- ٦ - الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ١٨٦ - ١٨٧ .
- ٧ - رياض النفوس ج ١ ص ٢٥٤ - ٢٧٣ . أعمال الاعلام ج ٣ ص ١٠٩ - ١١١ والمقفى للمقرئزي ج ٢ ص ٥٩ - ٦٢ . البيان المغرب ج ١ ص ١٠٢ - ١٠٣ الكامل لابن الاثير ج ٥ ص ١٨٦ - ١٨٨ . المسلمون في جزيرة صقلية وجنوب ايطاليا لاحمد توفيق المنني ص ٥٧ - ٦٣ . تاريخ صقلية الاسلامية لعزیز أحمد - ترجمة عربية ، ط . ليبيا ١٩٨٠ ص ١٣ - ١٥ . الدولة الاغلبية لحمد الطالبي - ط . بيروت ١٩٨٥ ص ٤٣١ - ٤٦٧ .
- ٨ - المكتبة الصقلية ص ٤ ، ٢٥ - ٢٧ .
- ٩ - المكتبة الصقلية ص ٧٤ - ٧٥ .
- ١٠ - المكتبة الصقلية ص ٢٥ - ٧٤ .
- ١١ - أعمال الاعلام ج ٣ ص ١٠٩ - ١٢١ . المكتبة الصقلية ص ١٦٣ - ٥٤٥ المنني . ص ٦١ - ١٠٠ . عزيز أحمد ص ١٣ - ٣١ العرب في صقلية ص ٣١ - ٥٧ . تاريخ المسلمين في البحر المتوسط لحسين مؤنس - ط . القاهرة ١٩٩١ ص ٦٦ - ٧٦ . بيزنطة ومسلمو جنوب ايطاليا وصقلية لويبع فتحي عبد الله . ط . الاسكندرية ١٩٩٢ ص ٧ - ٢٨ . الدولة الاغلبية ص ٤٤٩ - ٥٩٩ .
- ١٢ - أضواء جديدة على المرابطين لعصمت عبد اللطيف بندقش - ط . بيروت ١٩٩١ ص ١١ - ٣٦ .
- ١١ - أعمال الاعلام ج ٣ ص ١٢٣ .
- ١٤ - أعمال الاعلام ج ٣ ص ١٢٩ - ١٣٠ . المكتبة الصقلية ص ٤٧٩ - ٤٨٥ . المنني ص ١٢٣ - ١٦٤ . عزيز أحمد ص ٣٧ - ٤٨ العرب في صقلية ص ٤٤ - ٤٩ .
- ١٥ - المكتبة الصقلية ص ٢٥ - ٣٦ .
- ١٦ - القوى البحرية والتجارة في حوض البحر المتوسط لارشيد بالك لوديس - ترجمة عربية ، ط . القاهرة ص ٣٧٩ - ٣٨٠ .
- ١٧ - درس تاريخ جزر البليار بشكل جيد في كتاب جزر الأندلس المنسية للدكتور عصام سالم سبسال ، ط . بيروت ١٩٨٤
- ١٨ - مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٩ - ٤٥٠
- ١٩ - مقدمة ابن خلدون ص ٤٤٧ - ٤٥٠ .
- ٢٠ - الولاة والقضاة للكندي - ط . بيروت ١٩٠٨ ص ١٥٨ .
- ٢١ - الكندي ص ١٥٤ - ١٦٤ .

- ٢٢ - الكندي ص ١٦٥ - ١٧٢
٢٣ - كتابي تاريخ العرب والاسلام - ط بيروت ١٩٧٥ ص ٤٦٦ .
٢٤ - روض القرطاس ص ٤٧ .
٢٥ - الحلة السيرة - ط القاهرة ١٩٦٣ ج ١ ص ٤٥
٢٦ - الكندي ص ١٨٣ - ١٨٤ .
٢٧ - العرب والروم لفازلييف - ترجمة عربية - ط القاهرة ص ٥٥ . الامبراطورية
البيزنطية وكريت الاسلامية لاسمت غنيم - ط جدة ١٩٧٧ ص ٤١ - ٤٢ .
٢٨ - العرب والروم ص ٧٥ غنيم ص ٤٣
٢٩ - العرب والروم ص ٥٨ . غنيم ص ٤٥ - ٤٦
٣٠ - فازلييف ص ٦٠ - ٦١ غنيم ص ٤٩ - ٥٧ .
٣١ - غنيم ص ١٩٤ - ٢٠٦ .
٣٢ - مقدمة ابن خلدون ص ٤٥٠ - ٤٥٤ .

حواشي الملاحق

- ١ - سورة محمد - الآية : ٣٥ .
- ٢ - عبد الرحمن بن عبد العزيز النصراني ، وتسمية المصادر المسيحية « كرسثو بولوص » ،
- ٣ - كذا بالأصل ، والصحيح « عبد الله » .
- ٤ - زيد مابين الحاصرتين من نهاية الأرب للذويري ج ٢٤ ص ٢٥٧ .
- ٥ - انحنى أمامه مسلما عليه .
- ٦ - بداية سقط بالأصل - انظر اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ١٩٩ .
- ٧ - التليس كيل للقمح يساوي ١٥٠ رطلا ، أو ثمانى وبيبات .
- ٨ - أي المخازن .
- ٩ - ميخائيل الخامس (١٠٤١ - ١٠٤٢) .
- ١٠ - جاء بعد ميخائيل الخامس قسطنطين التاسع (١٠٤٢ - ١٠٥٤) بعد زواجه من الامبراطورة العجوز زوي .
- ١١ - الجوجؤ هو الصدر . القاموس .
- ١٢ - زيد ما بين الحاصرتين من اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٢٤٠
- ١٣ - زيد ما بين الحاصرتين من اتعاظ الخنفا ج ٢ ص ٢٤١ .
- ١٤ - من كتاب التشوف للتادلي ص ٦٦ - ٦٧ .
- ١٥ - نقلا عن كتاب الاسلام في المغرب والاندلس لليفي بروفندسال ص ١١٥ - ١١٨ .
- ١٦ - من كتاب رسائل أندلسية ص ٢٢٥ - ٢٤٣ ، والباجي هو ابو الوليد سليمان بن خلف (٤٠٣ - ٤٧٤ هـ) كان أعظم علماء المالكية في الاندلس ، وأعظمهم نتاجا في عصره ، له ترجمة جيدة في تاريخ دمشق لابن عساكر .
- ١٧ - زيادة اقتضاها السياق .
- ١٨ - سورة فصلت - الآية : ٤٢ .
- ١٩ - سورة الاعراف - الآية : ٤٣ .
- ٢٠ - سورة آل عمران - الآية : ٥٨ .
- ٢١ - سورة المؤمنون - الآية : ٥١ .
- ٢٢ - سورة النساء - الآية : ١٦٥ .
- ٢٣ - سورة النساء - الآية : ١٥٧ .
- ٢٤ - سورة التوبة - الآية : ٣٣ .
- ٢٥ - سورة هود - الآية : ٨٨ .
- سورة البقرة - الآية : ٢٠ .
- ٢٧ - سورة الاسراء - الآية : ٨٨ .
- ٢٨ - سورة الفرقان - الآية : ٢٧ .
- ٢٩ - سورة النبا - الآية : ٤٠ .
- ٣٠ - سورة هود - الآية : ١٨ .
- ٣١ - سورة آل عمران - الآية : ٦٤ .
- ٣٢ - سورة آل عمران - الآية : ٦١ .
- ٣٣ - سورة طه - الآية : ٤٧ .

- ٣٤ - من كتاب المجالس والمسائرات للقاظمي النعمان ص ٤٤٢ - ٤٤٦ .
- ٣٥ - سورة الانفال - الآية ٥٨ .
- ٣٦ - سورة الحجرات - الآية ٣ .
- ٣٧ - سورة المائدة - الآية ٥٤ .
- ٣٨ - سورة آل عمران - الآية ١٦٦ .
- ٣٩ - سورة الانفال - الآية ٣٧ .
- ٤٠ - سورة العنكبوت - الآية ١١ .
- ٤١ - القطيعة عند المغاربة المال المفروض على العدو كل عام ، ويقابله في اصطلاح المشارقة الهية ، وكلاهما نوع من انواع الجزية ضمننت بها المهانة من المسلمين .
- ٤٢ - سورة التوبة - الآية ٥٢ .
- ٤٣ - من مدن الثغر الانثى في غرب الاندلس ، قريبة من ماردة - الجغرافية لابن سبيد ص ١٧٩ الروص المعطار للمصيري
- ٤٤ - من مدن قشتالة القديمة ، وكانت ضمن بلدان الثغر الاعلى
- ٤٥ - كانت العرب قبل الاسلام ترى أن الهامة طائر يخرج من رأس الميت ، وكانوا يقولون إن القتل تخرج هامه من هامته - أي من رأسه - فلا تزاوّل تقول : اسقوني ، اسقوني ، حتى يقتل قاتله
- لسان العرب .
- ٤٦ - أي التعائم - ج تميمية - التي يكتبها الساهر ، ومنها جاء اسم العزام
- ٤٧ - سورة الحشر - الآية ١٤ .
- ٤٨ - سورة التوبة - الآية ٣٢ .
- ٤٩ - كان آل عباد من أسرة رفعت نسبها إلى المازنة ملوك الحيرة ، الذين كانوا من أصل يمانى ، ومعروف أن حمير التي نسب المثلثون انفسهم إليها من أصل يمانى ، وكانت دولة حمير لخر دولة حكمت اليمن قبيل ظهور الاسلام ، ولذلك قام ابن عباد بمخاطبة يوسف بن تاشفين هكذا .
- ٥٠ - سورة الفتح - الآية ١٦ .
- ٥١ - سورة التوبة - الآية ١٤ .
- ٥٢ - ديوان المتنبي ط . بيروت ١٩٢٦ ص ٥ .
- ٥٣ - سورة الزمر - الآية ٦٩ .
- ٥٤ - انظر سورة المجادلة - الايتان ١٢ - ١٣ .
- ٥٥ - الزمائم بقية الروح .
- ٥٦ - سورة الاعراف - الايتان ١٨٢ - ١٨٣ .
- ٥٧ - من كتاب صبح الاعشى للقلعة شندي ج ١٠ ص ٣١ ، نقلا عن رسائل ابن موهبلايا كاتب الخليفة القائم
- ٥٨ - سورة آل عمران - الآية ١٠٢ .
- ٥٩ - سورة فصلت - الآية ٤٢ .
- ٦٠ - سورة النساء - الآية ١٠٣ .
- ٦١ - سورة التوبة - الآية ١٨٠ .
- ٦٢ - سورة الجمعة ، الآية ٩٠ .
- ٦٣ - سورة التوبة - الآية ١٠٣ .
- ٦٤ - سورة البقرة - الآية ٤٤ .
- ٦٥ - سورة آل عمران - الآية ١٥٩ .
- ٦٦ - سورة النحل - الآية ٩٠ .

- ٦٧ - سورة آل عمران - الآية ١١٠ .
٦٨ - سورة النساء - الآية ١٢٣ .
٦٩ - سورة النساء - الآية ٥٨ .
٩٦ - سورة النساء - الآية ٥٨ .
٧٠ - سورة البقرة - الآية : ٢٢٩ .
٧١ - سورة المائدة - الآية ٢ .
٧٢ - سورة المائدة - الآية ٣٣ .
٧٣ - سورة الانفال - الآية : ٦٠ .
٧٤ - سورة الاسراء - الآية . ٣٤ .
٧٥ - سورة المطففين - الآية ١ .
٧٦ - سورة الانفال - الآية : ٤١ .
٧٧ - سورة ابراهيم - الآية ٧ .
٧٨ - نقلا عن مخطوط الخزانة العامة بالرباط رقم ١٠٢٠ .
٧٩ - سورة المائدة - الآية ٣٢ .
٨٠ - كنا بالاصل ولا وجه لها .
٨١ - سورة آل عمران - الآية ١٧٣ .
٨٢ - سورة البقرة - الآية ١٢٣ .
٨٣ - سورة النساء - الآية . ٥٩ .
٨٤ - سورة آل عمران - الآية . ٣٠ .
٨٥ - سورة الاحزاب - الايتان : ٧٠ - ٧١ .
٨٦ - سورة النور - الآية : ٥٥ .
٨٧ - سورة النساء الآية : ٥٩ .
٨٨ - نقلا عن المخطوط الرباطي نفسه رقم ١٠٢٠ .
٨٩ - سورة الحجرات - الآية : ٩ .
٩٠ - سورة الانسان - الآية ٢٠ .
٩١ - نقلا عن المخطوط الرباطي نفسه رقم ١٠٢٠ .
٩٢ - سورة هـ - الآية ٢٦ .
٩٣ - سورة الحج - الآية . ٤١ .
٩٤ - سورة الاحزاب - الآية . ٧٢ .
٩٥ - سورة الاحزاب - الآية ٧٢ .
٩٦ - سورة الناريات - الآية : ٢٣ .
٩٧ - سورة المائدة - الآية ٧٩ .
٩٨ - سورة الكهف - الآية . ٤٩ .
٩٩ - سورة الفرقان - الآية ٧ .
١٠٠ - سورة الاحقاف - الآية ٢٠ .
١٠١ - سورة طه - الآية : ١٣١ .
١٠٢ - سورة التوبة - الآية . ٦٠ .
١٠٣ - سورة مريم - الآية ٤٠ .
١٠٤ - سورة القيامة - الآية ٢٩ .
١٠٥ - سورة القيامة الآية ١٩ .
١٠٦ - سورة آل عمران - الآية ١٦٩ .
١٠٧ - سورة التوبة - الآية : ١١١ و

- ١٠٨ - سورة الصدف - الآية ١٠ .
- ١٠٩ - سورة الاحزاب - الآية ٢٣ .
- ١١٠ - سورة التوبة - الآية ٢٩ .
- ١١١ - سورة الانعام - الآية ٥٤ .

جريدة بأهم المصادر والمراجع

- المصادر :

ابن الأبار : أبو عبد الله محمد بن عبد الله
(ت ٦٥٨ هـ / ١٢٦٠ م) .

كتاب التكملة . القاهرة ١٩٥٦ م .

- الحلة السيرة ، جزءان ، تحقيق د . حسين مؤنس
القاهرة ١٩٦٣ م .

- المعجم في أصحاب القاضي أبي علي الصدي .
القاهرة ١٣٨٧ هـ / ١٩٦٧ م .

ابن الأثير : أبو الحسن علي بن محمد الجزري (ت ٦٣٥ هـ
/ ١٢٣٣ م) .

- الكامل في التاريخ . بيروت ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .

- ابن الأحمر (اسماعيل) بيوتات فاس
الكبرى - الرباط ١٩٧٢ .

ابن أبي أصيبعة :

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ٢٠ ، ١٢٩٩ هـ / ١٨٨٢ م .
الأصفهاني :

- خريدة القصر وجريدة العصر . قسم المغرب والاندلس .

تحقيق محمد المرزوقي - محمد العمروسي المطوي - الجيلاني بن
الحاج يحيى . تونس ١٩٧١ م .

اماري ميشيل :

- المكتبة العربية الصقلية ، ليبزغ ١٨٧٥ م .

البكري : عبد الله بن عبد العزيز المرسى (ت ٤٨٧ هـ
/ ١٠٨٤ م) .

- المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب (نشره دي سلان وهو
مأخوذ من كتاب المسالك والممالك . الجزائر ١٩١١ م) .

- ابن بسام : أبو الحسن الشنتريني (ت ٥٤٣ هـ / ١١٤٧ م) .
- النخيرة في محاسن أهل الجزيرة . تحقيق إحسان عباس . بيروت ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .
- ابن بشكوال : أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت ٥٧٨ هـ / ١١٨٣ م) .
- الصلة في تاريخ أئمة الأندلس ، الدار المصرية للتأليف والنشر ١٩٦٦ م .
- البليق . أبو بكر الصنهاجي (القرن السادس الهجري) .
- أخبار المهدي بن تومرت وابتداء دولة الموحدين . تصحيح وترجمة لافي بروفنسال باريس ١٩٢٨ م .
- التطيلي .
- ديوان الأعمى التطيلي ، تحقيق إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٣ م .
- ابن تغري بردي .
- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، القاهرة ١٩٣٥ م .
- جان وجيروم طارو :
- أزهار البساتين في أخبار الأندلس والمغرب . ترجمة أحمد بلا فريج ومحمد القاسي . الرباط ١٣٤٩ هـ .
- ابن جبير : محمد بن أحمد الأندلسي (ت ٦١٤ هـ / ١٢١٧ م) .
- رحلة ابن جبير . القاهرة ١٩٥٥ م .
- الجزنائي : أبو الحسن علي .
- زهرة الآس في بناء مدينة فاس . نشر الفريد بيل . الجزائر ١٩٢٣ م .
- ابن الحداد الأندلسي .
- ديوان ابن الحداد الأندلسي . تحقيق يوسف علي طويل . بيروت ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م .
- الحموي (ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ / ١٢٢٩ م) .

- معجم البلدان . دار صادر بيروت .
- الحميدي . أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله
(ت ٤٨٨ هـ / ١٠٩٥ م) .
- جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس . تحقيق محمد بن تاويت
الطنجي ، القاهرة ١٣٧٢ هـ / ١٩٥٢ م .
- الحميري : (عبد المنعم السبتي) توفي أواخر القرن التاسع
الهجري) .
- الروض المعطار في أخبار الأقطار . تحقيق إحسان عباس ،
بيروت ١٩٧٥ م .
- صفة جزيرة الأندلس ، تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة
١٩٦٢ م .
- ابن حوقل .
- صورة الأرض ، لندن ١٩٢٨ م .
- ابن خاقان : أبو نصر الفتح محمد القيسي الشيبلي
(ت ٥٣٥ هـ / ١١٣٤ م) .
- قلائد العقيان في محاسن الأعيان . في طبعين ، الطبعة الأولى
صدرت بالقاهرة . ١٣٢ هـ الطبعة الثانية تصحيح عبد سليمان
الحرايري ١٢٧٧ هـ .
- ابن الخطيب : لسان الدين محمد بن عبد الله
(ت ٧٧٦ هـ / ١٣٧٤ م) .
- أعمال الأعلام فيمن بويغ قبل الاحتلال من ملوك الإسلام .
نشر منه الجزء الخاص بتاريخ الأندلس في بيروت ١٩٥٦ م ، تحقيق
ليفى بروفنسال ، وبعنوان « تاريخ إسبانيا الإسلامية » . ونشر
الجزء الخاص بتاريخ المغرب وصقلية ، في الدار البيضاء
عام ١٩٦٤ م ، تحقيق أحمد مختار العبادي وإبراهيم الكتاني ،
بعنوان « تاريخ المغرب في العصر الوسيط » .
- الأحاطة في أخبار غرناطة . حققه محمد عبد الله عنان .
القاهرة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م .
- رقم الدحل في نظم الدول ، تونس ١٣١٧ هـ .

- ابن خفاجة . تحقيق السيد مصطفى غازي ،
الاسكندرية ١٩٦٠ م .
- ابن خلدون : أبو زيد عبد الرحمن بن محمد
(ت ٨٠٨ هـ / ١٤٠٥ م) .
- العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ١٠ ، ٤ ، ٦ ، طبعة بيروت
١٩٥٩ م ، ١٩٦١ م .
- ابن خلكان : شمس الدين أبو العباس أحمد بن محمد
(ت ٦٨١ هـ / ١٢٨٢ م) .
- ـ وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق محيي الدين عبد
الحميد .
- القاهرة ١٩٥٠ م ، طبعة أخرى تحقيق إحسان عباس ،
بيروت ١٩٦٨ م .
- ابن أبي دينار : محمد بن أبي القاسم الرعيني القيرواني
(أواخر القرن الحادي عشر الهجري) .
- ـ المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ، تحقيق محمد شمام ،
تونس ١٩٦٧ م .
- ابن دراج القسطلي :
ـ ديوان ابن دراج القسطلي . نشر محمود مكي ،
دمشق ١٩٦١ م .
- ابن أبي زرع القاسي :
ـ الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب
وتاريخ مدينة فاس ، الرباط ١٩٧٣ م .
- الزجالي :
ـ أمثال العوام في الأندلس ، تحقيق محمد بن شريفة ، فاس
المغرب ١٩٧١ .
- الزركشي : أبو عبد الله محمد بن إبراهيم اللؤلؤي (القرن
التاسع عشر) .
- ـ تاريخ الدولتين الموحدية والحفصية ، تحقيق محمد ماضور ،
تونس ١٩٦٦ م .

- ابن زيدان :
- العز والصولة في معالم نظام الدولة - نشر عبد الوهاب بن منصور . الرباط ١٩٦١ م .
الزيري : (الأمير عبد الله بن بلقين الزيري) .
- مذكرات الأمير عبد الله ، المسماة بكتاب التبيان . تحقيق ليفي بروفنسال . مصر ١٩٥٥ م .
- رسائل أندلسية . تحقيق د . فوزي عيسى . كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٨٩ م .
- رسائل ومقامات أندلسية . تحقيق فوزي سعد عيسى . ابن رشد :
- مسائل أبي الوليد بن رشد . تحقيق ودراسة محمد بن الحبيب التجكاني . لنيل درجة الماجستير . دار الحديث الحسنية . الرباط مطبوعة على الآلة الكاتبة ١٩٧٧ م .
ابن رشد القرطبي :
- المقدمات الممهدات . جزان . تحقيق سعيد أعراب . بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .
ابن سعيد المغربي :
- بسط الأرض بالطول والعرض . تحقيق خوان قرنيط خينيس . تطوان ١٩٥٨ م .
- المغرب في حلى المغرب . جزان ، القاهرة ١٩٥٣ م .
السلوي : أبو العباس أحمد بن خالد الناصري (ت ١٣٥١ هـ / ١٨٩٧ م) .
- الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى ، الدار البيضاء ١٩٥٤ م .
ابن صاحب الصلاة : عبد الملك (٥٩٤ هـ / ١١٠٢ م) .
- تاريخ المن بالامامة على المستضعفين ، السفر الثاني ، تحقيق عبد الهادي التازي .
الضبي : أبر جعفر أحمد بن يحيى القرطبي (ت ٥٩٩ هـ / ١٢٠٢ م) .

- بغية الملتبس في تاريخ رجال أهل الأندلس . دار الكاتب العربي ١٩٦٧ م .
- الطرطوشي : أبو بكر (ت ٥٢٠ هـ / ١١٣٥ م) .
- الحوادث والبدع . تحقيق محمد الطالبي . تونس ١٩٥٩ م .
- سراج الملوك . تحقيق جعفر البياتي . لندن .
العالمي :
- الزهراء المذنورة في نكت الأخبار المأثورة . تحقيق محمود علي مكي ، ١٤٠٤ هـ / ١٩٨٤ م ، مصر الجديدة ، نوفمبر ١٩٧٨ م .
- ابن عبد ربه :
- العقد الفريد . تحقيق محمد سعيد العريان ، القاهرة ١٩٥٣ م
- ابن عبد الرفيق :
- معين الحكام على القضايا والأحكام . تحقيق محمد بن قاسم ابن عياد ، بيروت ١٩٨٨ م .
- ابن عبدون : محمد بن أحمد التجيبي :
- ثلاث رسائل أندلسية في آداب الحسبة والمحتسب . تحقيق ليفي بروفساك ، المعهد العلمي للآثار الشرقية القاهرة ١٩٥٥ م .
- ط ابن عذاري : أبو العباس أحمد بن محمد (كان حيا ٧١٢ هـ / ١٣١٢ م) .
- البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب . قطعة تتعلق بتاريخ المرابطين نشرها ويثي ميراندا في مجلة هسبيرس ١٩٦١ م .
- البيان المغرب في اختصار أخبار ملوك الأندلس والمغرب . القسم الثالث . عني بنشره امبروسي هويس مراندة ، محمد بن تاويت ، محمد إبراهيم الكتاني . تطوان ١٩٦٠ م .
- ابن العربي : أبو بكر (ت بفاس ٥٤٣ هـ / ١١٤٨ م) .
- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي (ص) . تحقيق محب الدين الخطيب . القاهرة ١٣٧١ م .

- الغنية . فهرست شيوخ القضاة
عياض ٤٧٦ - ٥٤٤ هـ / ١٠٨٣ - ١١٤٩ م .
تحقيق ماهر جرار ، دار الغرب الاسلامي .
بيروت ١٤١٢ هـ / ١٩٨٢ م .
ابن قزمان : ديوان ابن قزمان . ف كورنيطي ، المعهد
العربي للثقافة ، مدريد ١٩٨٠ م .
القرشي :
- معالم القرية في أحكام الحسبة . تحقيق محمد محمود
شعبان - صديق حمد - عيسى المطيعي . الهيئة العامة المصرية
للكتاب سنة ١٩٧٦ م .
ابن القطان : أبو الحسن علي بن محمد الكتاني الفاسي
(ت ٦٣٨ هـ / ١٢٣٠ م) .
- نظم الجمان في أخبار الزمان . تحقيق محمود مكي ،
الرباط ١٩٦٤ م ، بيروت ١٩٩٠ م .
القفطي :
- أخبار العلماء بأخبار الحكماء ، القاهرة ١٣٢٦ هـ
ابن القلانسي :
- تاريخ دمشق . تحقيق د . سهيل زكار .
دمشق ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م .
ابن الكردبوس :
- كتاب الاكتفاء في أخبار الخلفاء - القسم الخاص بالاندلس .
نشر وتحقيق أحمد مختار العبادي ، مدريد ١٩٧١ م .
ليفني بروفنسال :
- مجموع رسائل موحدية من إنشاء كتاب الدولة المؤمنية .
الرباط ١٩٤١ م .
الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد البصري البغدادي
(٤٥٠ هـ / ١٩٥٧ م) .
- الأحكام السلطانية والولايات الدينية . تصحيح الغساني ،
القاهرة ١٩٠٩ م .

- تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك وسياسة الملك ،
تحقيق رضوان السيد ، بيروت ١٩٨٧ م .
المجिल्دي :
- كتاب التيسير في أحكام التسعير . تحقيق مدوسى لقبال ،
الجزائر ١٩٨٢ م .
- المراكشي . ابن عبد الملك (ت ٧٠٣ هـ / ١٣٠٤ م) .
- الذيل والتكملة لكتابي الموصول والصلة . السفيرين الرابع
والخامس . تحقيق الدكتور إحسان عباس ، بيروت ١٩٦٤ م .
- المراكشي . عبد الواحد (كان حيا في الربع الاول من القرن
السادس الهجري / الثاني عشر ميلادي) .
- المعجب في تلخيص أخبار المغرب . تحقيق محمد سعيد العريان
ومحمد العربي العلمي ، القاهرة ١٩٤٩ م .
- مقديش : - نزهة الانظار في عجائب التواريخ والأخبار .
تحقيق علي الزواوي . محمد محفوظ ، بيروت ١٩٨٨ م .
- المقري . شهاب الدين أبو العباس أحمد بن محمد التلمساني
(ت ١٠٤١ هـ / ١٦٣١ م) .
- نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها لسان
الدين بن الخطيب . تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد . بيروت .
- أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض ، تحقيق عبد السلام
الهراس وسعيد أحمد أعراب . المحمية ١٩٨٠ م .
المكناسي .
- جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام بمدينة فاس .
الرباط ١٩٧٣ م .
- الملزوزي (عبد العزيز) نظم السلوك في الأنبياء والخلفاء
والملوك - الرباط ١٩٦٣
- مؤلف مجهول
- الحلال الموشية في ذكر الأخبار المراكشية . حققه د . سهيل
زكار . أ . عبيد القادر زمـامة . الدار
البيضاء ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩ م .

- مؤلف مجهول :
- الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، الجزائر ١٩٢٠ م .
- مؤلف مجهول .
- كتاب الطبيخ في المغرب والأندلس . تحقيق أمبروزيو أويثي
ميراندا ، مدريد ١٩٦٥ م .
- مؤلف مجهول :
- مفاخر البربر . تحقيق ليفي بروفنسال ، الرباط ١٩٣٤ م .
- الذباهي :
- المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا . القاهرة .
- الذويري : شهاب (ت ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م) .
- نهاية الأرب في فنون الأدب . دار الكتب ، القاهرة .
- الوذشريسي .
- المعيار المغرب والجامع المغرب عن فتاوي أهل إفريقية
والأندلس والمغرب . نشر وزارة الأوقاف . المملكة المغربية
١٤٠١ هـ / ١٩٨١ م .
- المراجع :
- ابراهيم الميفي محمود - بدوزيري وعلاقتهم السياسية
بالقوى الإسلامية في حوض البحر المتوسط . القاهرة ١٩٨٩ .
- أحمد أمين . ظهر الإسلام . القاهرة ١٩٥٣ م .
- أرسلان (شكيب) الحلل السندسية في الأخبار والآثار
الأندلسية ، جزآن ، القاهرة ١٩٣٦ م .
- تاريخ غزوات العرب في فرنسا وسويسرا وإيطاليا وجزر البحر
المتوسط . القاهرة (عيسى البابي الحلبي وشركاه)
- ارشيبالد لويس . القوى البحرية والتجارية في حوض البحر
المتوسط .
- ترجمة محمد أحمد عيسى .
- أرنست كونل . الفن الإسلامي . ترجمة أحمد موسى ،
بيروت ١٩٦٦ م .

- اسرائيل ولفندسون . موسى بن ميمون . القاهرة ١٩٣٦ م .
اعراب (سعيد) مع القاضي أبي بكر بن العربي .
بيروت ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
اشباخ . تاريخ الأندلس في عهد المرابطين والموحدين .
جـزآن ، ترجمة محمد عبد الله عنان .
القاهرة ١٩٤٠ - ١٩٤١ م .
الأصيصي . الشرطة في النظم الإسلامية والقوانين
الوضعية . دراسة مقارنة بين الشريعة والقانون .
طرابلس ١٣٩٩ هـ / ١٩٨٠ م .
البتدوني (محمد ليبي) رحلة الأندلس . ترجمة محمود عبد
العزیز سالم ، القاهرة .
البعلي (فؤاد) فلسفة أخوان الصفا الاجتماعية
والأخلاقية . بغداد ١٩٥٨ م .
بوز (فارس) الأوضاع الداخلية للأندلس وعلاقاتها
بالمغرب في ظل المرابطين . رسالة ماجستير . دمشق .
التازي . التاريخ الدبلوماسي للمغرب . المجلد الخامس .
جزآن ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧ م .
التليدي . المغرب في مشاهير أولياء المغرب ،
طنجة ١٩٨٧ م .
الحجي . التاريخ الأندلسي من الفتح إلى سقوط غرناطة ،
بيروت ١٩٧٦ م .
حسن إبراهيم حسن . تاريخ الإسلام السياسي ، ج ٤
القاهرة ١٩٦٧ م .
حسين . تاريخ المغرب والأندلس في عصر المرابطين دولة علي
ابن يوسف المرابطي ، الاسكندرية ١٩٨٦ م .
حمادة . الوثائق السياسية والإدارية ١٤٠٠ هـ / ١٩٨١ .
ندش . أضواء جديدة على المرابطين ، بيروت ١٩٩١ م .
ندش . الأندلس في نهاية المرابطين ومستهل الموحدين عصر
الطوائف الثاني . دار الغرب الإسلامي ،
بيروت ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨ م .

دوزي . ملوك الطوائف ونظرات في تاريخ الاسلام . ترجمة
كامل الكيلاني ، القاهرة ١٣٤١ هـ / ١٩٣٣ م .
ديورانت . قصة الحضارة ج ٤ . ترجمة محمد بدران ،
القاهرة .

ريزو (جوزيف) الفتوحات الاسلامية في فرنسا وإيطاليا
وسويسرا . بيروت ١٩٨٤ .
زغلول . محمد بن تومرت وحركة التجديد في المغرب
والاندلس ، بيروت ١٩٧٣ م .
زكار ، التاريخ العباسي والاندلسي ،
دمشق ١٤٠١ هـ / ١٩٨٢ م .

سالم (سحر عبد العزيز سالم) مدينة قانس ودورها في التاريخ
السياسي والحضاري كلية الآداب جامعة الاسكندرية ١٩٩٠
سالم (عبد العزيز السيد سالم) محمد أبو الفضل . تاريخ مدينة
ألمرية الأندلسية . الاسكندرية ١٩٨١ م .

شرارة (عبد اللطيف) أبو الوليد ابن زيدون ،
بيروت ١٩٨٨ م .

الشكعة . الأدب الأندلسي . بيروت ١٩٧٢ م .
الشيخ (محمد محمد موسى) دولة الفرنجة وعلاقتها
بالأمويين في الأندلس حتى أواخر القرن العاشر الميلادي .
الاسكندرية ١٩٩٠

طرخان المسلمون في أوروبا العصور الوسطى ،
القاهرة ١٩٦٦ م

العبادي . دراسات في تاريخ المغرب والأندلس .
الاسكندرية ١٩٦٨ م .

العبادي . الصقلية في إسبانيا ، مدريد ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٣ م .
العبادي . صور وبحوث من التاريخ الإسلامي ،
القاهرة ١٩٥٣ م .

علام . دولة الموحدين بالمغرب في عهد عبد المؤمن بن علي .
القاهرة ١٩٧١ م .

- عنان . أندلسيات . الكتاب العشرون ١٩٨٨ م .
- عنان . عصر المرابطين والموحدين في المغرب والأندلس ، وهو العصر الثالث من كتاب دولة الأسلام في الأندلس ، القاهرة ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٤ م .
- عنان . نهاية الأندلس وتاريخ العرب المتنصرين . العصر الرابع من كتاب دولة الأسلام في الأندلس . القاهرة ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦ م .
- غنيم (أسست) الامبراطورية البيزنطية وكريت الإسلامية - جدة ١٩٧٧ .
- فازلييف - العرب والروم . القاهرة (دار الفكر العربي) .
- قربه (صالح بن) المسكوكات المغربية . الجزائر ١٩٨٦ .
- كول (ماك) الروايات التاريخية عن تأسيس سبلماسة وغانة . الدار البيضاء (دار الثقافة) .
- لقبال (موسى) الحسبة المذهبية في بلاد المغرب . نشأتها وتطورها . الجزائر ١٩٧١ .
- محمود (حسن أحمد محمود) قيام دولة المرابطين . القاهرة ١٩٥٧ م .
- محمود (منى حسن) المسلمون في الأندلس وعلاقتهم بالفرنجة . القاهرة ١٩٨٦ .
- مؤنس (حسين) تاريخ الجغرافية والجغرافيين في الأندلس . القاهرة ١٩٨٦ م .

المحتوى

- ٣ - توطئة
٥ - الفصل الاول - المغرب والاندلس من الفتح حتى العصر المرابطي
٨ - فتح المعري
٢١ - فتح الاندلس والتوسع في اوربة
٣٦ - عصر الولاة
٥٨ - عصر الامارة الاندلسية
٦١ - عبد الرحمن الداخل
٧٣ - هشام الرضا
٧٥ - الحكم الربضي
٨٠ - عبد الرحمن الثاني
٨٤ - من الامارة الى الخلافة
٩٥ - عبد الرحمن الثالث وعلان الخلافة
١٠٠ - الحكم الثاني
١٠٢ - هشام الثاني والاسترداد العامري
١٠٧ - الفصل الثاني - قيام حركة المرابطين
١٣٧ - الفصل الثالث - يوسف بن تاشفين وقيام دولة المرابطين بالمغرب والجزوار الاول الى الاندلس
١٨٦ - الفصل الرابع - يوسف بن تاشفين وتوحيد الاندلس وارالة دولة الطوائف
٢٠٩ - الفصل الخامس - العرب والصراع للسيطرة على البحر المتوسط
٢٤٤ - ملاحق الكتاب
٢٤٦ - اسد بن الفرات
٢٤٩ - جرجي الانطاكي
٢٥٢ - جعفر بن محمد الكلبي
٢٥٥ - جعفر بن يوسف الكلبي (تاج الدولة)
٢٥٦ - جوهري الحدالي
٢٥٩ - الحسن بن علي - الوزير الياوروي
٢٩٥ - الحسن بن عمار الكلبي
٣٠١ - محمد بن حسن الكلبي
٣٠٢ - واحاح بن رلو
٣٠٣ - رسالة حوايية من الخليفة الحكم المستنصر الى الامبراطور البيزنطي نيوهيل
٣٠٦ - رسالة الراهب يشوع ورد الناحي عليها
٣٢٦ - رسالتا المعرلنين الله الفاطمي الى الامبراطور البيزنطي بشأن كريت والى كافور الاحشيدي حول الشأن نفسه
٣٢٧ - رسالة من الخليفة لحافظ الفاطمي الى روجر المتغلب على صقلية
٣٣٦ - تعميم صدر عن يوسف بن تاشفين بشأن اخذ القبا امير المسلمين
٣٣٧ - رسالة حوايية من المتوكل على الله بن الافطس الى الفؤوسة السادس
٣٣٩ - رسالة المتوكل على الله بن الافطس الى يوسف بن تاشفين يستمد منه

- ٣٤١ - رسالة من الفونسو السادس الى المعتمد بن عباد وجوابه عليها
- ٣٤٤ - رسالتا استصراخ من المعتمد بن عباد الى يوسف بن تاشفين وجوال يوسف عليهما
- ٣٤٩ - رسالة من الفونسو السادس الى يوسف بن تاشفين
- ٣٥٠ - رسالتا بشارة بنصر الزلاقة من المعتمد بن عباد الى اهل اشبيلية
- ٣٥٣ - رسالتا بشارة بنصر الزلاقة ارسلتا الى اشبيلية
- ٣٥٦ - رسالة تهنئة من أبي عبيد البكري إلى المعتمد بن عباد بعد نصر الزلاقة
- ٣٥٨ - الخطاب الذي بعث به يوسف بن تاشفين الى اشياخ المغرب حول معركة الزلاقة
- ٣٦٠ - رسالة يوسف بن تاشفين إلى الزيريين في افريقية
- ٣٦٦ - رسالة من يوسف بن تاشفين الى المستعين بالله احمد بن يوسف بن هود
- ٣٦٧ - رسالة البابا غريغوار السابع الى صاحب قلعة بني حماد
- ٣٧١ - عهد من الخليفة العباسي القائم بأمر الله ليوسف بن تاشفين
- ٣٨٤ - نص المذكرة التي رفعها ابن العربي الى الخليفة المستظهر
- ٣٩٤ - الخطاب الذي وجهه ابن عربي الى حجة الاسلام الامام الغزالي
- ٣٩٨ - رسالة الغزالي الى يوسف بن تاشفين
- ٤٠٢ - رسالة من الامام الطرطوشي الى يوسف بن تاشفين
- ٤١٣ - الحواشي والهوامش
- ٤٣٠ - جريدة المصادر والمراجع

